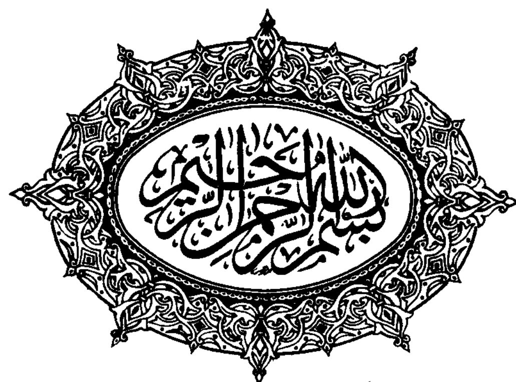
ابن خليفة عليوى
خريج جامعة الأزهر الشريف

جامع النقول في أسباب النزول

وشرح آياتها

الجزء الثاني

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثـانى

(من كتاب جامع النقول في أسباب النزول)

بســم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولو نزّلنا عليْكَ كِتاباً فى قرْطاسٍ فلَمَسُوهُ بأيْديهِمْ لَقالَ الّذينَ كفَرُوا إنْ هَذا إلاَّ سِحْرٌ مُبينٌ وقالُوا لَوْلا أُنزل عَلَيْه مَلكٌ ولَوْ أنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضىَ الْأمْرُ ثُمْ لا يُنْظَرُون * ولَوْ جعَلْناهُ مَلكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً ولَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبُسونَ** ﴾ في الواحدي : قال الكلبي : إن مشركى مكة قالوا يا محمد : والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله . وأنك رسوله فنزلت هذه الآية * وفي الخازن : قال الكلبي ومقاتل : نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ، ونوفل بن خويلد : قالوا يا محمد : لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب ...الخ .. ما في الواحدي ومثله فى الغرائب وأبي السعود . وفي المراغي . وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن اسحاق : سبب نزول الآية الثانية : قال : دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقال له زمعة بن الأسود بن المطلب والنضر بن الحارث بن كلدة وعبدة بن عبد يغوث ، وأبي بن خلف والعاصى بن وائل بن هشام : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ، ويرى معك – فأنزل الله في ذلك : ﴿ **وقالُوا لولا أُنزِلَ عليْهِ مَلَكٌ** ... ﴾ قال المراغي : ورجح بعضهم أن هذا السبب لا يصح في هذه الآية ، لأن اقتراح المعاندين من المشركين إنزال الملك مع الرسول مذكور في سور من القرآن أنزلت قبل هذه السورة ، فما فيها . إنما هو رد على شبهة سبقت وحكيت عليهم ، وكذلك اقتراح إنزال كتاب من السماء ، وإنزال القرآن جملة واحدة مذكور في سورة الفرقان * أما التفسير ﴿ **وَلَوْ نَزّلْنا عَلَيْكَ كتاباً** ﴾ مكتوبا ، لأن الكتاب مصدر بمعنى اسم المفعول وهو الشيء الذى يكتب من المعانى والألفاظ ﴿ **في قِرْطَاسٍ** ﴾ رَق يتخذ من الجلد يكتب فيه ، وفسره البيضاوى والزمخشرى بالورق ، وهو تفسير بالأخص . لأن القرطاس في اللغة أعم منها . ففى المصباح ، والقرطاس ما يكتب فيه ، وفي

القاموس . القرطاس مثلث القاف كجعفر ودرهم : الكاغد * وفي السمين القرطاس الصحيفة يكتب فيها تكون من ورق وكاغد وغيرهما ، ولا يقال قرطاس إلا إذا كان مكتوبا، وإلا فهو طرس وكاغد* قلت : والمعروف لدى العامة أن القرطاس كيس من الورق . والظاهر أن المراد . ولو أنزل عليهم مكتوبا في قرطاس كناية عن حفظه ﴿ **فلَمَسُوهُ بأيْديهِمْ** ﴾ أي القرطاس الذي فيه المكتوب . ولم يقل عاينوه لأن اللمس أبلغ من المعاينة . وأنفى للشك ، والباء للاستعانة كعملت بالقدوم ، لأن السحر يجرى على المرئى ولا يجرى على الملموس ، ولأن الغالب أن اللمس بعد المعاينة ﴿ **فَقَالَ الّذِينَ كَفَرُوا إنْ** ﴾ ما ﴿ **هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مبين** ﴾ تعنتا وعنادا ﴿ **وقَالُوا لَوْلآ** ﴾ هلا ﴿ **أُنْزِلَ عليْه** ﴾ على محمد ﷺ ﴿ **مَلَكٌ** ﴾ يصدقه . والظاهر أن هذه الجملة مستأنفة سيقت للاخبار عنهم بفرط تعنتهم وتضليلهم في كفرهم . أي أن النبي ليس صادقاً عندهم بل لابد له من ملك يشهد له في دعوى النبوة ، فرد الله على ذلك ﴿ **لَقُضِيَ الأمْرُ** ﴾ بهلاكهم ﴿ **ثُمَّ لا يُنْظرون** ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنو ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ** ﴾ أي المنزل إليهم ﴿ **مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ** ﴾ أي الملك ﴿ **رَجُلاً** ﴾ أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك . وعبارة الخازن . وذلك أن البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التى خلقوا عليها ، ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس كما جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة دحية الكلبى ، وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين ، وكذلك أتت الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام ، ولما رأى النبي ﷺ جبريل في صورته التى خلق عليها صعق لذلك وغشى عليه . ﴿ **و** ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلا ﴿ **لَلَبَسْنَا** ﴾ شبهنا ﴿ **عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ** ﴾ على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له : إنما أنت بشر ، ولست بملك ، ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها ، أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه السلام ، ولو أظهر لهم صورته الأصلية لصعقوا ، ولم يتمكنوا من تكليمه . وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكاً . أو من غير جنس البشر ، فكأنه قال تعالى لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم . وذكر البخاري في تفسير قضاء الأمر عدة وجوه . الأول – أن سنة الله جرت بأن

أقوام الرسل إذا اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا بها يعذبهم الله عذاب استئصال ، والله لا يريد أن يستأصل هذه الأمة التي بعث فيها خاتم رسله نبي الرحمة ﴿ **وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين** ﴾ الثاني – أنهم لو شاهدوا الملك بصورته الأصلية لزهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون . الثالث – أن رؤية الملك بصورته آية ملجئة يزول بها الاختيار الذي هو قاعدة التكليف . الرابع – أنهم اقترحوا ما لا يتوقف عليه الإيمان ، فلو أعطوه ولم يجد ذلك معهم نفعا دل ذلك على منتهى العناد الذى يستدعى الإهلاك وعدم النظرة *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولهُ ما سكَنَ في اللّيل والنّهارِ وهُوَ السّميعُ العَليمُ** ﴾ في الواحدي : روى الكلبي عن ابن عباس أن كفار مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد : إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعوا إليه الحاجة ، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه . فنزلت هذه الآية * وكذا في الغرائب ، ولم أعثر على غير ما ذكرا . أما التفسير . قوله : ﴿ **ولهُ ما سكَن في اللّيْل والنّهار** ﴾ أي وما تحرك أيضا كقوله : ﴿**سَرَابيلَ تقيكُمْ الحرَّ** ﴾ . أي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر للقرينة . هذا إذا كان مشتقاً من السكنى كما يقال فلان سكن ببلد كذا أي حل فيه ، والمراد كل ما حل في الوقت والزمان سواء كان متحركا أو ساكنا ، وذلك أن الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث ، فلابد من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان . ومن فسر ذلك بالاستقرار عنى بذلك شمول القسمين ، وخص الساكن بالذكر دون المتحرك لأن الساكن من المخلوقات أكثر عددا من المتحرك . أو لأن السكون هو الأصل والحركة طارئة . والمعنى : لله ما في السموٰات وما في الأرض الساكن منهما والمتحرك وفي ذلك تنبيه إلى تصرفه تعالى بهذه الخفايا ، ولاسيما إذا جن الليل وهدأ الخلق ﴿ **وَهُوَ السّميعُ** ﴾ لما يقال ﴿ **العَلِيمُ** ﴾ بما يفعل . أي المحيط سمعه بكل ما من شأنه أن يسمع مهما يكن خفيا عن غيره ، فهو يسمع دبيب النملة في الليلة الظلماء على الصخرة الصما ، والمحيط علمه بكل شيء في هذا الوجود مهما دق أو كبر ﴿ **يَعْلَمُ خائِنَةَ الأعيُنِ وما تُخفِي**

الصُدُورُ ﴾ فقد أعطى محمداً ﷺ النبوة والمقام المحمود في الأخرة ، وهما خير مما يعرض عليه كفار مكة من الأموال *

القول في سبب نزول قوله تعالى : **﴿ قُلْ أيُّ شَيء أكْبَرُ شَهادَةً قُلْ اللهُ شَهيدٌ بيْني وبيْنكُمْ وأُوحِيَ إليَّ هَذا الْقُرآنُ لِأُنْذِرَكُم بِهِ ومَنْ بَلَغَ أئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أنَّ مَعَ اللهِ آلِهةً أُخرَىٰ قُلْ لَا أشْهَدُ قُلْ إنَّما هُوَ إلَهٌ وَاحِدٌ وإنَّني بَرِئٌ مِمّا تُشْرِكونَ ﴾** في الواحدي : قال الكلبي : إن رؤساء مكة قالوا يا محمد : ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة ، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى . فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة . فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم فأنزل الله تعالى هذه الآية* وكذا في الغرائب والخازن وفي اللباب : أخرج ابن اسحاق وابن جرير من طرق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال جاء النحام بن زيد وقروم بن كعب وبحرى بن عمرو فقالوا يا محمد : ما نعلم مع الله إلها غيره ، فقال : لا إله إلا الله بذلك بعثت وإلى ذلك أدعوا . فأنزل الله في قولهم : **﴿ قُلِ اللهُ شهيدٌ بَيْني وبينكُمْ ﴾** على صدق . والمراد بشهادة الله اظهار المعجزة على يد النبي ﷺ ، فإن حقيقة الشهادة ما بين به المدعى ، وهو كما يكون بالقول يكون بالفعل ، ولا شك أن دلالة الفعل أقوى من دلالة القول لعروض الاحتمالات في الألفاظ دون الأفعال ، فإن دلالتها لا يعرض لها الاحتمال ، وأن المعجزة نازلة من قوله تعالى صدق عبدى في كل ما يبلغ عنى . وشهادة الله بين الرسل وقومه ضربان : شهادته برسالة الرسول ، وشهادته بصدق ما جاء به : والأول أنواع ثلاثة : الأول – اخباره بها في كتابه بنحو قول : **﴿ مُحَمَّدٌ رَسَولُ اللهِ ﴾** والثاني – تأييده بالمعجزات الكثيرة التى من أعظمها القرآن الكريم فهو المعجزة المحسوسة الدائمة إلى يوم الدين ، فقد ثبت عجز البشر عن الاتيان بمثله حتى ولو من أقصر سوره عدا عما فيه من أخبار الغيب ، ووعد الرسول والمؤمنين بنصر الله الثالث – شهادة كتبه السابقة ، وبشارة الرسل السابقين به ، ولا تزال هذه الشهادة طى كتب اليهود والنصارى . والثاني : ثلاثة أنواع أيضا . الأول : شهادة كتبه بذلك كقوله تعالى : **﴿ شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ والْملائكةُ وأولُوا الْعِلْمِ قائِماً بالْقِسْطِ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ العزيزُ الحكيمُ * إنَّ الدّينَ عندَ اللهِ الإسْلامُ ﴾** الثاني : ما أقامه من الآيات في الأنفس والآفاق مما يدل على

توحيده واتصافه بصفات الكمال . الثالث : ما أودعه جل شأنه في الفطرة البشرية من الإيمان بإله واحد له صفات الكمال ، والبقاء الذى لا نهاية له . ﴿ **وأُوحِيَ إليَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنْذِرَكُم** ﴾ يا أهل مكة ﴿ **بِهِ ومَنْ بَلَغَ** ﴾ أي بلغه القرآن ممن يأتى بعد إلى يوم القيامة من العرب والعجم ، وغيرهم من سائر الأمم * في الخازن قال محمد بن كعب القرطبي : من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ وكلمه * . وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً قال : -(من بَلَغَهُ القرآن فكأنما شافَهْتُهُ به)- ثم قرأ : ﴿ **وأوحىَ إليَّ هَذا القُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ** ﴾ وأخرج أبو الشيخ عن أبي كعب قال : أتى رسول الله ﷺ بأسارى فقال لهم : « هل دعيتم إلى الاسلام ؟ » قالوا : لا ، فخلى سبيلهم ، ثم قرأ : ﴿ **وأوحِي إليَّ هَذا القرآن لأُنْذِرَكُمْ به** ﴾ ثم قال : « خلوا سبيلهم حتى يأتوا مأمنهم من أجل أنهم لم يدعوا » وفي الخازن : وقال أنس بن مالك : لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل . وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاصى أن النبي ﷺ قال : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمدا فليتبوا مقعده من النار » وقد شرح الخازن الحديث بقوله : فيه الأمر بإبلاغ ما جاءبه النبي ﷺ إلى من بعده من قرآن وسنة . وقوله : وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج . الحرج الضيق ولاثم . ومعنى الحديث . أنه مهما قلتم عن بنى اسرائيل فإنهم كانوا في حال أكثر مما قلتم وأوسع . وليس هذا فيه إباحة الكذب والاخبار عن بنى اسرائيل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على بعض البلاغ . وإن لم يتحقق ذلك بنقل لأنه أمر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة . عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نضر الله امرأً سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع » أخرجه الترمذي * والمعنى : وهو نذير لكل من بلغه من الملائكة والإنس والجن ، كقوله تعالى : ﴿ **ومَنْ يكفُرْ به مِنَ الأحْزَابِ فالنّار موْعِدُه** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **أئنكُمْ لتَشْهَدُونَ** ﴾ أيها المشركون أي ﴿ **أنَّ معَ الله آلهة أُخرىَ قُلْ لا أشْهَدُ** ﴾ كقوله : ﴿ **فإنْ شهِدُوا فلَا تشْهَدْ مَعَهُمْ** ﴾ * وآلهة الكفار : الأصنام التى كانوا يعبدونها . أي لا أشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى ، بل أجحد ذلك وأنكره ﴿ **قُلْ هُوَ إلهٌ واحدٌ** ﴾ أي وبذلك أشهد . وقد قامت الدلائل العقلية والنقلية على صدق ذلك

﴿ وإنَّني بَرِيٌّ مِمَّاتُشْرِكونَ﴾ أي وأنا بريء من كل ما تعبدون سوى الله . فبالتوحيد بعثت ، وبكسر الأصنام أمرت ، وبدين الإسلام رضيت *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يستَمعُ إليْكَ وَجَعَلْنَا على قُلُوبِهِمْ أكِنَّةً أن يفقهُوهُ وَفي آذَانِهِمْ وَقْرا وإنْ يَروْا كُلَّ آيةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حتَّى إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يقُولُ الّذِينَ كفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ أساطيرُ الأوّلينَ ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس في رواية أبي صالح : إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ، وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأمية وأبيا ابني خلف . استمعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا للنضر : يا أبا قتيلة ما يقول محمد ، قال : والذي جعلها بيته ما أدرى ما يقول إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشيء ، وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية ، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى ، وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * زاد المراغى : قال أبو سفيان : إنى لأرى بعض ما يقول حقا ، فقال أبو جهل : كلا فأنزل الله الآية * وفي الخازن : قال أبو جهل : كلا لا نقر بشيء من هذا . وتجيء رواية : للموت أهون علينا من هذا فأ نزل الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مِنْ يَستَمِعُ إلَيْكَ ... ﴾ وكذا في الغرائب والكشاف أما التفسير : ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَستَمِعُ إلَيْكَ ﴾ يا محمد إذا قرأت ، وفي يونس يستمعون بالجمع لأن ما هنا في قوم قليلين فنزلوا منزلة الواحد ، وما في يونس في جميع الكفار مناسب الجميع فأعيد الضمير على معنى من . ﴿ وجَعَلْنَا عَلى قُلُوبِهِمْ أكِنةً ﴾ أغطية مستقرة على قلوبهم ﴿ أنْ ﴾ لا ﴿ يفْقَهُوهُ ﴾ يفهموا القرآن ﴿ وفي آذانِهِمْ وقْرا ﴾ أي وجعلنا في آذانهم صمما فلا يسمعونه سماع قبول ﴿ وإنْ يَروا كُل آيَةٍ ﴾ دالة على صدق رسالتك ﴿ لَا يؤمنُوا بها ﴾ لعدم استعمال عقولهم والتفكير فيما جئتهم به ، حال كونهم ﴿ يُجادِلُونَك ﴾ في الرسالة والقرآن ﴿ يقُولُ الّذِين كفَرُوا إنْ ﴾ ما ﴿ هَذَا ﴾ القرآن ﴿ إلاَّ أسَاطيرُ الأوّلينَ ﴾ أساطير جمع أسطورة نحو أحدوثة وأحاديث . ومعنى الأساطير الأحاديث الباطلة وهى الخرافات والترهات . وجائز أن يكون الواحد أسطارا مثل أبيات وأبابيت وأقوال وأقاويل من قول الله تعالى : وكتاب مسطور ، فإن كان هذا فإن معناه ما هذا إلا ما كتبه الأولون ، وعن ابن عباس : معناه إن هذا إلا أساطير

الأولين . وعن السدى : أساجيع الأولين ، وعن ابن عباس في تفسير ﴿ **حتّى إذا جاؤُك يُجادِلُونكَ** ﴾ قال : هم المشركون يجادلون المسلمين في الذبيحة يقولون : أما ما ذبحتم وقتلتم تأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون . وأنتم تتبعون أمر الله تعالى * وإنما نسبوا القرآن إلى أساطير الأولين بمعنى أنه ليس بوحى من الله تعالى . وإنما هو أخبار مجردة كما تروى أخبار الأولين * ثم إن غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزاً كما أن الكتب المشتملة على الأخبار والقصص ليست بمعجزة . والجواب : إن هذا القرآن مقرون بالتحدى وقد عجزوا جميعا عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه فظهر الفرق بين تلك الأساطير وتراكيب ألفاظ القرآن الكريم * كما أن تلك الأساطير من كلام البشر كحديث رستم وغيره ، والقرآن كلام الله العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه * وكانوا يعنون بالأساطير الخرافات الباطلة التى لا يكون فيها فائدة معتبرة *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وينأَوْنَ عَنْهُ وإنْ يُهْلكُونَ إلاَّ أنْفُسَهُمْ ومْا يشعُرُونَ** ﴾ في لباب السيوطي : نزلت في عمومة النبي ﷺ . وكانوا عشرة . فكانوا أشد الناس معه في العلانية ، وأشد الناس عليه في الشر * وفي الغرائب : وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس أنها نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ، ويتباعد عما جاء به . روى أن قريشا اجتمعوا إلى أبي طالب يريدون سوأً بالنبي ﷺ ، فقال أبو طالب :

والله لَنْ يصلُوا إليك بجمعهم * حتّى أُوسّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر وقرّ بذاك منك عيونا
وعرضتَ ديناً لا محالة أنه * من خير أديان البريّة دينا
ودعوتّنى وزعمت أنك ناصحى * ولقد صدقت وكنتَ ثمَّ أمينا
لولا الملامةُ أو حذارى سَبّة * لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

وكذلك في الخازن : وفي الكرخى ، وقيل : نزلت في عمه أبي طالب وهو قول ابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير * والقائل بأنها نزلت في المشركين جماعة منهم الكلبي والحسن . وفي مجمع الزوائد قوله : ﴿ **وهُمْ ينهون عنهُ** ﴾ عن ابن عباس : ﴿ **وهُمْ ينْهَوْنَ عنه وينْأوْنَ عَنْهُ** ﴾ نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذى النبي ﷺ

وينأى عن اتباعه . قال الهيثمي : رواه الطبراني ، وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة وغيره .... وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات * وفي مستدرك الحاكم : حدثنا على بن حمشاذ العدل : ثنا محمد بن منده الأصبهاني ، ثنا بكر بن بكار ، ثنا حمزة بن حبيب بي أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَنْهونَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ قال نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به * قال الحاكم حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي * وحينئذ فجمع الضمير المرفوع من حيث استتباعه لأتباعه . وقوله كان ينهى المشركين الخ .. فعلى الأول وهم ينهون عنه يعنى عن اتباعه وهو عام فيدخل فيهم أبو طالب ، وعلى الثاني يعنى عن أذاه . وقوله : ﴿ إنْ يُهلِكُونَ إلاَّ أنْفُسَهُمْ ﴾ أي بما تقدم ذكره . ولكن النهى عن أذيته حسن لا يوجب الهلاك . ويمكن أن يجاب بأن الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهى مع النأى كقوله : ﴿ أتأمُرُونَ النّاس بالبر وتنْسُونَ أنْفُسَكُمْ ﴾ ولو سلم فلم لا يجوز أن يرجع الذم إلى القسم الأخير فقط ، وعبارة أبي السعود : بالنهى والنأى . أي ﴿ وإنْ ﴾ ما ﴿ يُهْلِكُوْنَ ﴾ بالنأى عنه ﴿ إلّا أنْفُسَهُمْ ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿ وما يشعرُونَ ﴾ بذلك أي بإهلاك أنفسهم . وهذه الآية متصلة بما قبلها إذ هى تأكيد لطعنهم في القرآن الكريم ونهيهم عن اتباع النبي ﷺ *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الّذى يَقُولُونَ فإنَّهُمْ لا يكذّبونَكَ ولَكِنَّ الظّالمينَ بآياتِ الله يجحْدُونَ ﴾ في الواحدي : قال السدى : التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام . فقال الأخنس لأبي جهل . يا أبا الحكم : أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيرى . فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجامة والندوة والنبوة فماذ يكون لسائر قريش ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال أبو ميسرة : إن رسول الله ﷺ مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا يا محمد : إنا والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به . فنزلت ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكنَّ الظالمينَ بآيات الله يجحَدُون ﴾ * وفي الخازن عن

علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ولكن نكذب الذى جئت به * فأنزل الله فيهم ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ...** ﴾ أخرجه الترمذي من طريقين ، وقال في أحدهما وهذا أصح . قلت : وفي المستدرك عن علي رضي الله عنه قال : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : قد نعلم يا محمد إنك تصل الرحم وتصدق الحديث ولا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **قد نَعْلَمُ إنّه ليَحْزُنُكَ الّذِي يَقُولُونَ فإنّهُمْ لَا يكذّبُونكَ ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ الله يجحُدُون** ﴾ قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وكذا في بقية التفاسير . وقوله تعالى : ﴿ **قَدْ** ﴾ للتحقيق ﴿ **نَعْلَمُ إنّهُ** ﴾ أي الشأن ﴿ **ليَحزُنُكَ الّذِي يقولُون** ﴾ لك من التكذيب وهو استئناف مسوق لتسلية النبي ﷺ عن الحزن الذي يعتريه مما حكى عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة في بيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانة من الله تعالى . وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى في الحقيقة ، وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام ، وكلمة قد للتحقيق وتأكيد العلم بما ذكر المقيد لتأكيد الوعيد كما في قوله :﴿قَدْ يَعْلَمَ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ وقوله : ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ الله المعوّقين** ﴾ * ونحوهما بإخراجها إلى معنى التكثير ، والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة متعلقاته . وقوله : ﴿ **فإنَّهمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ** ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق . والفاء للتعليل ، ووجه التعليل بأن التكذيب في الحقيقة لى ، وأنا الحليم الصبور فتخلق بأخلاق ، ويحتمل أن يكون المعنى إنه يحزنك قولهم لأنه تكذيب لي ، فأنت لم تحزن لنفسك بل لما هو أهم . ﴿ **ولَكِنَّ الظَّالِمينَ** ﴾ وضعه موضع المضمر ، وهم ﴿ **بآياتِ اللهِ** ﴾ القرآن ﴿ **يَجْحَدُون** ﴾ يكذبون في العلانية . والتعبير عن الكذب بالجحود للايذان بأن آياته تعالى واضحة بحيث يشاهد صدقها كل أحد ، وإن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحود الذى هو الانكار مع العلم ، والجحد والجحود نفى ما في القلب ثباته أو إثبات ما في القلب نفيه . وهو نقيض الاقرار كالانكار * وفي السمين وقيل : الجحد انكار المعرفة فليس مرادا للنفي من كل وجه * قلت : ولذا وصفهم بالظلم لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وفي المثل : من استرعى الذئب فقد ظلم . وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد ، والميل عن القصد . لذا كان وصفهم بالظلم والجحود أمرا لازما .﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾. في الواحدي : حدث المقداد بن شريح عن أبيه عن سعد قال : نزلت هذه الآية فيّ وفى ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال . قالت قريش لرسول الله ﷺ : إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهؤلاء . فأطردهم ، فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء أن يدخل ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُون رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والعشيّ يُرِيدُونَ وجْهَهُ** ﴾ الآية رواه مسلم عن زهير بن حرب ، عن عبد الرحمن عن سفيان عن المقداد . وفي رواية خباب بن الأرت قال : فينا نزلت كنا ضعفاء عند النبي ﷺ بالغداة والعشى ، فعلمنا القرآن والخير ، وكان يخوفنا بالجنة والنار ، وما ينفعنا ، والموت والبعث ، فجاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصين الفزاوى . فقالا : إنا من أشراف قومنا ، وإنا نكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك . قال : نعم قالوا : لا نرضى حتى نكتب بيننا كتابا ، فأتى بأديم ودوات ، فنزلت هؤلاء الآيات ﴿ **ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يدعونَ رَبَّهُمْ بالْغداةِ والعشيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فَتَنَّا بَعْضَهُمْ ببعْضٍ** ﴾ . وفي لباب السيوطي : مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال ، فقالوا يا محمد : أرضيت بهؤلاء ؟ وهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ؟ لو طردت هؤلاء لاتبعناك . فأنزل الله فيهم القرآن : ﴿ **وأَنْذِرِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **سبيل المجرمين** ﴾ * وكذا روى أحمد وابن جرير والطبراني . وعبارة الخازن : جاء الأقرع بن حابس التميمى وعتبة بن حصين الفزارى – وفى أبي السعود : وعيينة – وعباس بن مرادس : وهم المؤلفة قلوبهم . فوجودوا النبي ﷺ جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال ، فلما رأوهم حوله حقروهم ، وقالوا يا رسول الله : لو جلست في صدر المجلس . وأبعدت عنك هؤلاء ، ورائحة جبابهم – وكانت عليهم جبب من صوف لها رائحة كريهة

لمداومة لبسها لعدم غيرها – لجالسناك ، وأخذنا عنك ، فقال النبي : « ما أنا بطارد المؤمنين ، قالوا : فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم ، قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك ، فأتى بالصحيفة ، ودعا علياً ليكتب فنزل جبريل بقوله : ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ** ... ﴾ الآية فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة ، ثم دعانا ، وهو يقول :«سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة» فكنا نقعد معه ، وإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله : ﴿ **واصْبِرْ نفسَكَ** ... ﴾ الآية فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنوامنه حتى كادت ركبنا تمس ركبته ، فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم * وقال لنا : الحمد لله الذى لم يمتني حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى ، معكم المحيا ومعكم الممات» وأورد بعدها روايات كثيرة كلها في نفس المعنى . وفي مجمع الزوائد قوله تعالى : ﴿ **وأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَروا إلى ربّهم** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تطرِدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ** ﴾ عن ابن مسعود قال : مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ . وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار . فقالوا يا محمد : أرضيت بهؤلاء فنزل فيهم القرآن ﴿ **وأَنْذِرْ به الَّذِينَ يَخَافُون أَنْ يُحْشَرُوا إلى ربّهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **والله عَلِيمٌ بالظالمين** ﴾ رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : فقالوا يا محمد : أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا لو طردت هؤلاء لأتبعناك ، فأنزل الله : ﴿ **وَلَا تطرِدِ الَّذِينَ يدْعُون رَبَّهُمْ بالْغداةِ والْعَشِيّ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أَلَيْسَ الله بأعلَمَ بالشاكرينَ** ﴾ . ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة . قوله تعالى ﴿ **واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ربّهم** ﴾ عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ، وهو في بعض أبياته . فخرج يتلمس ، فوجد قوما يذكرون الله : منهم ثائر الرأس وحاف الجلد ، وذو الثوب الواحد . فلما رآهم جلس معهم ، فقال : الحمد لله الذى جعل في أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم * قال الهيثمى : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وقد ذكر الطبراني عبد الرحمن في الصحابة * أما التفسير : ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالْغَداةِ والْعَشِيّ يُرِيدُونَ** ﴾ بعبادتهم ﴿ **وَجْهَهُ** ﴾ تعالى

لا شيئاً من أغراض الدنيا ، وهم الفقراء كما علمت أى ولا تطرد أيها الرسول هؤلاء المؤمنين الموحدين الصابرين على البأساء والضراء الذين يعبدون ربهم في كل الأوقات ، وخص الغداة والعشى لأنها طرفي الليل والنهار . قال ابن عباس : يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ، ويروى عنه أن المراد منه الصلوات الخمس ، وإنما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ، ولأنهم مواظبون عليهما مع بقية الصلوات ، ولأن الصلاة تشمل على القراءة والدعاء ، والذكر ، فعبر الدعاء عن الصلاة لهذا المعنى . قال مجاهد : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب ، فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاضى . فقال سعيد بن المسيب : ما أسرع الناس إلى هذا المجلس ؟ فقال مجاهد : يتأولون قوله تعالى : ﴿ **يدعُونَ ربَّهُمْ بالْغَدَاةِ والعشّى** ﴾ قال : أو في هذا ، إنما هو في الصلاة التى انصرفنا عنها الآن * وقيل : المراد منه حقيقة الدعاء والذكر . قوله : ﴿ **مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيء وما من حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شيء** ﴾ يعنى لا تكلف أمرهم ولا يكلفون أمرك . وقيل : ما عليك حساب رزقهم ، فتطردهم عنك ولا رزقهم عليك إنما هو على الله ، قوله : ﴿ **وما مِنْ حسابك عليهم من شيء** ﴾ هذا تتميم . ومجرد فائدة وإلا فالكلام قد تم بدونه . أويقال : إن الطرد جزاء والجزاء لا يكون إلا على سيء الأعمال ولا يثبت ذلك إلا بالحساب ، وحسابهم ليس على الرسول كما أنهم ليسوا محاسبين عن أعماله ، وكلا الحسابين مردّهُ لله تعالى ﴿ **فتكُونَ مِنَ الظّالِمِنَ** ﴾ يعنى بطردهم عنك وعن مجلسك ، وفي هذا تعريض بأولئك الذين طلبوا طردهم بأنهم ظالمون ، وقد علمت أن الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه ، فيكون المعنى إن أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب، فلا تهم بطردهم عنك ، فتضع الشيء في غير موضعه ، وذلك بأن تحرمهم من مجالستك ومحادثتك . فهو من باب ترك الأفضل والأولى لا من باب ترك الواجبات . وحاشا رسول الله ﷺ من الظلم ، وإنما ورد الخطاب على التحذير قبل الطرد فلم يطردهم لذا انتفى أن يكون ﷺ من زمرة الظالمين وإيضاحه أن تطردهم منصوب على جواب النفى بأحد معنيين فقط وهو انتفاء الطرد لانتفاء كون حسابهم عليه وحسابه عليهم لأنه ينتفى المسبب بانتفاء سببه ، ولنوضح ذلك في مثال : وهو ما تأتينا فتحدثنا بنصب فتحدثنا . وهو يحتمل

معنيين : أحدهما انتفاء الاتيان وانتفاء الحديث كأنه قيل : ما يكون منك إتيان فكيف يقع منك حديث . وهذا المعنى هو مقصود الآية الكريمة أى ما يكون مؤاخذة كل واحد بحساب صاحبه فكيف يقع طرد؟! والمعنى الثاني انتفاء الحديث ، وثبوت الاتيان كأنه قيل : ما أتأتينا محدثا بل تأتينا غير محدث ، وهذا المعنى لا يليق بالآية الكريمة * وقوله : فتكون معطوف على فتطردهم . فيكون المعنى المفهوم هو انتفاء الحساب وانتفاء الطرد والظلم المسبب عن الطرد * وبما ذكرت يرد به على الطاعنين في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية ، فقالوا : إن النبي ﷺ لما همّ بطرد الفقراء عن مجلسه لأجل الأشراف عاتبه الله على ذلك ، ونهاه عن طردهم . وذلك يقدح في العصمة . وقد علمت كيف ترد عليهم ، وقوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ** ﴾ أي وكذلك ابتلينا الغنى بالفقير والفقير بالغنى ، والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف .. فكل أحد مبتلى بضده ، فكان ابتلاء الأغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم إلى الإسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الإسلام لذلك ، فكان ذلك فتنتهم وابتلاؤهم ، وأما فتنة الفقراء بالأغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب

عيشهم فكان ذلك فتنة لهم . والكاف من كذلك في محل نصب على أنها نعت لمصدر محذوف،والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم الذى فهم من سياق أخبار الأمم الماضية . فتنا بعض هذه الأمة ببعض والاشارة بذلك إلى الفتون المدلول عليه فتنا . ﴿ **لِيَقُولُوا** ﴾ الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿ **أهؤلاء** ﴾؟الفقراء ، استفهام انكارى ﴿ **منَّ الله عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا** ﴾ بالهداية إلى الاسلام قبلنا . لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه قال تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ الله بأَعْلَمَ بالشَّاكرينَ** ﴾ له فيهديهم ؟ بلى * أي إن المستحق لمنّ الله وزيادة نعمه إنما هو من يقدرها قدرها ، ويعرف حق المنعم بها فيشكره عليها لا من سبق الانعام عليه فكفر وبطر وعتا واستكبر ، وفي الآية إيماء إلى أن ما اغتروا به من النعم لن يدوم ، ولا يبقى المؤمنون على الضعف الذى صبروا عليه ﴿ **وإذْ تأذّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُمْ ولَئِنْ كفَرْتُمْ إنَّ عذَابِى لَشَدِيدٌ** ﴾ كذلك فيها إشارة إلى أن تركهم للايمان لم يكن إلا جحودا ناشئا عن الكبر والعلو فى الأرض لا عن حجة ولا عن شبهة ، وإلى أن ضعفاء المؤمنين السابقين لم يفتنوا بغنى كُبراء المشركين وقوتهم *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وإذَا جَاءَكَ الّذِينَ يُؤمِنُونَ بآياتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عليْكُمْ كَتَبَ ربُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فأنَّهُ غفُورٌ رَحيمٌ ﴾ في الواحدي : قال عكرمة : نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم ، فكان إذ رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام ، وقال : الحمد لله الذى جعل في أمتى من أمرني أن أبدأهم بالسلام ، وقد تقدم الكلام عليها ، أي وإذا جاءك القوم الذين يصدقون بكتابنا وحججنا ، ويقرون بذلك قولا وعملا ، سائلين عن ذنوبهم ، التى فرطت منهم : هل لهم منها توبة ؟ فلا تُؤيّسهم منها ، وقل لهم : سلام عليكم ، أي أمنةُ الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها لأنه تعالى أوجب على ذاته المقدسة تفضلاً منه وإحسانا . الرحمة بخلقه أنه من عمل منهم عملا تسؤء عاقبته حال كونه ملبسا بجهالة دفعته إلى ذلك السوء ، كغضب شديد حمله على السب والضرب ، أو شهوة مغتلمة قادته إلى انتهاك العرض ، ثم تاب ورجع عن ذلك السوء بعد أن علم أنه شاعرا بقبحه نادما عليه خائفا من عاقبته ، وأصلح عمله بأن اتبع ذلك العمل السيء بعمل يضاده ويذهب أثره من قلبه حتى يعود إلى النفس زكاؤها وطهارتها ، وتصير أهلا للقرب من ربها – فشأنه تعالى في معاملته أنه واسع المغفرة والرحمة ، فيغفر له ما تاب عنه ، ويتغمده برحمته وإحسانه *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ إنّى على بيّنَةٍ مِنْ رَبىّ وكَذَّبْتُم بِهِ ما عِنْدِى ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إن الْحُكْمُ إلاَّ لله يقُصُّ الحقَّ وهْوَ خيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ في الواحدي : قال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد : ائتنا بالعذاب الذى تعدنا به استهزاء منهم . فنزلت هذه الآية * ولم يوجد في التفاسير غير هذا القول . أما التفسير : ﴿ قُلْ إنّى علَى بيّنةٍ ﴾ بيان أي دليل وبرهان واضح وهو القرآن ﴿ مِنْ ربّى ﴾ أي منزل من عند ربّى ﴿ وَ ﴾ قد ﴿ كذبتُم به ﴾ أي بوحدانيته حيث أشركتم غيره معه ﴿ ما عِنْدِى ما تستعجلُونَ به ﴾ من العذاب وفي الخازن أن سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم ، وكانوا يستعجلون به استهزاء كما في آية الأنفال : ﴿ وإذْ قالُوا اللّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحقَّ مِنْ عِنْدِك فأمْطِرْ عَلَيْنا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أو ائتنا بِعَذَابٍ أليِمٍ ﴾ ﴿ إنْ ﴾ ما ﴿ الْحُكْمُ ﴾ في ذلك

وغيره أي في التقديم والتأخير ﴿ **إلاَّ لله** ﴾ وحده ﴿ **يَقُصُّ** ﴾ القضاء وفي قراءة بكسر الصاد من قص الحديث ، ومن قص الأثر أي تتبعه . ﴿ **الحقَّ** ﴾ فيحكم به ﴿ **وَهُوَ خيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴾ الحاكمين بين الخصمين ، فلا يقع في حكمه وقضائه جور ولا حيف على أحد من خلقه *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلى أنْ يَبْعَثَ عَلَيكُمْ عَذاباً مِنْ فوْقِكُمْ أو مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ انْظُرْ كيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُون** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال : لما نزلت ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ...** ﴾ الآية قال رسول الله ﷺ « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف » قالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال بعض الناس : لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت : ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وهُوَ الحَقُّ قلْ لَستُ عَلَيْكُمْ بِوَكيلٍ لِكُلِّ نَبأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلمُونَ** ﴾ * وفي ابن كثير : عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ علَى أنْ يبْعَثَ عليكُمْ عَذَاباً مِنْ فوقِكُمْ** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « **أعوذ** بوجهك » « أو من تحت أرجلكم » قال : ﴿ **أعُوذُ بوجهك** ﴾ ﴿ **أو يَلبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بَعْضٍ** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « هذا أهون وأيسر » قلت : رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه وفي آخره : هذا هو أو هذا أيسر . وقوله أعوذ بوجهك . أي بذاتك وقوله : ﴿ **ويُذيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ** ﴾ قال ابن عباس وغير واحد : يعنى يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل * وقوله : ﴿ **وهذا أهْوَنُ** ﴾ لأن الفتن من المخلوقين ، وعذابهم أهون من عذاب الله . وبالفتن ابتليت هذه الأمة وقوله : ﴿ **أوْ هذا أيْسَرُ** ﴾ شكٌّ من الراوى . ووقع في الاعتصام : هاتان أهون وأيسر . أي خصلة الالباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض * وفي مجمع الزوائد قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ القادِرُ** ﴾ عن أبى كعب في قوله تعالى ﴿ **قُلْ هُوَ القادِرُ عَلَى أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ**) الآية قال : «هن أربع وكلهن واقع لا محالة ،

فمضت اثنتان بعد رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعاً . وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة : الخسف والرجم » قال الهيثمى ورواه أحمد ورجاله ثقات * وكذا رواه بن جرير الطبري عن أبي العالة . وفي آخره : الخسف والمسخ . بدل الرجم . وروى ما ذكره السيوطي والبخاري . وروى عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ . قال الحسن : ثم قال لمحمد ﷺ ، وهو يشهده عليهم(انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، ولا يلبس أمته شيعا ويذيق بعضهم بأسَ بعض كما أذاق بنى اسرائيل فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد :«إنك سألت ربك أربعا فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين : لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم ، فإنهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها ورد كتاب ربها ، ولكنه يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وهذان عذابان لأهل الاقرار بالكتاب والتصديق بالأنبياء ، ولكن يعذبون بذنوبهم ، وأوحى إليَ ﴿ **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُون** ﴾ » يقول : من أمتك ، أو نريك الذي وعدناهم من العذاب وأنت حي ، فإنا عليهم مقتدرون فقام نبى الله ﷺ فراجع ربه فقال : أي مصيبة أشد من أن أرى أمتي يعذب بعضها بعضا ، وأوحى إليه ﴿ **الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنا وهُمْ لا يُفتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ فأعلمه أن أمته لم تخص دون الأمم بالفتن ، وأنها ستبلى كما ابتليت الأمم ، ثم أنزل عليه ﴿ **قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِى مَا يوعَدُون . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنى في الْقَوْمِ الظالمِينَ** ﴾ فتعوذ في الله . فأعاذه الله لم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة ، ثم انزل عليه آية حذر فيها أصحابه الفتنة ، فأخبره أنه إنما يخص بها ناس منهم دون ناس فقال : « واتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدَ الْعِقَابِ » . فخص بها أقواما من أصحاب محمد ﷺ بعده وعصم بها أقواما * قلت : وفي ابن كثير عن الحسن في قوله : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلَى أن يبعث عليلكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تحت أَرْجُلِكُمْ** ﴾ قال : هذه للمشركين . وعن مجاهد قال : لأمة محمد وعفا عنهم . قال الطبرى : والصواب من القول عندى أن يقال إن الله

تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان وإياهم خاطب بها لأنها بين أخبار عنهم وخطاب لهم ، وذلك أنها تتلو قوله : ﴿ **قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ والْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا من هَذِهِ لنكُونَنّ مِن الشّاكِرِينَ * قُلْ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تشْرِكُون** ﴾ ويتلوها قوله ﴿ **وكَذَّبَ بِهِ قَوْمكَ وهو الحَقُّ** ﴾ وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك . وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين كان بيناً أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله إياه بالشرك ، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب لا لمن لا يجر له ذكر،غير أن ذلك ، وإن كان كذلك فإنه قد عم وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها . وأما عن الأخبار التى رويت عن رسول الله ﷺ أنه قال :«سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعنى واحدة»فجائزا أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيدا لمن ذكرت من المشركين ، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم ، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يُعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم إياه هذه العقوبات فأعاذهم بدعائه إياه ، ورغبته إليه من المعاصى التى يستحقونها بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها ، ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها . وقال : وأما الذين تأولوا أنه عنى بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة ، فإنى أراهم تأولوا أن في هذه الأمة من سيأتى من معاصى الله وركوب ما يسخط الله نحو الذي ركب من قبلهم من الأمم السالفة من خلافه والكفر به ، فيحل بهم مثل الذى حل بمن قبلهم من المثلات والنقمات . وكذلك قال أبو العالية ، ومن قال بقوله . جاء منهن اثنتان بعد رسول الله ﷺ . بخمس وعشرين سنة ، وبقيت اثنتان الخسف والمسخ ، وذلك أنه روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :«سيكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف»، وإن قوما من أمته سيبيتون على لهو ولعب ، ثم يصبحون قردة وخنازير ، وذلك إذا كان فلاشك أنه نظير الذى في الأمم الذين عتوا على ربهم في التكذيب وجحدوا آياته * أما التفسير ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ** ﴾ استئناف مسوق لبيان أنه تعالى هو القادر على القائم في المهالك أثر بيان أنه هو المنجى لهم منها ﴿ **عَلَى أَنْ يَبعَثَ** ﴾ يرسل ﴿ **عَلَيكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ** ﴾ من السماء كالحجارة التى نزلت على أصحاب

الفيل ، والصيحة كصيحة جبريل التى صرخها على ثمود قوم صالح فتهلكوا ﴿ **أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ كالخسف الذى وقع بقارون وغرق فرعون . وقيل : من قبل أكابركم وسلاطينكم ، أو من جهة سفلتكم وعبيدكم قاله ابن عباس ولاشك أن لفظ العذاب نكرة مبهم قصد به الشمول ، ولا يخفى أن حروب العصر الحديث هى نوع من العذاب بما تقذفه الطائرات من الصواريخ والقنابل التى تحمل كل منها الآلاف المؤلفة من المواد المتفجرة من الحديد والمعادن الأخرى المهلكة ، ومن المواد المحرقة ، وصارت تطير آلاف الكيلو مترات لتصل إلى أهدافها المقصودة فتخرب المدن والقرى وتجعل عاليها سافليها بما تصب من عل حتى لكأنها بركان ثائر يريد أن يبتلع كل ما حوله ، وكذلك مقذوفات المدافع والألغام وصواريخ الغواصات في البحار فكم من سفينة أُحرقت بما فيها وغرقت ، وأصبح أهله وما فيها طعاما للسمك وحيوان البحر ، ولا شك أن أمم أوربا لا تزال حتى يومنا هذا وستبقى ما شاء الله شيعا متعادية يذيق بعضها بأس بعض ، وترى الناس من هول ما يصيبهم سكارى،وما هم بسكارى،ولكن عذاب الله شديد . روى أحمد والترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية – ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعثَ عَلَيكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ** ... ﴾ الآية فقال : « **أمَا إنّها كائنةٌ ولم يأتِ تأويلها بَعْدُ** » ﴿ **أَوْ يلْبسَكُمْ شِيَعاً** ﴾ فرقا مختلفة الأهواء . وفي القاموس : وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصة ، والجمع أشياع وشيع كعنب . وفي الخازن : وقيل : الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان . قال الزجاج في قوله : ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعاً** ﴾ يعنى يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله ﴿ **وَيُذيقَ بَعْضَكُمْ بأْسَ بَعْضٍ** ﴾ قال ابن عباس : قوله : ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً** ﴾ . يعنى الأهواء المختلفة ، ويذيق بعضكم بأس بعض . أنه يقتل بعضكم بيد بعض . أي ينطبق ما عليه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك بعضهم دماء بعض . وهذا يرجح قول أبي العالية وأبي بن كعب ، وقول القائل : ﴿ **أَوْ يَلْبسَكُمْ شيَعَاً** ﴾ ما كان بينهم من الفتن والاختلاق ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، يعنى ما كان

فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله ﷺ . ويؤيده ما رواه البخاري من قوله عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث :«هذا أهون أو هذا أيسر» ويعنى قوله :«أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض» وعن سعد بن أبي وقاص أنه أقبل مع النبي ﷺ ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجدابن معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف إلينا فقال : « سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ، ومنعنى واحدة ، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فنعنيها» أخرجه مسلم والترمذي عنه به * وقوله : ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ** ﴾ أي انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحججنا لهؤلاء المكذبين ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل * فيزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن زحر ، عن بكر بن سوادة . قال : حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلا ، ثم حمل فقتل آخر ، ثم حمل فقتل آخر ، ثم قال : أينفعنى الإسلام بعد هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » فضرب فرسه فدخل فيهم ، ثم حمل على أصحابه ، فقتل رجلا ، ثم آخر ، ثم آخر ، ثم قتل . قال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيه : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ... ﴾ الآية * وفي ابن كثير : عن جرير عن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ . فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضح نحونا ، فقال رسول الله ﷺ : « كأن هذا الراكب إياكم يريد » فانتهى إلينا الرجل ، فسلم فرددنا عليه . فقال له النبي ﷺ : « من أين أقبلت ؟ » قال من ولدى وأهلى وعشيرتى . قال : « فأين تريد ؟ » قال : أريد رسول الله ﷺ . قال : « فقد أصبته » قال : يا رسول الله : علمنى ما الإيمان ؟ قال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة،وتؤتى الزكاة،وتصوم رمضان،وتحج البيت » قال : قد أقررت ، قال : ثم إن بعيره دخلت يده في سبكة جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات ، فقال رسول الله ﷺ : « علىَّ بالرجل » فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ،

فأقعداه ، فقالا يا رسول الله : قبض الرجل . قال : فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ، ثم قال لهما رسول الله ﷺ : « أما رأيتم إعراضي عن الرجل ، فإني رأيت ملكين يدسان فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائعا » ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ الآية . ثم قال : « دونكم أخاكم » فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر ، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال : « ألحدوا ولا تشقوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا » * اللحد : الشق في جانب القبر . وأخرج عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مسرى ساره إذ عُرض له أعرابي . فقال يا رسول الله : والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادى وتلادى – عبيدى – ومالى لأهتدى بهداك ، وآخد من قولك ، وما بلغتك حتى ما لى طعام إلا من خضر الأرض ، فأعرض عليّ ، فعرض عليه رسول الله ﷺ فقبل ، فازدحمنا حوله ، فدخل خف بكره في بيت جرذان فتردى الأعرابى فانكسرت عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق ، والذى بعثنى بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وما له ليهتدى بهداى ، ويأخذ من قولى ، وما بلغنى حتى ما له طعام إلا من خضر الأرض ، أسمعتم بالذى عمل قليلا وأجره كثيرا ؟ هذا منهم ، أسمعتم الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؟ فإن هذا منهم » والمراد بالظلم الذى يلبس به المرء إيمانه بالله وغلطه به فينقص منه ، أو ينقصه هو الشرك في العقدية أو العبادة يدل على هذا التفسير ما رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم من حديث أبن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الناس ، وقالوا يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه ؟ فقال ﷺ :«إنه ليس الذى تعنون . ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إنما هو الشرك ، والمراد بالأمن من عذاب الله الذى يحل بمن لا يرضى إيمانه ولا عبادته ، والمعنى : إن الذين آمنوا بالله تعالى ، ولم يخلطوا إيمانهم بظلم عظيم وهو الشرك به سبحانه وتعالى . أولئك لهم الأمن يوم الفزع الأكبر ، « وَهُمْ فِي الغرفاتِ آمِنُونَ » ، وهم مهتدون في الدنيا إلى سبيل الهدى والرشاد قال البخاري : حدثنى محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدى عن شعبة ، عن سليمان عن ابراهم ، عن علقمة ، عن عبد الله رضي الله عنه

قال : لما نزلت«وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُم بِظُلْمٍ» قال أصحابه : وأينا لم يظلم ، فنزلت : ﴿ **إنّ الشّرك لظلْمٌ عظيمٌ** ﴾ روى الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير عن زياد بن حرملة قال : سمعت علي بن أبي طالب يقرأ هذه الآية : ﴿ **الذين آمَنُوا ولم يَلْبسُوا إيمانَهُمْ بظلْمٍ** ﴾ . قال : هذه في ابراهيم وأصحابه ، وليست في هذه الأمة * قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وسكت الذهبى . وهو دليل على اقراره . نعم إن الآية وردت في وسط قصة إبراهم عليه السلام ، وهو يؤيد ما ذكره عليّ كرم الله وجهه ، فهى جواب من الله ، به فصل القضاء بين ابراهيم ومن حاجه من قومه ، وروى ابن جرير عن عكرمة ، قال هي لمن هاجر إلى المدينة . قال : وأولى القولين بالصحة في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ وهو الخبر الذى رواه ابن مسعود عنه أنه قال : الظلم ذكره الله تعالى في هذا الموضع إنما هو الشرك . قلت : ولا مانع من كون الآية على العموم لأن الله لم يخص به معنى من معانى الظلم على التقييد في هذه الآية ولذا اختلفت أقوال المفسرين فعن مجاهد في قوله :«ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ» قال : عبادة الأوثان . وعن أبي عبد الرحمن : قال : بشرك . كما اختلفوا في الآية فقال بعضهم : عنى بها ابراهيم . وقال بعضهم : عنى بها المهاجرين . فلا أقل من أن تحمل على العموم وأعنى بذلك أعمال الشرك كلها تمسكاً بالحديث الصحيح وبقوله تعالى : ﴿ **وما يُؤْمِنُ أكثَرُهُمْ بالله إلاَّ وهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾ وبقوله : ﴿ **فَمَنْ كانَ يَرْجُو لقاء رَبِهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولاَ يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبّهِ أحَداً**) والعبادات معروفة في الإسلام. وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فيجب أن تكون خالصة لوجه الله بريئة عن الرياء . أي لا يشرك به سواه ، لا إشراكاً جليا كما فعل الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ، ولا إشراكا خفيا كما فعل أهل الرياء ممن يطلب بعمله الدنيا ، وهذا هو الشرك الأصغر كما صح في الحديث ، وروى مستفيضا في الأخبار من أن كل عمل أريد به الدنيا لا يقبل فقد أخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل قال : ﴿ **أنا خيْرُ الشُّرَكاء ، فمنْ عمل عملاً أشرك فيهِ غيْرِى ، فأنا برىء منه ، وهو للذى أشرك** ﴾ فيكون المراد بالظلم . الشرك في العقيدة والعبادة كمن يعتقد ببعض المخلوقين نفعاً وضرا بذاته ، أو بتأثيره في مشيئة الله وقدرته مسندا السبب إليه لا إلى

الله ، وهذا الشرك الأكبر . لا ظلم الانسان لنفسه أو لغيره ببعض التصرفات والأحكام ، فهو ظلم جور لا شرك * نسأل المولى العظيم الرحمن الرحيم أن يجعل عملنا خالصاً لوجه ، لأيراد به رضا أحد من خلقه *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شيءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ ولاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي : قالت اليهود يا محمد : أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : « نعم » قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتاباً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الذى جَاءَ به موسى نوراً وهُدىً ...** ﴾ . وقال سعيد بن جبير : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف ، فخاصم النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ :«أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين» وكان حبراً سمينا ، فغضب ، وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فقال له أصحابه الذين معه ، ويحك ولا على موسى ؟! فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وكذا في الغرائب والخازن . زادا ، فقال أصحابه الذين معه : ويحك ولا على موسى ؟! فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فلما سمعت اليهود تلك المقالة عتبوا عليه ، وقالوا : أليس الله أنزل التوراة على موسى ؟ فَلِمَ قلتَ هذا ؟ قال : أغضبني محمد فقلته ، فقالوا : وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق ، فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف * وفي ابن كثير : قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير : نزلت في قريش . واختاره ابن جرير . وقيل : نزلت في طائفة من اليهود . وقيل : في فنحاص رجل منهم . وقيل : في مالك الصيف . قال ابن كثير : والأول أصح لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر * قلت : وفي الآية يقول تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ أنزل الكتاب الذى جاء به موسى** ﴾ . يحتم أن الآية نزلت في طائفة من اليهود ، ويؤكد هذا قوله : ﴿ **تجعلُونه قراطيسَ** ﴾ . أي يكتبونه في دفاتر مقطعة يبدون ما يحبون إبداءه منها وهم

الأحبار من اليهود بقصد إخفاء صفة النبي ﷺ وما يوافق هواهم بخلاف ما لو جمعوا الكل في مجلد واحد كالمصحف فربما اطلع غيرهم على جميع ما فيه . والقرشيّون لا يليق بهم ذلك ، والقول في أنها نزلت في اليهود هو قول سعيد بن جبير وعكرمة والسدى ومحمد بن كعب القرظى وقتادة وابن عباس . روى الطبرى في تفسيره عن سعيد بن جبير في تفسير الآية قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف . وساق الحديث . وروى عكرمة في قوله : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا الله حقَّ قدْرِهِ ...** ﴾ قال نزلت في مالك بن الصيف كان من قريظة من أحبار يهود .. وعن السدى : قال : فنحاص اليهودى . وعن محمد بن كعب القرظى قال : جاء ناس من يهود إلى النبي ﷺ فقالوا يا أبا القاسم : ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله ، فأنزل الله : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة** ﴾ ...الآية فجثا رجل من يهود فقال : ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فأنزل الله : ﴿ **وما قدرُوا الله حقَّ قدْره ...** ﴾ قال محمد بن كعب : ما علموا كيف الله إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً .. وعن قتادة : ﴿ **وما قدرُوا الله حقّ قدْرِهِ ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **في خوضهم يلعبون** ﴾ . هم اليهود والنصارى : قوم آتاهم الله علما فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به . ولم يعملوا به فذمهم الله ، في عملهم ذلك .. وعن ابن عباس قوله : ﴿ **وما قدروا الله حق قدْرِهِ** ﴾ إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء . يعنى من بنى اسرائيل قالت اليهود يا محمد : أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : « نعم » قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتابا ، قال : فأنزل الله ﴿ **قل يا محمد من أنزل الكتاب ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولا آباؤكم** ﴾ . قال : الله أنزله . قال الإمام الرازى وهو يرد على ابن جرير الذى صحح القول الأول بأنها نزلت في قريش : إن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الأنبياء فكيف يمكن إلزامهم بنبوة موسى . وأيضا فما بعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش إنما يليق بحال اليهود . كما أن كفار قريش واليهود كانوا مشركين في إنكار نبوة محمد ﷺ لذا قيل : لا يبعد أن بعض الآية يكون خطاباً لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود . وفي الخازن أن الآية نزلت في اليهود وهو قول

جمهور المفسرين . وهذا على قول من يقول إن هذه الآية مـدنيـة، وأنها من الآيات المدنيات التى في السور المكية . قال ابن عباس : نزلت سورة الأنعام بمكة إلا ست آيات منها قوله : ﴿ **وما قَدرُوا الله حقّ قدره** ﴾ فإنها نزلت بالمدينة . وبه ينحل الاشكال .
أما التفسير : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا الله حقّ قَدْرِهِ** ﴾ قال ابن عباس : أي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث أنكروا النبوة والرسالة . وقال أيضا في رواية : ما آمنوا بأن الله على كل شيء قدير . وقال أبو العالية : ما وصفوه حق صفته . وقال الأخفش : ما عرفوه حق معرفته أي في اللطف بأوليائه أو في القهر لأعدائه . وقال الجوهرى : قدر الشيء مبلغه ، وقدرت الشيء أقدره قدراً من التقدير ، أي حرره وعرف مقداره ، ثم بين سبب عدم عرفانه بقوله : ﴿ **إذْ قَالُوا ما أنْزَلَ الله على بَشَرٍ منْ شيء** ﴾ وإنما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لأنه إما أن يدعى أنه تعالى ما كلف أحدا من الخلائق تكليفا أصلا وهو باطل لأنه فتح باب المنكرات والقبائح بأسرها ، وإما أن يُسلّمَ أنه تعالى كلف الخلق بالأوامر والنواهى ، ولكن لا على ألسنة الرسل ، وهذا أيضا جهل ، فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون العقل كافيا في إيجاب الواجبات وحظر المنكرات . فالجواب : هب أن الأمر كذلك إلا أنه لا يمتنع تأكيد التصرف العقلى بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتصرفات المشروعة على ألسنة الرسل لأن أكثر العقول قاصرة عن إدراك مدارك الأحكام الشرعية ، كما أن نور البصر قاصر عن إدراك المبصرات إلا إذا أُعين بنور من خارج كنور الشمس أو السراج ، وأيضا تفويض مصالح العباد إلى مقتضى عقولهم يؤدى إلى التنازع والتشاجر لتصادم الأهواء وتناقض الآراء . فلابد من أن يتفقوا على واحد يصدرون عن رأيه . وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح وإشراف على الضلال لاحتمال الخطأ في اجتهادهم ، فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الأمر فلزم أن يكون التعيين من الله سبحانه بكونه أعرف بالبواطن كقوله : ﴿ **الله أعْلَمُ حيْثُ يجْعَلُ رسَالَتَهُ** ﴾ وإنما يعرف ذلك المعيَّن بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقاً له . ومن أنكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونقصان القدرة *
الغرائب . وقال : وقد طعن بعض الملحدة فى الآية بأن هؤلاء القائلين إن كانوا كفار قريش أو البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الأنبياء كما ينكرون رسالة محمد ﷺ فكيف

يمكن إبطال قولهم بقوله : ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ الّذِى جَاءَ به مُوسى** ﴾ على أن قوله : تجعلونه قراطيس . بتاء الخطاب إنما يليق باليهود وإن كانوا أهل الكتاب فهم لا يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء ، بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى ، وأيضا الأكثرون اتفقوا على أن السورة مكية ، وأنها نزلت دفعة واحدة ، ومناظرات اليهود مع رسول الله ﷺ كانت مدنية ، فكيف يمكن حمل الآية على تلك المناظرة ؟ والجواب : أنهم إن كانوا كفار قريش فإنهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى ، وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزة على يد موسى كالعصا وفلق البحر وإظلال الجبل وغيرهما ، وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى ، وعلى هذا لا يبعد إيراد نبوة موسى إلزاما لهم في قولهم : ﴿ **ما أنزل الله على بشر من شيء** ﴾ . ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في إنكار نبوة محمد ﷺ لم يبعد أن يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش أولا ولأهل الكتاب آخرا . وأما إن كانوا أهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فالوجه ما روى عن ابن عباس أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم ، وكان رجلا سمينا دخل على الرسول ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : « أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود » ، فضحك القوم ، فغضب ، ثم التفت إلى عمر ، فقال : ما أنزل الله على بشر من شيء . فقال له قومه : ماهذا الذى بلغنا عنك ؟ فقال : إنه أغضبنى ، ثم إن اليهود لأجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف ، فلعل مالك بن الصيف لما تأذى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول ﷺ . وأنه ما أنزل عليه شيء البتة ، فأمر أن يقول في جوابه : من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى .. » وأما قول الخصم أن السورة مكية والمناظرات مدنية ، فأجيب عنه بأن السورة مكية إلا ست آيات منها هذه الآية كما علمت . وهو قول ابن عباس رضي الله عنه كما هو في الخازن وغيره ، قلت : ومما يؤيد أن الخطاب لليهود قوله تعالى : ﴿ **وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ ولا آباؤكُمْ** ﴾ أي علمتم على لسان محمد ﷺ مما أوحى إليه ما لم تعلموا أنتم .. وأنتم حملة التوراة ، ولم تعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم – إن هذا القرآن يقص

على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون . وقوله : ﴿ **قُلِ اللهُ** ﴾ أي أنزله الله ، فإنهم لا يقدرون أن يناكروك ﴿ **ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِم** ﴾ في باطلهم الذى يخوضون فيه ﴿ **يلعبونَ** ﴾ يستهزؤن ويسخرون ، وفيه وعيد وتهديد للمشركين *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلى الله كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إليَّ ولَمْ يُوحَ إليْهِ شيء ومَنْ قَالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ مٰا أَنْزَلَ الله ولَوْ تَرى إِذا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ والملائكَةُ بَاسِطُواأَيْدِيهِمْ أَخرِجوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمٰا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلى الله غيْرَ الحقّ وكُنْتُمْ عَنْ آياتِه تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ ذكر الواحدى أنها نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفى كان يسجع ويتكهن ويدعى النبوة ، ويزعم أن الله أوحى إليه . ﴿ **ومَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ مٰا أَنْزَلَ الله** ﴾ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح . كان قد تكلم بالاسلام ، فدعاه رسول الله ﷺ ذات يوم يكتب شيئا فلما نزلت الآية التي في المؤمنين – ﴿ **ولقد خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ** ﴾ – أملاها عليه ، فلما انتهى إلى قوله – ﴿ **ثم أنشأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ** ﴾ – عجب عبد الله في تفصيل خلق الانسان فقال : تبارك الله أحسن الخالقين . فقال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت علي ، فشك عبد الله حينئذ ، وقال : لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إليَّ كما أوحى إليه ، ولئن كان كاذباً لقد قلتُ كما قال . وذلك قوله – ومن قال :«سأنزل مثل مٰا أَنْزَل الله – وارتد عن الإسلام ، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي ، وفي رواية شرحبيل بن سعد ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة أتى به عثمان رسول الله ﷺ فاستأمن له *

وفي اللباب : ﴿ **ومَنْ قال سأُنزِلُ مِثْلَ مٰا أَنْزَلَ الله** ﴾ قال السيوطي : نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ ، فيملى عليه عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم ، ثم يقرأ عليه فيقول : نعم سواء فرجع عن الإسلام ، ولحق بقريش .. وأخرج عن السدى نحوه وزاد قال ابن سرح : إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إليّ ، وإن كان الله ينزل فقد أنزلتُ مثل ما أنزل الله ، قال : محمد سميعا عليما ، فقلت أنا : عليما حكيما * وكذا في الخازن . وفيه : وقال ابن عباس : نزل قوله : ﴿ **ومَنْ قَال سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ الله** ﴾ . في المستهزئين وهو جواب لقولهم : لو نشاء لقلنا مثل هذا *

قلت : وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذباً في ذلك الزمان وبعده

لأنه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم بدليل ما في الكشاف . وقيل : هو النضر بن الحارث والمستهزئون * أي فقد كان النضر بن الحارث يدعى معارضة القرآن وهو قوله : ﴿ **لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذا** ﴾ * وقال المفسرون : نزلت في الكذابيْن : مسيلمة الكذاب والأسود العنسى ، كان مسيلمة يقول : محمد رسول الله في بنى قريش وأنا رسول الله في بنى حنيفة . وخصها الجلال في مسيلمة . أي أنه تارة ادعى النبوة ، وتارة ادعى الايحاء . واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فكل من نسب إلى الله تعالى ما هو برىء إما في الذات وإما في الصفات ، وإما في الأفعال كان داخلا تحت هذا الوعيد . أما التفسير : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً** ﴾ بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿ **أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ ولَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شيء** ﴾ هو عام في كل من مسيلمة والأسود وابن سرح والنضر ومن على شاكلتهم من الذين يفترون على الله الكذب ﴿ **وَمَنْ قَالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ الله** ﴾ وهم المستهزئون قالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا . ويدخل فيهم مسيلمة الكذاب . فإنه لم **يُفلح** بمعارضته القرآن فافتضح أمره وأتى بمخرقة يتضاحك منها الناس إلى قيام الساعة حيث قال : يا ضفدع نقى كما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين . فلما سمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا قال : إنه لكلام لم يخرج من (إل) قال ابن الأثير أي من ربوبية . والاءل بالكسر هو الله تعالى . وقيل : الاءل هو الأصل الجيد . أي يجيء من الأصل الذى جاء منه القرآن ، ولما سمع مسيلمة الكذاب – لعنه الله – ﴿ **والنّازعات غرقاً** ... ﴾ قال : والزارعات زرعا والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا والخافرات حفرا ، والثاردات ثردا واللاقمات لقما . لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر . إلى غير ذلك من الهذيان . وقال آخر من المستهزئين : ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى ، من بين شراسيف وأحشى . وقال آخر : الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وثيل ، ومشفر طويل ، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل . ففى هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا خفاء فيه على من لا يعلم فضلا عمن يعلم . وجزاء أمثال هؤلاء ﴿ **وَلَوْ تَرَى** ﴾ يا محمد . والرؤية بصرية ومفعولها محذوف أى ولو ترى الظالمين إذ هم ﴿ **في**

غَمَراتِ ﴾ سكرات ﴿ **الموت** ﴾ الغمرة هى الشدة العظيمة ، وأصلها من غمرة الماء إذا ستره كأنها تستر بغمها من تنزل به ﴿ **والملائِكَةُ بَاسِطُوا أيْدِيهِمْ** ﴾ إليهم.بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا ﴿ **أَخْرِجُوا أنْفُسَكُمْ** ﴾ أي أرواحكم الخبيثة لنقبضها . وفي الحديث : « إن أرواح الكفار تأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج » ، فيفيد أن أرواح الكفار لا تخرج إلا به ، أو المراد أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآفات والآلام ، أو هاتوا أرواحكم وأخرجوها إلينا من أجسادكم . وهذه عبارة عن العنف والتشديد في إزهاق الروح من غير تنفيس وإمهال ، وإنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح يبسط يده إلى من عليه الحق ، ويقول : **أخرج إليّ** ويقول : أخرج إلى ما لى عليك ، ولا أريم مكانى حتى أنزعه من أحداقك . فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المألوف بالضرب الشديد ، وهو أول عذاب ينزل بهم فى آخر ساعة من حياتهم الدنيوية متصلا بالعذاب الأخروى الذى لا ينتهى قائلين لهم : ﴿ **الْيَومَ تُجزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ** ﴾ الهوان ، وإضافة العذاب إلى الهون إيذانا بأنه متمكن فيه ، وذلك لأنه ليس كل عذاب يكون فيه هون لأنه قد يكون على سبيل الزجر والتأديب كضرب الوالد ولده ، كل ذلك بسبب ﴿ **بمَا كُنْتُمْ تقُولُون علَى الله غَيْرَ الحقّ** ﴾ بدعوى النبوة والايحاء كذباً . ﴿ **وكنتُمْ عَنْ آياتِهِ تسْتكبرون** ﴾ أي تتكبرون عن الإيمان بها . يعنى أن هذا العذاب الشديد إنما حصل بمجموع الأمرين . الافتراء على الله والتكبر على آيات الله . وهو عدم الإيمان بها . قال الواحدي :﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾.. أي لا تُصَلُّون له . لقوله ﷺ : « من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برىء من التكبر » * قلت : وفي الآية دلالة على أن النفس الانسانية شىء غير هذا الهيكل المحسوس لأن المخرج يجب أن يكون مغايراً للمخرج منه *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمونا فُرادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أوّلَ مرَّةٍ وتَركتُمْ مَا خوَّلْنَاكُمْ وراءَ ظُهُورِكُمْ ومَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الّذينَ زَعمْتُمْ أنّهم فِيكُمْ شركَاءُ لَقَدْ تقطَّع بَيْنكُمْ وضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تزْعمُونَ** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال النضر بن الحارث سوف تشفع إليَ اللّات والعزى . فنزلت هذه الآية : ﴿ **ولقد جئْتُمونا فُرادى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما نَرى معكُمْ**

شفعاءكُمْ ﴾ * ولم أعثر في التفاسير على غير هذا القول . إلا ما ذكره ابن جرير الطبري . وقيل إن ذلك كان قول كافة عبدة الأوثان * أما التفسير : ﴿ **ولَقَدْ جِئْتُمونا** ﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على قول الملائكة : أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون . ويحتمل أنه في قول الله تعالى إن جوزنا أنه يتكلم مع الكفار . وقوله : ﴿ **فُرادَى** ﴾ يعنى وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم . والأولى أن يكون هذا خبرا من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة ، وكيف يحشرون إليه ، وماذا يقول لهم في ذلك اليوم قول تقريع وتوبيخ لهم لأنهم صرفوا هممهم في الدنيا إلى تحصيل المال والولد والجاه . وأفنوا أعمارهم في عبادة الأصنام ، فلم يغن عنهم كل ذلك شيئاً في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا ﴿ **كما خلقناكُمْ أوّلَ مَرَّةٍ** ﴾ يعنى جئتمونا حفاة عراة غرلاً ، يعنى قلفا كما ولدتهم أمهاتهم في الدنيا . أي بدون طهور وقطع سُرة لا شيء عليهم ولا معهم . أخرج الشيخان عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال أيها الناس : « إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أولَ خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين » .. وأخرج الشيخان عن عائشة . قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تحشر الناس حفاة عراة غرلا » . قالت عائشة : فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك » روى الطبرى بسنده عن عائشة أنها قرأت قول الله عز وجل : ﴿ **ولَقَدْ جِئْتُمونا فرادَى كما خَلَقْناكُمْ أوّلَ مرّة** ﴾ . فقالت يا رسول الله : واسوأتاه . إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض ؟! فقال رسول الله ﷺ : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال . شغل بعضهم عن بعض » قوله : ﴿ **وَتَرَكْتُمْ ما خوَّلْناكُمْ** ﴾ أي أعطينا وتفضلنا به عليكم . ﴿ **ورَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ أي أنها كلها أصبحت كالشيء الذى يبقى وراء ظهر الانسان فلا يمكنه الانتفاع به ، وربما بقى معوج الرأس بسبب التفاته إليه ، تركوها بغير اختيارهم ﴿ **وَ** ﴾ يقال لهم توبيخا ﴿ **وما نَرى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمْ** ﴾ الأصنام التى كنتم تعبدونها وادعيتم شفاعتها : ﴿ **الّذينَ زعْمتُمْ أنهُمْ فيكُمْ** ﴾ أي في استحقاق عبادتكُمْ ﴿ **شركاء** ﴾ الله !! تعالى عن ذلك ﴿ **لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ** ﴾ وصلكم بينكم أي تشتت

جمعكم ﴿ وضَلَّ ﴾ ذهب ﴿ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمونَ ﴾ في الدنيا من شفاعتها . أي إن آمالكم قد خابت في كل ما تزعمون وتتوهمون من شفاعتها ونصرتها ودفاعها عنكم فهي حجارة لا تضر ولا تنفع . فلا فداء ولا شفاعة ولا نصرة ، ولا ما يغنى عنكم من عذاب الله من شيء *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لله شُركاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وخَرَقُوا لَهُ بَنينَ وبَنَاتٍ بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بَدِيعُ السَّمْواتِ والأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ في الواحدي : قال الكلبي : نزلت هذه الآية في الزنادقة . قالوا إن الله تعالى . وإبليس إخوان ، والله خالق الناس والدواب . وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب . فذلك قوله : ﴿ وجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الجنّ ... ﴾ زاد المراغي : وإبليس خلق السباع والحيات والعقارب والشر . ورجح الرازى هذا الرأى . قال : إن المراد من الزنادقة المجوس الذين قالوا : إن كل خير في العالم فهو من يزدان ، وكل شر فهو من أهر من أي إبليس . وذكر الجلال أنهم مشركوا العرب حيث أطاعوا الجن في عبادة الأوثان ، وقيل : هم طائفة من الملائكة يسمون الجن ، كان بعض العرب يعبدها . وقيل : هي في اليهود والنصارى ومشركي العرب فاليهود والنصارى اختلقوا له البنين . ومشركوا العرب اختلقوا له البنات . وعبارة الخازن : قال الحسن ﴿ وَجَعَلُوا لله شركاءَ الْجِنَّ ﴾ أطاعوا الجنَّ في عبادة الأوثان . وهو اختيار الزجاج .. وقال الكلبي : نزلت في الزنادقة أثبتوا الشرك الاثنين في الخلق . فقالوا : الله خالق النور والناس والدواب والأنعام . وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب . ونقل هذا القول ابن الجوزى عن ابن السائب ، ونقله الرازى عن ابن عباس ، قال الامام فخر الدين الرازى وهذا مذهب المجوس ، وإنما قال ابن عباس هذا قول الزقادقة لأن المجوس يتلبسون بالزندقة ، لأن الكتاب الذى زعم زردشت أنه نزل من السماء . سماه بالزند ، والمنسوب إليه زندى ، ثم عرّب فقيل : زنديق ، فإذا جمع فقيل زنادقة ، ثم إن المجوس قالوا : كل ما يكون في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور ، وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى إبليس ، ثم اختلف المجوس ، فالأكثرون منهم على أن إبليس محدث ، وهم

في كيفية حدوثه أقوال عجيبة ، والأقلون منهم قالوا : إنه قديم ، وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على أنه شريك لله في تدبير هذا العالم ، فما كان من خير فمن الله ، وما كان من شر فمن إبليس * . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . قاله في التفسير الكبير : والحاصل أنهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة ، وعسكر إبليس هم الشياطين ، والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم أرواح طاهرة مقدسة تلهم الأرواح البشرية الطاعات ، والشياطين فيهم أيضا كثرة عظيمة يلقون الوساوس إلى الأرواح البشرية ، والله تعالى مع عسكره يحاربون إبليس مع عسكره — إلى آخر ذلك من الهذيان والكفريات .. فلهذا أثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع ، وإن كان شريكه عندهم بالحقيقة واحداً ، وهو أهر من . أما التفسير : ﴿ **وجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ** ﴾ أي وجعلوا الجن شركاء لله ، عبارة الخازن : واختلفوا في معنى هذه الشركة . فمن قال : إن الآية في كفار العرب قال : إنهم لما أطاعوا الجن فيما أمروهم به من عبادة الأصنام فقد جعلوهم شركاء لله . ومن قال : إنها في المجوس قال : إنهم أطاعوا إلهين اثنين النور والظلمة ، وقيل : إن كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه . فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لأنهم مستورون عن الأعين . قوله : ﴿ **وخَلَقَهُمْ** ﴾ فيه الدليل القاطع على إبطال الشريك . والضمير في خلقهم إما أن يعود إلى الجن ، أو إلى الجاعلين ، فإن عاد إلى الجن فإن قلنا إن الآية نزلت في المجوس ، فتقريره أن الأكثرين منهم معترفون بأن إبليس محدث ، ولو لم يعترفوا بذلك ، والبرهان العقلى قائم على أن ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته . وكل ممكن لذاته فهو محدث . فنقول حينئذ : كل محدث مخلوق وله خالق ، وما ذلك إلا الله سبحانه ، وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لأنه ثبت أن إله الخير قد فعل أعظم الشرور وهو خلق إبليس الذى هو مادة كل شر . وإن قلنا إنها نزلت في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لأنهم يسلمون أن الملائكة مخلوقون .. وإن عاد الضمير إلى الجاعلين فالمعنى وعلموا أن الله خلقهم دون الجن . (الغرائب) وقرىء وخلقهم بسكون اللام أي اختلاقهم للافك . ثم حكى عن قوم آخرين نوعاً آخر من الشرك حيث قال : ﴿ **وخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وبَنَاتٍ** ﴾ وذلك قول أهل الكتاب في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة . ومعنى خرقوا ، اختلقوا . قال

الفراء : معنى خرقوا افتعلوا ذلك كذباً وكفراً . ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ حيث قالوا عزير ابن الله وعيسى ابن الله ، والملائكة بنات الله ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ هذا من جانبه تعالى فنزه ذاته بنفسه تنزيها لائقا به ﴿ وتعَالَى عمَّا يَصِفُونَ ﴾ بأن له ولدا أو شريكا . وعبارة أبي السعود : تباعد عما يصفونه من أن له شريكا أو ولدا * أو هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ﴿ بَدِيعُ السّمٰوٰاتِ والْأَرْض ﴾ أي خالقها ومنشئها على غير مثال سبق ، وهذا دليل قاطع على ابطال قول من خرق له بنين وبنات . وتقرير الدليل إنكم إما أن تريدوا بكون عيسى ولدا له فقد أحدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا أب وحينئذ يلزمكم القول بأنه والد السمٰوات والأرض بكونه مبدعاً لهما وهذا باطل بالاتفاق ، وإما أن تريدوا به الولادة كما هو المألوف في الحيوانات ، وهذا أيضا محال لأن تلك الولادة لا تصح إلا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس في رحمها ، وهذه الأحوال إنما تثبت في حق الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال . وهذا معنى قوله : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ولَمْ تكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾ لأن الولد لا يكون إلا من صاحبة أنثى ، ولا ينبغى أن تكون لله صاحبة لأنه ليس كمثله شيء . ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيء ﴾ على الاطلاق من شأنه أن يخلق وهذه الجملة سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة فهى مستأنفة ، أو حال مقررة لها . أي أنىَّ يكون له ولد والحال أنه خلق جميع الأشياء ، ومن جملتها ما سموه ولدا له فكيف يتصور أن يكون المخلوق ولداً لخالقه ؟! وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى ﴿ وهُوَ بكُلّ شيء عَلِيمٌ ﴾ أي عالم بجميع خلقه لا يغرب عن علمه شيء ، وعلمه محيط بكل شيء * - ﴿ جلّ جلالُهُ ولا إله غيره ﴾ - *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ولا تَسُبُّوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله فَيَسُبُّوا الله عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زيّنّا لِكُلِّ أُمّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إلى ربّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبّئُهُمْ بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الواحدي: قال ابن عباس في رواية الوالبي: قالوا يا محمد: لتنتهينَّ عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك ، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عَدْواً بغير علم * وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم . فنهاهم الله عن

ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم لا علم بالله عز وجل * وقال ابن عباس : لما نزلت(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك * وقال السدى : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، قالت قريش : انطلقوا بنا لندخلن على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى ابن أخيه فإنا نستحى أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : كان عمه يمنعه ، فلما مات قتلوه ، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبي خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمرو بن العاصى والأسود بن أبي النحترى إلى أبي طالب . فقالوا يا أبا طالب : أنت كبيرنا وسيدنا ، وأن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا ، فنحب أن تدعوه ، فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلـهه، فدعاه ، فجاء النبي ﷺ ، فقال له أبو طالب : إن هؤلاء قومك وبنو عمك ، فقال رسول الله ﷺ : «وما يريدون»؟ قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك ، فقال له أبو طالب : قد أنصفك قومك فاقبلْ منهم ، فقال النبي * :«أرأيتم إن أعطيتكم هذا ، فهل أنتم معطى كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم ، وأدت لكم الخراج»؟ فقال أبو جهل : نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها ، فما هى ؟ فقال :«قولو لا إله إلا الله» فأبوا ونفروا ، فقال أبو طالب : قلْ غيرها يا ابن أخى ، فقال يا عم :«ما أنا بالذى أقول غيرها ، ولو أتونى بالشمس فوضعوها في يدى ما قلت غيرها» فقالوا : لتكفنّ عن شتمك آلهتنا ، أو لنسبنّ من يأمرك . فأنزل الله : ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** ... ﴾ يعنى ولا تسبوا أيها المؤمنون الأصنام التى يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم . لأنهم جهلة بالله عز وجل * الخازن والغرائب : رواه ابن أبي حاتم عن السدى . بطوله . قلت : وفيه تنبيه على أن خصمك إذا بادرك بالسب جهلا منه وسفاهة لا يجوز لك أن تقابل سيئة بسيئة مثلها فإن ذلك يفتح باب الجهالة بالمشاتمة والمسافهة وأنه لا يليق بالمؤمنين . قال بعض العلماء: إن القوم كانوا مقرين بوجود الله تعالى -«ولئن سألتهم من خَلَقَهُمْ ليقولن الله»- فكيف يتصور إقدامهم على شتمه ؟ أجيب لعل بعضهم كان قائلا بالدهر ونفى الصانع فما كان يبالى هذا النوع من السفاهة ، أو ربما أرادوا شتم الرسول ، فأجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ أو لعلهم وهو الأصح أن الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة فأقدموا على شتمه . قال صاحب الغرائب : وهنا سؤال ، وهو

أن شتم الأصنام من أصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى أن ينهى عنه ؟
والجواب : إن هذا الشتم وإن كان طاعة إلا أنه إذا وقع على وجه يستلزم منكراً وجب الاحتراز عنه لأن هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه ، وشتم رسوله ، وفتح باب السفاهة ، ويقتضى تنفيرهم عن قبول الدين وإدخال الغيظ والغضب في قلوبهم ، إلى زيادة منكر ، وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب ، وفيه تأديب لمن يدعو إلى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد في المطلوب ، فإن وصف الأوثان بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفى في القدح في سبها فلا حاجة مع ذلك إلى شتمها * وفي الخازن : وقال ابن الأنبارى : هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والنبي ﷺ بمكة ، فلما قوّاه بأصحابه نسخ هذه الآية ، ونظائرها بقوله تعالى : ﴿ **اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾ * وقال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأصنام التى كانت تعبدها المشركون * قلت : وفي قوله تعالى ﴿ **ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يدعُون من دُونِ اللهِ** ﴾ عامة في أهل الكتاب وكفار قريش عباد الأصنام والأوثان . فإذا قلنا إن السب منسوخ في حق الأصنام ، فهل يجرى الحكم أيضا على الصليب ؟ فظاهر الآية وإن كانت نهيا عن سب الأصنام فحقيقتها النهى عن سب الله تعالى لأن سبها سبب لسب الله تعالى لذا لا يجوز سب الصليب لئلا يجر ذلك إلى سب الرسول . وفي ذلك من الفتن والمفاسد ما لا يخفي . والسب عموما منهى عنه لأن معناه اللعن وهو مضاف إلى الله تعالى .
وقوله : ﴿ **فَيَسبُوا اللهَ** ﴾ تأكيد للنهى عن السب لأن يسبوا منصوب على جواب النهى باضمار أن بعد الفاء فيكون المعنى أنهاكم عن سب آلهتهم لما يترتب عليه ما تكرهون من سب الله ورسوله . وكذا إذا قلنا مجزوم نسقا على فعل النهى أي لا تسبوا آلهتهم فيسبوا إلهكم . ولذا لمّا نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : « لا تسبوا آلهتهم فيسبوا ربّكم » فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم . وقوله : ﴿ **عَدْواً** ﴾ أي اعتداء وظلماً وهو مفعول مطلق أو مفعول لأجله . أو واقع موقع الحال المؤكدة لأن السب لا يكون إلا عدوا .
﴿ **بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ أي جهلا منهم بالله بما يجب في حقه ويذكر به ﴿ **كذَلِكَ** ﴾ أي كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿ **زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ** ﴾ من الخير والشر فأتوه . وعبارة الخازن : كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا

لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية . قال : وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا : لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه * أي أن المراد أنه تعالى زين لهم ما ينبغى لهم أن يعملوا وهم لا يفقهون . والأحسن من هذا أن يقال خليناهم وشأنهم وأمهلناهم حتى حَسُنَ عندهم سوء عملهم ، أو أمهلنا الشيطان حتى زيّن لهم بسبب جهلهم بالله فعملوا ما أمرهم الشيطان به . وهو أصحها لقوله تعالى : ﴿ **وزيّنَ لهم الشيْطَانُ أعْمالَهم** ﴾ ولقوله : ﴿ **والّذِينَ كفَرُوا أوْلياؤُهم الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهم من النّور إلى الظّلُماتِ** ﴾ . والخلاصة إن سننا في أعمال البشر بأن يستحسنوا ما تعودوا منها تقليدا لآبائهم أو استحداثاً بأنفسهم بدون أن نخبرهم ولا نكرههم عليها كما في قوله تعالى : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجدَيْنِ** ﴾ أي طريق الخير والشر ﴿ **فمنْ شآءَ فلْيُؤْمِنْ ومَنْ شاء فليكْفُرْ** ﴾ ولا يجوز أن نقول : إن الله خلق في قلوب بعض الأمم تزيين الكفر والشر ، وفي قلوب بعضها تزيين الايمان والخير لأن ذلك يعد من الغرائز الخلقية التى تعد الدعوة إليها من العبث ، فكان إرسال الرسل وتأديب الناس عملا لا فائدة فيه ، وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى . وقوله : ﴿ **ثُمَّ إلَى ربّهِمْ مَرْجِعُهُمْ** ﴾ يعنى المؤمن والكافر ، والطائع والعاصى ﴿ **فيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كانُوا يعلمون** ﴾ يعنى في الدنيا من أعمال الخير والشر فيجازيهم على ذلك * وفي هذا التذييل نفى لعقيدة الجبر ، وإبطال لقول الأشاعرة : إن الله تعالى هو الذي زين للكافرين الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصى المعصية . ذكر قولهم هذا . صاحب الغرائب *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ الله ومَا يُشْعِرُكُمْ أنَّها إذَا جَاءَتْ لَا يؤمِنُونَ** ﴾ في الواحدي : قال محمد بن كعب : كلّمت رسول الله ﷺ قريش ، فقالوا يا محمد : تخبرنا أن موسى عليه السلام كانت معه عصا ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وأن عيسى عليه السلام كان يحي الموتى ، وأن ثمود كانت لهم ناقة ، فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدّقك . فقال رسول الله ﷺ : « أي شيء تحبون أن آتيكم به ؟ فقالوا : تجعل لنا الصفا ذهبا . قال : «فإن فعلت تصدقوني»؟ قالوا : نعم ، والله لئن فعلت لنتبعنّك أجمعين ، فقام رسول الله ﷺ يدعو ، فجاء جبريل عليه السلام . قال :

إن شئت أصبح الصفا ذهبا ولكن لم أرسل آيه فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب . وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم . فقال رسول الله ﷺ :«أتركهم حتى يتوب تائبهم» فأنزل الله تعالى : ﴿ وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِم لَئِنْ جاءتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بها ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ما كانُوا ليؤمِنوا إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللهُ ... ﴾ الآية .. وكذا رواه ابن جرير أيضا عن محمد بن كعب القرظي . فأنزل الله إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّ أكثرهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ وكذا صاحب الغرائب والخازن وابن كثير كلهم عن محمد بن كعب به . أما التفسير : ﴿ وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِمْ ﴾ أي حلفوا بالله جهد أيمانهم أي أوكدما قدروا عليه من الايمان ، والغرض حكاية شبهة أخرى لهم . وهى أن هذا القرآن كيفما كان أمره فليس من جنس المعجزات البتة ولو أنك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة وبينة قاهرة لآمنا بك ، وأكدوا هذا المعنى بالايمان والأقسام . قال الواحدي : إنما اليمين بالقسم لأن اليمين موضوعة لتوكيد الخبر ، وكانت الحاجة إلى ذكر الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر إلى مصدق ومكذب . فمعنى الاقسام إزالة القسمة ، وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين . ﴿ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيةٌ ﴾ ما تقدم ذكره من جعل الصفا ذهباً . أو يعود على طلبهم في قوله تعالى ﴿ وقالُوا لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حتَّى تَفْجُرَ لنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً ... ﴾ الآيات . ﴿ قُلْ إنَّما الآياتُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي أمر تنزيلها له لا إليَّ ، فهو مختص بالقدرة على تنزيل أمثال الآيات التي تطلبونها . إن المعجزات على يدي الأنبياء لا تحصل إلا بتخليق الله تعالى وليس لكم أن تتحكموا في تخصيصها وإنزالها كما تشاؤن في الشكل والمكان والزمان ﴿ ومَا يُشْعِرُكُم ﴾ ما يكون منهم ؟ ﴿ أنَّها إذَا جَاءتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي . وأي شيء يعلمكم بإيمانهم . أي لا تعلمون ذلك : فالله هو العليم قال تعالى: (ومَا تأتيهِمْ مِنْ آيةٍ من آياتِ ربِّهِمْ إلاَّ كانُوا عنها معرضينَ) وقال: (وإنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يؤمنُوا بها) وقال: (قُلْ إنَّ الله قادِر علَى أنْ يُنَزِّلَ آيةً ولكنَّ أكْثَرَهُمْ لاَ يعْلَمُونَ) والآيات كثيرة في هذا الموضوع. أي لا يؤمنون لما سبق في علمه تعالى. فلماذا يُنزِّل الآيات ؟ ويؤكد هذا بقية آيات النزول : ﴿ ونُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُمْ وأبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أوَّلَ مَرَّةٍ ونَذَرُهُمْ في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أنَّنا نَزَّلْنَا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى وحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيء قُبُلاً ما كَانُوا ليؤْمِنُوا إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللهُ ولكِنَّ أكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ قوله : ﴿ ونُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُمْ ﴾ أي نحول قلوبهم عن الحق

فلايفهمونه ونصرف ﴿ أَبْصَارَهُمْ ﴾ عنه فلا يبصرونه ، فلا يؤمنون ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي فلا يؤمنون ثانيا عند نزول مقترحهم لو نزل بدليل قوله ﴿ كما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مرَّةٍ ﴾ أما عند نزول الآيات السابقة على اقتراحهم كانشقاق القمر . قال ابن عباس : ﴿ ونُقلِّبُ أفئِدَتَهُمْ وأبصارَهُمْ ﴾ يعنى ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهُمْ بالآيات التى سألوها لما آمنوا بها * والتقليب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجهه إلى وجه آخر . قلت : ونظير الآية قوله تعالى : ﴿ وَلَو فتحنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ السَّمَاءِ فظلُّوا فِيهِ يَعْرجُونَ * لَقَالُوا إنَّمَا سُكرتْ أبْصَارُنَا بَلْ نَحنُ قَوْمٌ مَسْحُورُنَ ﴾ وقوله : ﴿ ونَذَرهُمْ ﴾ نتركهم ﴿ في طُغْيَانِهِمْ ﴾ ضلالهم وتكبرهم عن الايمان ﴿ يَعْمَهُون ﴾ يترددون متحيرين فيما سمعوا من الآيات ، محدثين أنفسهم أهذا هو الحق المبين أم السحر الذى يخدع عيون الناظرين ، وهل الأرجح اتباع الحق بعد ما تبين أو المكابرة والجدل كبرا وأنفة من الخضوع لما يرونه دونهم ؟ وإنما أسنده الخالق إلى نفسه جل جلاله : ﴿ ونُقَلِّبُ أفئدَتَهُمْ ... ﴾ لبيان سنته الحكيمة في ربط المسببات بأسبابها إذ أن رسوخهم في الطغيان هو غاية الكفر والعصيان ، هو سبب تقليب القلوب والأبصار . أي الختم عليها فلا تفقه ولا تبصر . كما في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ وعلَى سَمعِهِمْ وعلَى أبصَارهِمْ غشاوة ... ﴾ عقوبة لهم . ثم بين الله طغيانهم وعنادهم بقوله : ﴿ ولَو أنَّنا نزَّلْنا إليهِمْ المَلائِكةَ ﴾ جميعا ﴿ وكلَّمَهُمُ الموتَىٰ ﴾ كما اقترحوا بقولهم ﴿ لولا أُنزِلَ عَلَيْنَا المَلائِكَةُ ﴾ وقولهم : ﴿ فَأْتُوا بآبَائِنا ... ﴾ ﴿ وحَشَرْنَا ﴾ جمعنا ﴿ عَلَيْهِمْ كُلَّ شيء قُبُلاً ﴾ جمع قبيل فوجاً فوجاً فشهدوا بصدق النبي ﷺ ﴿ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ لما سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون ﴿ إلاَّ ﴾ لكن ﴿ أنْ يَشَاءَ الله ﴾ إيمانهم فيؤمنون . الاستثناء هنا منقطع لأن المشيئة ليست من جنس إرادتهم . ومن قال متصل على الحال . قال معناه : ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال إلا في حال مشيئته أو في سائر الأزمان إلا في زمن مشيئته . وقيل : استثناء من علة عامة أي ما كانوا ليؤمنوا لشيء من الأشياء إلا لمشيئة الله الايمان . وهو الأولى . أي لكن إن شاء الله إيمان أحدهم طالبا له مختارا قبله الله منه وشاء له . والمراد أنهم ما داموا على صفاتهم من اقتراح الآيات .. فهم لا يؤمنون لِعِلْمِ الله ذلك منهم لكن

إن شاء الله أن يزيلها فعل وهو على كل شيء قدير . والخلاصة . ما دام القوم غير مستعدين للايمان لا يشاء الله إيمانهم ، وإنما عليه أن يقيم الحجة عليهم بإرسال الرسل ﴿ **وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً** ﴾ ﴿ **وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ ﴿ **ولكنّ أكثرهم يجهلون** ﴾ ذلك أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا . فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ، ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم . ولعل الباقين قد آمنوا . أو لكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآيات طمعاً في إيمانهم . قال ابن عباس : كان المستهزؤن بالقرآن خمسة : الوليد بن المغيرة المخزومي ، والعاصي بن وائل السهمي ، والأسود بن يغوث الزهري ، والأسود بن عبد المطلب ، والحرث بن حنظلة . أتوا رسول الله ﷺ في رهط من أهل مكة ، وقالوا : أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله ، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل ؟ - أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا ، فنزلت الآية . كذا ذكره المراغي في تفسيره *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ في الواحدي : قال المشركون يا محمد : أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ؟ قال :«الله قتلها»، قالوا : فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال ، وما قتل الكلب والصقر حلال ، وما قتله الله حرام ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب : أتى ناس إلى النبي ﷺ ، فقالوا يا رسول الله : إنا نأكل ما نقتل ، ولا نأكل ما يقتل الله ؟ فأنزل الله : ﴿ **فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وإن أطعتموهم إنّكم لمشركون** ﴾ * وفي الواحدي أيضا . وقال عكرمة : إن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تحريم الميتة كتبوا إلى مشركى قريش ، وكانوا أولياءهم في الجاهلية ، وكانت بينهم مكاتبة أن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهو حلال * وما ذبح الله فهو حرام ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب أيضا : عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً فقولوا له : ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال . وما ذبح الله

بشمشار من ذهب يعني الميتة فهو حرام . فنزلت هذه الآية ﴿ **وإنّ الشياطينَ ليوحون إلى أوليائِهم ليجادِلوكُمْ** ﴾ قال الشياطين من فارس . وأولياؤهم من قريش * ونحو الأول في الخازن ، وما بعده في الغرائب والطبرى ، وفيه : وعن عكرمة قال : كان مما أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الانس كيف تعبدون شيئا لا تأكلون مما قتل ، وتأكلون أنتم ما قتلتم .. فروى الحديث حتى بلغ النبي ﷺ فنزلت : ﴿ **ولَا تأكُلوا ممَّا لم يذكَرُ اسم الله عليه ...** ﴾ وقال ابن وكيع : جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله ؟ فأنزل الله : ﴿ **ولَا تأكلوا ممَّا لَمْ يذْكَرِ اسْمُ الله عليه ...** ﴾ وهناك أقوال أخرى في نفس المعنى والموضوع .. أما التفسير : ﴿ **ولَا تأكُلوا مِمَّا لَمْ يُذكَرِ اسمُ الله عليْهِ** ﴾ بأن مات ، أو ذبح على اسم غير الله مما ذبحه المشركون لأوثانهم فإن ذلك فسق ومعصية كما جاء في الآية الأخرى ﴿ **أوْ فِسْقاً أُهِلَّ لغيْرِ اللهِ به** ﴾ قال الامام مالك : كل ما ذبح ولم يذكر اسم الله تعالى عليه فهو حرام ترك الذكر عمداً أو سهواً * وقال أبو حنيفة : إن ترك الذكر عمدا حرم ، وإن ترك نسيانا حل * وقال الشافعي : متروك التسمية عمدا أو سهوا حلال إذا كان الذابح مسلما * قاله ابن عباس : وأخذ به الشافعي . ولعله استدل بقوله ﷺ حينما سئل عن ذبيحة المسلم فقال : « كلوا ، فإن تسمية الله في قلب كل مؤمن » . وفي حديث أيضا « ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليها » . قوله ﴿ **وإنَّهُ** ﴾ أي الأكل منه ﴿ **لَفِسْقٌ** ﴾ خروج عما يحل ﴿ **وإنَّ الشياطين ليوحُونَ** ﴾ المراد به إبليس وجنوده يوسوسون ﴿ **إلى أوليائِهِمْ** ﴾ الكفار . قال عكرمة : وإن الشياطين يعنى مردة المجوس ليوحون إلى أوليائهم من مشركى قريش .. وقد تقدم ذلك ﴿ **ليُجادِلُوكُم** ﴾ في تحليل الميتة ﴿ **وإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ** ﴾ يعنى في استحلال الميتة ﴿ **إنكُمْ لَمُشرِكون** ﴾ قال الزجاج : وفيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله تعالى أو حرم شيئا مما أحل الله تعالى فهو مشرك ، لأنه أثبت مشرّعا سوى الله ، وهذا هو الشرك بعينه . ومما يذبح عند استقبال ملك أو أمير أو وزير أفتى بعض الحنفية بتحريم أكله ، لأنه ما أهل به لغير الله . وأباحه بعض الشافعية لانهم إنما يذبحونه استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ، ومثل هذا لا يوجب التحريم ، وهذا هو الصحيح والمعول عليه ، في الخازن : قال ابن عباس : الآية في تحريم الميتة وما في معناها من المنخنقة وغيرها * وقال عطاء :

الآية في تحريم الذبائح التى كانوا يذبحونها على اسم الأصنام . إذاً فلا يدخل فيها ما يذبح عند استقبال ملك ونحوه إكراما له *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أوَ مَنْ كان ميتاً فأحْيَيْنَاهُ وجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمشْى به في النَّاسِ كمنْ مَثَلُهُ في الظُّلماتِ لَيْسَ بخارج منها كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِين ما كانُوا يَعمَلُونَ** ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : يريد حمزة بن عبدالمطلب وأبا جهل . وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺبفرث وحمزة لم يؤمن بعد ، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه ، وبيده قوسه ، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس . وهو يتضرع إليه ويقول يا أبا يعلى : أما ترى ما جاء به ؟ سفه عقولنا وسب آلهتنا ، وخالف آباءنا ؟ قال حمزة : ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله ؟ أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال زيد بن أسلم في قوله عز وجل : ﴿ **أوَمَنْ كانَ مَيْتاً فأحيْيناهُ وجعلنا له نوراً يمشي به في النَّاس ...** ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، قال : أبو جهل بن هشام * وكذا في الخازن . وفيه وقال عكرمة والكلبي : نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل * وقال مقاتل : نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل ، وذلك أن أبا جهل ، قال : زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا نحن وهم كفرسيْ رهان ، قالوا : منا نبي يوحى إليه ، والله لا نؤمن حتى يأتينا وحى كما يأتيه . فنزلت هذه الآية * والأصح أن هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر ، لأن المعنى إذا كان حاصلاً في الكل دخل فيه كل أحد . وإنما جعل الكفر موتاً لأنه جهل والجهل الحيرة والوقفة ، فهو كالموت الذي يوجب السكون . وأيضاً الميت لا يهتدى إلى شيء ، وكذلك الجاهل . والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحياة والنور ، ومعنى قوله : ﴿ **أوَمنْ كانَ مَيْتاً فأحيْيَنَاهُ** ﴾ أي أو من كان ميتا بالكفر فأحييناه بالايمان ، وهو تمثيل ، أي وإنما جعل الكفر والايمان حياة لأن الحي صاحب بصيرة وبصر يهتدى بهما إلى الرشد . ولما كان الايمان يهدى إلى الفوز العظيم في الحياة الأبدية شبه بحياة الجسم بعد الموت ، وقوله : ﴿ **وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشى بِهِ في الناسِ** ﴾ أي وجعلنا له نورا يستضيء به في الوصول إلى الاسلام واعتناقه والاية كقوله تعالى : ﴿ **اللهُ وليّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَات إلى النُّورِ** ﴾ . وقال قتادة : هو

كتاب الله : القرآن . لأنه بيّنة من الله مع المؤمن بما يعمله * وهو قول جمع من المفسرين . وهذا هو مثل المؤمن في الحياة ، وأما مثل الكافر فهو : ﴿ **كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾ وفيه أن ظلمات الجهل ، والأخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة لا تكاد تزول عنه ، فيبقى متحيراً فزعاً ، نعوذ بالله من هذه الحالة . ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة . أي كمن صفته هذه ، والمراد كمن هو في الظلمات . جمع ظلمة ، وهى ظلمة الكفر وظلمة الجهل وظلمة عمى البصيرة .. إشارة إلى أن الكفر يدعو إلى الصفات الذميمة الكثيرة . ووحد النور وهو الاسلام ، أو القرآن لأنه يدعوا إلى الصفات الحميدة ﴿ **كَذَلِكَ** ﴾ كما زين للمؤمنين الايمان ﴿ **زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مٰا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ في الخازن : قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **زَيَّنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ ولأن حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى ، وحصولها لا يكون إلا بخلق الله تعالى . فدل بذلك على أن المزَيّنَ هو الله تعالى . وقالت المعتزلة : المزين هو الشيطان . ومن أحب الاطلاع على حجج الطائفتين فليرجع إلى الخازن * وأنت ترى أن قوله تعالى : ﴿ **زيّنّا** ﴾ قد أضيف إلى الله تعالى ، فلا يمكن صرف الاضافة عن حقيقتها إلى المجاز إلا بدليل . فالشيطان يزين للكافرين أعمالهم ليرديهم في الجحيم كقوله تعالى : ﴿ **ولكنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وزَيّن لهُمُ الشّيْطَان مٰا كانُوا يعملون** ﴾ ﴿ **وإذْ زَيَّن لَهُمُ الشيْطان أعْمالَهُمْ وقالَ لا غالبَ لكُمْ** ﴾ ﴿ **وجدْتُها وقوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْس مِنْ دُونِ الله وزَيّنَ لهُمُ الشيّطانُ أعْمَالَهُمْ ...** ﴾ وهل هى إضافة حقيقية إلى الشيطان . أو على المجاز ؟ فيها خلاف . والاضافة إلى الله بالحقيقة أو المجاز أولى لقوله تعالى : ﴿ **وكذَلِكَ جَعَلْنَا في كُلّ قريَةٍ أكابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُو فيها ومٰا يَمْكُرُونَ إلاَّ بأنْفُسِهِمْ ومٰا يشْعُرُون** ﴾ أي وكما جعلنا في مكة صناديدها يمكروا فيها بالصد عن الايمان كذلك زينا للكافرين أعمالهم . كذلك جعلنا ﴿ **في كل قرية أكابِرَ** ﴾ فيجب أن يكون التزيين والجعل مضافين إلى الله تعالى . أي كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها .. وقد تقدم بحث ذلك عند قوله تعالى : ﴿ **مٰا كانُوا ليؤمِنُوا إلا أن يَشاءَ الله** *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وحرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ الله افْتِراءً علَى الله قَدْ ضَلُّوا ومٰا كانُوا مُهْتَدينَ ﴾ في الخازن :

قال عكرمة : نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر ، وكان الرجل يقاضى الرجل على أن يستحى جارية ويئد أخرى ، فإذا كانت الجارية التى توأد غدا الرجل ، أو راح من عند امرأته ، وقال لها : أنت عليَّ كظهر أمى إن رجعت إليك ولم تئديها فتخد لها في الأرض خدا ، وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ، ثم يتداولنها بينهن حتى أبصرته راجعا دستها في حفرتها ، ثم سوت عليها التراب * وقال قتادة : هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبى والفاقة ، ويغذو كلبه * روى البخاري عن ابن عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من الأنعام : ﴿ **قد خسِرَ الّذِينَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما كانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾ وما نقل على ألسنة بعض الناس من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دفن ابنته فهو محض افتراء ولم يثبت عنه مثل ذلك البتة لا في سير العرب ولا في التواريخ . ومعنى الآية : قد خسر الذين قتلوا أولادهم في الدنيا باعتبار السعى في نقص عددهم ، وإزالة ما أنعم الله به عليهم ، وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم . وقوله : ﴿ **سَفَها بغيْر عِلْم** ﴾ أي جهلا منهم بغير حجة ، وما ذلك إلا لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله هو الرزاق لهم ولأولادهم ، بل قدم الله الأولاد في الرزق عليهم فقال : ﴿ **ولا تَقْتُلوا أوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ نحن نَرْزُقُهُمْ وإيّاكُمْ** ﴾ خشية إملاق : خشية فقر . وقوله : ﴿ **قَدْ ضَلُّوا وما كانُوا مُهْتَدين** ﴾ أي بافترائهم على الله وذلك أنهم فعلوا تلك الأفعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بها ، وهو من أعظم الجهالات لأن الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر . ولذا قال : ضلوا في فعلهم عن طريق الحق ، وما كانو مهتدين إلى الصواب فى فعلهم وهو بيان أنهم لم يحصل لهم اهتداء لوصفهم أولا بالضلال ، ثم بعد ما ضلوا لم يهتَدوا مرّة أخرى . وما دام الضلال ملازما لهم فليسوا مهتدين أبداً *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأتوا حَقَّه يَوْم حَصَادِهِ ولا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المسرفين** ﴾ فى اللباب : أخرج ابن جرير عن أبى العالية قال : كانو يعطون شيئا سوى الزكاه ، ثم تسارفوا . فنزلت هذه الآية . وأخرج عن ابن جريج أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذَّ نخلة فأطعم حتى أمسى وليس له ثمرة . أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردودية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ **وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حصَادِهِ** ﴾ قال : « ما سقط من السنبل » * وقال مجاهد فيه : إذا حصدت

فحضرك المساكين فاطرح لهم من السنبل ، فإذا دسته فحضرك المساكين فاطرح لهم ، فإذا أدريته وجمعته وعرفت كيله فاعزل زكاته ، وإذا بلغ النخل وحضرك المساكين فاطرح لهم من التفاريق والبسر . فإذا جذذته (قطعته) فحضرك المساكين فاطرح لهم منه . فإذا جمعته وعرفت كيله فاعزل زكاته * وعن ميمون بن مهران وزيد بن الأصم أن أهل المدينة كانوا إذا صرموا النخل يجيئون بالعذق فيضعونه في المسجد فيجيء السائل فيضربه بالعصا فيسقط منه ، فهو قوله : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ *

وعن سعيد بن جبير قال : كان هذا قبل أن تنزل الزكاة : الرجل يعطى من زرعه ، ويعلف الدابة ويطعم اليتامى والمساكين، ويعطى الضغث. يريد أن هذا الأمر في الصدقة المكلفة غير المعينة * وهذا هو الصحيح لأن الزكاة المحدودة فرضت بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة وهذه السورة مكية وقوله : ﴿ **وَلَا تُسرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ أي كلوا مما رزقكم الله حلالاًطيباً من غير اسراف في الأكل قال تعالى : ﴿ **وكُلُوا واشْرَبُوا ولَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ : ﴿ **يا أَيُّها الّذِينَ آمنُوا لَا تُحرِّمُوا طيّباتِ مٰا أَحَلَّ اللهُ لكُمْ ولَا تَعْتَدُوا إنّ اللهَ لا يُحبُّ الْمُعْتَدينَ** ﴾ والاعتداء والاسراف مجاوزة الحد . والحد الذي ينهى الله عن تجاوزه . إما شرعي كتجاوز الحلال من الطعام والشراب وما يتعلق بهما إلى الحرام وإما فطرى طبعى ، وهو تجوز حد الشبع إلى البطنة الضارة *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الّذِينَ فَرَّقُوا دينَهُمْ وكانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنهُمْ فى شَىْء إنما أَمْرُهُمْ إلى اللهِ ثمَّ يُنبِّئُهُم بِمَا كانُوا يَفْعَلُون** ﴾ ذكر المراغى في تفسيره أنه ذهب بعض مفسرى السلف إلى أن الآية نزلت في أهل الكتاب إذ فرقوا دين ابراهيم وموسى وعيسى ، فجعلوه أديانا مختلفة ، ولكل منها مذاهب تتعصب لها شيع مختلفة ، يتعادون ويتقاتلون فيه * وذهب بعض آخر إلى أنها في أهل البدع والفرق الاسلامية والمذاهب التى استحدثت فمزقت وحدة الأمة . قال : ولا مانع من الجمع بين الرأيين ، فإنه تعالى ذكر أهل الكتاب وشرعهم ، وأمر من استجاب لدعوة الاسلام بالوحدة وعدم التفرق كما تفرق من قبلهم كما جاء في سورة آل عمران : ﴿ **ولا تكُونُوا كالّذِينَ تَفَرَقُوا واختلَفُوا مِنْ بَعْد مٰا جَاءَهُمْ البّيناتُ وأولٰئِكَ لَهمْ عَذَابٌ عظيمٌ** ﴾ ثم بين أن رسوله بريء من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كما فعل أهل الكتاب ، فهو يحذر من

صنيعهم ، وينهى عن سلوك طريقهم ، فمن اتبع سنتهم في هذا التفريق فالرسول برىء منه ، كما هو برىء من أولئك المفرقين من سالفى الأمم . أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : اختلفت اليهود والنصارى قبل أن يبعث محمد ﷺ . فلما بعث محمد أنزل عليه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ... ﴾ الآية . قال : هم في هذه الأمة * وأخرج الترمذي وابن أبي حاتم والبيهقي وغيرهم عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال لعائشة : « يا عائش : إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . هم أصحاب البدع ، وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ليست لهم توبة ، يا عائشة : إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة . أنا منهم برىء وهم منى بُرءاء » . قال : وليس المراد بنفى التوبة عنهم أنهم لا تقبل لهم توبة إذا ظهر لهم خطؤهم وعرفوا بدعتهم فرجعوا وتابوا إلى ربهم . بل المراد أنهم لا يتوبون لزعمهم أنهم على الصواب . وسواهم على الباطل * وفي الخازن قال الحسن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُوا شِيَعاً ﴾ هم جميع المشركين لأن بعضهم عبدوا الأصنام . وقالوا : هذه شفعاؤنا عند الله ، وبعضهم عبدوا الملائكة ، وقالوا : إنهم بنات الله ، وبعضهم عبدوا الكواكب ، فكان هذا تفريق دينهم ، وقال مجاهد : هم اليهود * وقال ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك : هم اليهود والنصارى لأنهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة * وقال أبو هريرة : هم أهل الضلالة من هذه الأمة . وروى ذلك مرفوعا قال : قال ﷺ « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء وليسوا منك ، هم أهل البدع وأهل الشبهات ، وأهل الضلالة من هذه الأمة » أسنده الطبرى قال الخازن : فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة ، وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضِلّة * قال ابن كثير : إن إسناد أبو هريرة هذا لا يصح ، فإن عباد بن كثير متروك الحديث ، ولم يختلف هذا الحديث ولكنه وهم في رفعه فإنه رواه سفيان الثورى عن ليث ، وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة في الآية . أنه قال : نزلت في هذه الأمة * وقال أبو غالب عن أبي أمامة في قوله : ﴿ وكَانُوا شِيعاً ﴾ قال هم الخوارج . وروى عنه مرفوعا ولا يصح ، وقال عن حديث عائشة : ﴿ إن الذينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكَانُواشيعاً ﴾ قال لها النبي ﷺ :«هم أصحاب البدع». هذا رواه ابن مردوية وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه . قال ابن كثير : والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له . فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله . وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق * وقوله : ﴿ **لَسْتَ مِنهُمْ في شيء** ﴾ أي إنك بعيد من أقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الأباطيل مقصور عليهم لايتعداهم إليك . وقال السدي : معناه لم تؤمر بقتالهم فلما أمر بقتالهم نسخ * أي فلا تتعرض لهم بالقتل حتى تؤمر به ، فعليك بتبليغ الرسالة وإظهار شعائر الدين الحق الذي أمرت بالدعوة إليه ﴿ **إنّما أمْرُهُمْ إلى الله** ﴾ يتولاه ﴿ **ثُمَّ ينَبئُهُمْ** ﴾ في الآخرة ﴿ **بما كانُوا يَفْعَلُون** ﴾ فيجازينهم به . قال الجلال : وهذا منسوخ بآية السيف * أي على القول بأن الآية نزلت في اليهود والنصارى * والخلاصة : إن المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً فرقا وأحزابا هم أهل الكتاب ، والمقصود من براءة الرسول منهم تحذير أمته من مثل فعلهم . ليعلم أن من فعل فعلهم وحذا حذوهم من هذه الأمة فالرسول منه برىء . لأن الله أمرنا بالوحدة وحذرنا من الفرقة فقال : ﴿ **ولا تكونُوا كالذِينَ تفرقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بعدِ ما جَاءَهُمْ البّينات وأولئك لَهُمْ عذَابٌ عظيمٌ** ﴾ وما جرى على أحد المثلين * يجرى على الآخر ، فالتنازع على الملك والعصبية الجنسية أو المذهبية والقول في الدين بالرأى منهى عنها في الاسلام لأنها تسبب التنازع والتفريق في الدين ، وهو هدم له *

القول في سبب نزول قوله تعالى: (**واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأ الّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنا فَانْسَلخَ مِنْهَا فأتْبَعَهُ الشّيْطانُ فكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * ولَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ولكنَّهُ أخْلَدَ إلَى الْأَرْضِ واتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلْهُ كمَثَلِ الْكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الّذِينَ كذَّبُوا بآياتِنَا فَاقْصُصِ الْقصَصَ لَعَلّهُمْ يتفكَّرُونَ** ﴾ في الواحدي : قال ابن مسعود نزلت فى بلعم بن باعوراء : رجل من بني اسرائيل * وقال الوالبى : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له : بلعم . وكان يعلم اسم الله الأعظم ، فلما نزل بهم موسى عليه السلام أتاه بنو عمه وقومه وقالوا : إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى : ومن معه . قال : إنى إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي . فلم يزالوا به حتى دعا عليهم . فسلخه الله مما كان عليه . فذلك قوله : ﴿ **فانسلخ منها** ﴾ وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال : هو رجل أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيها : كانت له امرأة يقال لها البسوس ، وكان له منها ولد . وكانت له محبة . فقالت : اجعل لي منها دعوة واحدة .

قال : لك واحدة فماذا تأمرين . قالت : أدع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل . فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه وأرادت شيئا آخر . فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نباحة . فذهبت فيها دعوتا ن فجاء بنوها ، فقالوا : ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس ، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت . وذهبت الدعوات الثلاث . وهي البسوس . وبها يضرب المثل في الشؤم . فيقال : أشأم من البسوس * وذكر الجلال : أنها نزلت في بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سئل أن يدعو على موسى . وأهدى إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره . وفي القرطبي : وكان بلعم من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام . وكان بحيث إذا نظر رأى العرش . وهو المعنى بقوله : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آياتِنَا ﴾ ولم يقل آية . وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه . ثم صار بحيث كان أول من صنف كتابا أن ليس للعالم صانع . قال مالك بن دينار : بعث بلعم بن باعوراء إلى ملك مدين يدعوه إلى الإيمان فأعطاه وأقطعه فاتبع دينه ، وترك دين موسى . فنزلت هذه الآيات . وكان بلعم قد أوتى النبوة . وكان مجاب الدعوة * وفي الخطيب وقصته على ماذكره ابن عباس وغيره : أن موسى عليه السلام لما قصد قتال الجبارين ، ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إليه . وكان عنده اسم الله الأعظم . فقالوا : إن موسى رجل حديد . ومعه جنود كثير ، وأن قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ، ويخليها لبني اسرائيل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج فادع الله تعالى أن يردهم عنا . فقال : ويلكم نبُّى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله مالا تعلمون . وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي . فراجعوه وألحوا عليه ، فقال : حتى أؤامر ربي . وكان لا يدعو حتى ينظر مايؤمر به في المنام . فآمر ربه في الدعاء عليهم . فقيل له في المنام : لاتدع عليهم . فقال لقومه : إني قد آمرت ربي . وإني نهيت أن أدعو عليهم . فأهدوا إليه هدية فقبلها ، وراجعوه . فقال : حتى أؤامر ربي . فآمر فلم يؤمر بشيء . فقال : قد آمرت ربي فلم يأمرني بشيء ، فقالوا له : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى . فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتتن ، فركب أتانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حبان ، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها ، فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت ،

فضربها وهكذا مراراً ، فأذن الله تعالى لها في الكلام فأنطقها له . فكلمته حجة عليه . فقالت : ويحك يا بلعم أين تذهب . أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي ؟! ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم ؟ فلم ينزجر ، فخلى الله سبيل الأتان ، فانطلقت به حتى أشرف على جبل حسبان ، فجعل يدعو عليهم ، بشر إلا صرف الله تعالى به لسانه إلى قومه . ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله تعالى به لسانه إلى بني اسرائيل . فقال له قومه يا بلعم : أتدري ما تضع إنما تدعو لهم وتدعو علينا ؟! فقال : هذا مالا أملكه . هذا شيء قد غلبه الله عليه ، فاندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم : الآن قد ذهب مني الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة . فأمكر لكم وأحتال . احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع . ثم أرسلوهن إلى عسكر بني اسرائيل . يبعنها فيه . ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا . فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بني اسرائيل . وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب ، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها . ثم أقبل بها حتى وقف على موسى ، وقال : إني أظنك أن تقول هذه حرام عليك ؟ قال : أجل هي حرام عليك لا تقربها : قال : فوالله لا نطعيك . ثم دخل بها قبته فوقع عليها . فأرسل الله تعالى عليهم الطاعون في الوقت فهلك منهم سبعون ألفاً ساعة من النهار * وفي المصباح : وربضت الدابة ربضا من باب ضرب وربوضا مثل بروك الإبل . أما التفسير : ﴿ **واتْلُ** ﴾ يا محمد ﴿ **عَلَيْهِمْ** ﴾ على اليهود ﴿ **نَبَأَ** ﴾ خبر ﴿ **الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا** ﴾ وهي علوم الكتب القديمة والتصرف بالإسم الأعظم . فكان يدعوه حيث شاء فيجاب بعين ما طلب في الحال ﴿ **فانْسَلَخَ مِنْهَا** ﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها ، وهو بلعم بن باعوراء كما اطلعت على قصته ﴿ **فأتْبَعَهُ الشَّيْطانُ** ﴾ فأدركه فصار قرينه . أي أصبح قدوة للشيطان على سبيل المبالغة ﴿ **فكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ أي صار من الضالين الفاسدين ﴿ **ولَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ** ﴾ إلى رتبة العلماء بسبب الآيات بأن نوفقه للعمل ﴿ **بِهَا ولَكِنَّهُ أخْلَدَ** ﴾ سكن ﴿ **إلى الْأَرْضِ** ﴾ الدنيا ومال إليها واطمأن بها . ﴿ **واتَّبع هَوَاهُ** ﴾ في دعائه إياه أي إن الهوى دعا بلعام إلى الدنيا والميل إليها . ﴿ **فَمَثَلُهُ** ﴾ صفته ﴿ **كَمَثَلِ الْكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ** ﴾ بالطرد والزجر ﴿ **يَلْهَثْ** ﴾ يدلع لسانه أي يخرجه ﴿ **أوْ** ﴾ إن ﴿ **تَتْرُكْهُ** ﴾ بدون طرد وزجر ﴿ **يَلْهَثْ** ﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك . وبه كان أخس الحيوانات .

والمعنى : إن هذا الرجل : بلعم بن باعوراء الإسرائيلي كالكلب في صفته الخسيسة هذه ، فكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه ، وإن تركته ولم تعظه فهو حريص أيضاً لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن اللهث طبيعة لازمة للكلب * وذلك كشأن عباد الأهواء . وطلاب الأموال ترى المرء منهم كاللاهث من الإعياء والتعب . وإن كان مايعني به حقيراً لا يتعب ولا يعي . وتراه كلما أصاب سعة وبسطة في الدنيا زاد طمعاً فيها .

فَمَا قَضَىٰ أَحَدٌ مِنْهَا لُبانته * ولا انْتَهَىٰ أَرَبٌ إِلَى أَرَب

﴿ ذلك ﴾ المثل ﴿ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا ﴾ أي ذلك المثل البالغ الحد في الغرابة مثل هؤلاء القوم الذين جحدوا بآياتنا واستكبروا عنها جهلاً وتقليداً للآباء والأجداد والمراد منهم ﴿ فاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ على اليهود ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يتأملون في المخلص مما هم فيه . وفيما جئتهم به من الحق فيؤمنوا . وقيل : هذا المثل لكفار مكة . وذلك أنهم كانوا يتمنّون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد ﷺ يدعوهم إلى الله وإلى طاعته . وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه . ثم قال تعالى : ﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ ﴾ أي مثل القوم ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا وأَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُون ﴾ بالتكذيب بها *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ﴿ أو لم يَتَفكَّرُوا مٰابِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِين ﴾ في لباب السيوطي : أخرج أبو حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال : ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا فدعا قريشاً ، فجعل يدعوهم فخْذاً فخْذاً : يا بني فلان . يحذرهم بأس الله ووقائعه . فقال قائلهم : إن صاحبكم هذا لمجنون . بات يهوت (يصيح) إلى الصباح . فأنزل الله : ﴿ أَوَلَمَ يتفكّرُوا مٰابصاحِبِهِمْ من جنّة ... ﴾ * وكذا رواه ابن جرير وابن المنذر عن قتادة به . وكذا في الخطيب والمراغي وابن كثير والخازن وغيرها من التفاسير قوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ فيعلموا ﴿ مٰابِصَاحِبِهِمْ ﴾ محمد ﷺ ﴿ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ قد جرت عادة الكفار أن يرموا رسلهم بالجنون لأنهم ادعوا أن الله خصهم برسالته ووحيه على كونهم بشراً كغيرهم لا يمتازون من سائر الناس بزعمهم فهاهم قوم نوح يرمونه بالجنون : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ به جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حتّى

حين ﴾ وقال فرعون عن موسى : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ وحكى عنهم بوجه عام فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ وحكى عنهم بوجه عام فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ وحقيقة الجنون أن رسول الله ﷺ رأى قوماً مجتمعين على إنسان : فقال : « ما هذا » ؟ فقالوا : مجنون : قال :« هذا مصاب ، إنما المجنون الذي يضرب بمنكبيه وينظر في عطفيه ويتمطى في مشيته » وحاشا رسول الله ﷺ من ذلك . وإنما نسبوه إلى الجنون لأنه ﷺ خالفهم في الأقوال والأفعال لأنه كان معرضاً عن الدنيا ولذاتها مقبلاً على الآخرة ونعيمها ، مشتغلاً بالدعاء إلى الله تعالى وإنذار بأسه ونقمته ليلاً ونهاراً من غير ملل ولا ضجر . فعند ذلك نسبوه إلى الجنون ، فبرأه الله من الجنون وهو برىء منه صلوات الله وسلامه عليه . ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مبينٌ ﴾ بين الإنذار في دعوته ، ناصح أمين ، والتعبير ﴿ بِصَاحِبِهِم ﴾ تذكيرهم بأنهم يعرفونه من أول نشأته حتى تجاوز الأربعين من عمره وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين . أي لا يكْذبُ ولا يخون الأمانات فكان ﷺ موضع ثقة الجميع كما شهد بذلك أحد زعمائهم إذ قال : إن محمداً لم يكذب قط على أحد من الناس أفيدع الكذب عليهم ويكذب على الله ؟ ومن ثم قال تعالى فى أولئك الزعماء : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ولكنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يسألونك كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ولكنَّ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : قال جبل بن قشير وشموال بن زيد من اليهود يا محمد : أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً ، فإنا نعلم متى هي . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال قتادة : قالت قريش لمحمد : إن بيننا وبينك قرابة فأشر إلينا متى تكون الساعة ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عن السَّاعَةِ .. ﴾ * وحدث قرظة بن حسان قال : سمعت أبا موسى في يوم جمعة على منبر البصرة يقول : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد ، فقال : « لا يعلمها إلا الله . لا يجليها لوقتها إلا هو . ولكن سأحدثكم بأشراطها وما بين يديها . إن بين يديها ردما من الفتن وهرجا . فقيل : ما الهرج يا رسول الله :؟

قال : هو بلسان الحبشة : القتل . وأن تحصر قلوب الناس . وأن يلقى بينهم التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحداً ، ويرفع ذو الحجى . وتبقى رجاحة من الناس لاتعرف معروفاً ولا تنكر منكراً » * وقال ابن كثير : قيل نزلت في قريش . وقيل : في نفر من اليهود . والأول أشبه لأن الآية مكية . وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعاداً لوقوعها وتكذيباً بوجودها كما قال تعالى : ﴿ **ويقولُون مَتَّى هَذَا الْوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صادقِينَ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يَسْتَعْجِلُ بِهَا الّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِهَا والّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ويَعْلَمُونَ أنَّها الْحَقّ ألَا إنَّ الّذِينَ يُمارونَ في السَّاعةِ لَفِي ضلالٍ بَعِيدٍ** ﴾ قولُه : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ** ﴾ عن القيامة وسميت ساعة لأنها تقوم في ساعة غفلة وبغتةً ، أو لأن حساب الخلائق ينقضي فيها في ساعة واحدة . وقوله : ﴿ **أيَّانَ مُرْسَاهَا** ﴾ أيان سؤال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة . ومعناه . متى مرساها . قال ابن عباس : يعني متى منتهاها . أي متى وقوعها . أو محطها . وكأنه شبهها بالسفينة العائمة في البحر . وقال الطيبي : الرسو إنما يستعمل في الأجسام الثقيلة وإطلاقه على الساعة تشبيه للمعاني بالأجسام * قلت مثله قوله تعالى : ﴿ **والجِبَالَ أرْسَاها** ﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن . ومنه مرساة السفن . وفي المختار رسا الشيء ثبت ، وبابه عدا ، ورست السفينة وقفت عن الجرى . أي لكأنهم قالوا : متى وقوف العالم عن الحركة وبه خرابه . وهو قيام الساعة . ﴿ **قُلْ إنَّمَا عِلْمُهَا** ﴾ أي علم وقت إرسائها ﴿ **عِنْدَ رَبِّي لايُجَلِّيهَا** ﴾ يظهرها ﴿ **لِوَقْتِها** ﴾ أي في وقتها ﴿ **إلَّا هُوَ** ﴾ أي لايكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها إلا هو بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين . قال المحققون : والسبب في إخفاء الساعة على العباد ، هو أن يكونوا على حذر . فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة . وأزجر عن المعصية . فإن متى علمها المكلف تقاصر عن التوبة . وأخرها . وكذلك أخفى الله ليلة القدر ليجتهد المكلف في كل ليالي الشهر في العبادة . وكذلك أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليكون المكلف مجدا في الدعاء في كل اليوم . ﴿ **ثَقُلَتْ** ﴾ أي عظمت على أهلها ﴿ **فِي السَّمٰوَاتِ والْأَرْضِ** ﴾ لأن فيها فناءهم . وذلك يثقل على القلوب لمصيرهم إلى البعث والحساب والسؤال والخوف ﴿ **لاتأتِيكُمْ** ﴾ الساعة ﴿ **إلَّا بغْتَةً** ﴾ أي إلا فجأة على غفلة . روى الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا

يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة ، وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » وعليه قول تعالى : ﴿ **ما يَنْظُرُون إلَّا صَيْحةً وَاحِدةً تأخُذُهُم وَهُمْ يَخِصِّمُونَ** ﴾ أي يتخاصمون في بيعهم وشرائهم ﴿ **فلا يستطِيعُونَ تَوْصِيَةً ولَا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُون** ﴾ لقحته . بفتح اللام وكسرها . الناقة القريبة العهد بالولادة . ويليط حوضه . يطينه ويصلحه . وقوله : ﴿ **يسئلُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عنْهَا** ﴾ أي يسألونك كأنك حفي : مبالغ في سؤال ربك عنها . وقد يكون المعنى : يسألونك عنها كأنك حفي بهم . وبينك وبينهم مودة . أوكأنك صديق لهم . ويؤيد هذا ماورى عن ابن عباس قال : لما سأل الناس النبي ﷺ عن الساعة : سألوه سؤال قوم كأن محمدا حفي بهم . فأوحى الله إليه — إنما علمها عنده استأثر به فلا يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا رسولاً * وتقدم ماروى قال : قالت قريش لمحمد ﷺ : إن بيننا وبينك قرابة فأشر إلينا متى الساعة ؟ فقال الله عز وجل : ﴿ **يسألُونَكَ كأنَّكَ حفيٌّ عنها** ﴾ . قلت : والحفي : المستعصى من الشيء المهتبل به المعتني بأمره . قال الأعشى : والاحفاء الاستقصاء . ومنه احفاء الشوارب . والحافي لأنه حفيت قدمه في استقصاء السير والحفاوة البر واللطف * أي كأنك كاشف بحفاوتك عنها حتى علمتها !! وقوله : ﴿ **قُلْ إنّما عِلْمُهَا عِنْدَ الله** ﴾ تأكيد لفظي للجواب السابق لأنه عينه . وقد أمر عليه الصلاة والسلام بإعادة الجواب الأول بدون زيادة أو نقص عليه تأكيداً للحكم المذكور وإشعاراً بعلته أنها باقية على نفى العلم بها . وأنها من اختصاص المولى عز وجل الآمر بإتيانها وقيامها قال تعالى: **(إليه يُردُّ عِلْمُ السَّاعةِ وما تَخرجُ مِنْ ثمراتٍ مِنْ أكمَامِها)** وقوله تعالى : **(يسألُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أيّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إلى رَبِّكَ منتهاهَا) (ولكنّ أكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** أن علمها عنده*

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فاسْتمعُوا لَهُ وأنْصِتُوا لَعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ في الواحدي : قال أبو هريرة : نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله في الصلاة * وقال قتادة : كانوا يتكلمون في صلاتهم في أول مافرضت كان الرجل يجيء فيقول لصاحبه كم صليتم ؟ فيقول : كذا وكذا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال ابن عباس : إن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة . وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم ، فخلطوا عليه ، فنزلت هذه الآية * وقال سعيد بن جبير ومجاهد

وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة : نزلت في الإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة * وقال الزهري : نزلت في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأ هو . فنزلت هذه الآية * وفي اللباب : وقال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال : كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئاً قرؤا معه حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف ﴿ **وإذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنصتُوا ..** ﴾ وقال السيوطي : إن ظاهر الآية يدل على أنها مدنية .. ورجح الجلال أنها نزلت في ترك الكلام في الخطبة . وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه . وقيل : في قراءة القرآن مطلقاً * هذان قولان في سبب نزولها . وبقى قولان آخران . حكاهما الخازن : ونصه . واختلف العلماء في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارىء القرآن والانصات له إذا قرىء لأن قوله : فاستمعوا له وأنصتوا أمر . وظاهر الأمر الوجوب . فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين . وللعلماء في ذلك أقوال : **القول الأول** : وهو قول الحسن . وأهل الظاهر أن فحوى هذه الآية على العموم . ففي أي وقت . وفي أي موضع قرىء القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت * **والقول الثاني** : أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن . وقال عبد الله : كان يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان . سلام على فلان قال : فجاء القرآن : ﴿ **وإذَا قُرِىء القرآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنصتُوا** ﴾ * **القول الثالث** : أنها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام . روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ * وعن ابن مسعود أنه سمع ناساً يقرؤن مع الإمام فلما انصرف قال : أما آن لكم أن تفقهوا : ﴿ **وإذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لَهُ وأنْصِتُوا** ﴾ كما أمركم الله * وقال الكلبي : كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار * **القول الرابع** : أنها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة ــ وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء * قال مجاهد : الانصات للإمام يوم الجمعة * وقال عطاء : وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن . وعند الإمام وهو يخطب . وهذا القول قد اختاره جماعة . قال الخازن : وفيه بعد لأن الآية مكية . والخطبة إنما وجبت بالمدينة * وكذا ذكره الخطيب والقرطبي ــ وقال الخازن : واتفقوا على أنه يجب الانصات حال الخطبة. بدليل السنة، وهوماروى عن أبي هريرة أن إذا قلت

لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت» أخرجاه في الصحيحين * قلت : وكون الأمر بالانصات للوجوب على إرادة الخطبة لايلاقي مذهب الشافعي الجديد لأن استماع الخطبة سنة . نعم تتمشى مع مذهبه القديم . وعبارة المنهاج مع شرحها للمحلى . وإسماع أربعين كاملين . والجديد أنه لا يحرم عليهم الكلام فيها . ويسن الانصات لها . واستدل له بقوله تعالى : ﴿ وإذَا قُرِىءِ القرآنُ فاستَمِعُوا لَهُ وأنصِتُوا ﴾ ذكر في التفسير أنها نزلت في الخطبة ، وسميت قرآناً لاشتمالها عليه . والأمر للوجوب . وعلى الأول الأمر في الآية للاستجباب * قال الطبري : وأولى الأقوال ذلك بالصواب قول من قال : أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه وفي الخطبة . وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ . أنه قال : إذا قرأ الإمام فأنصتوا ، وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة الاستماع والانصات لها مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله ﷺ . وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والإنصات لسامعه من قارئه إلا في هاتين الحاليتن على اختلاف في أحدهما . وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به . وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا من قوله : إذا قُرِىءَالقرآن فأنصتوا . فالإنصات خلفه لقراءته واجب على كل من كان مؤتماً به سامعاً قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ * قلت : وفي الآية تفسير آخر . وهو أن الخطاب في الآية مع الكفار . وذلك أن كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر إلا بشرط مخصوص . وهو أن النبي إذا قرأ عليهم القرآن عند نزوله . استمعوا له وأنصتوا ليقفوا على مبانيه ومعانيه ، فيعترفوا بإعجازه . ويستغنوه بذلك عن طلب سائر المعجزات . ومما يؤكد هذا التفسير قوله في آخر الآية : ﴿ لعلَّكُمْ تُرْحُمون ﴾ والترجى إنما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزماً في قوله : ﴿ ورحمة لقومٍ يؤمنون ﴾ وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه *

سورة الأنفال وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ في الواحدي : سبب نزول هذه الآية سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخى عمير . وَقَتَلْتُ سعيد بن العاص وأخذت سيفه . وكان يسمى ذا الكتيفة ، فأتيت به النبي ﷺ . قال : اذهب فاطرحه في القبض قال : فرجعت وبي مالا يعلمه إلا الله من قتل أخي ، وأخذ سلبى ، فما جاوزت حتى نزلت سورة الأنفال . فقال رسول الله ﷺ : اذهب فخذ سيفك * وفي المراغي : نزلت هذه الآيات في غنائم غزوة بدر ، إذ تنازع فيها من حازها من الشبان وسائر المقاتلة . فقد روى أبو داود والنسائي عن ابنْ عباس أن النبي ﷺ قال : «من قتل قتيلا فله كذا ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا» فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات . وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم ، فقالت المشيخة للشبان : إنا كنا لكم ردءاً ، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا . فاختصموا إلى النبي ﷺ فنزلت : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ ..** ﴾ وروى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن سعد بن أبي وقاص أنه قتل سعيد بن العاص . وأخذ سيفه ، واستوهبه النبي ﷺ فمنعه إياه . وأن الآية نزلت في ذلك فأعطاه إياه لأن الأمر كله إليه ﷺ * وكذا في الواحدي . وروى الواحدي عن عبادة بن العاص : قال : لما هزم العدو يوم بدر ، وأتبعتهم طائفة يقتلونهم . وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ ، واستولت طائفة على العسكر والنهب . فلما نفى الله العدو . ورجع الذين طلبوهم . وقالوا : لنا النفل . بحسن طلبنا العدو . وبنا نفاهم وهزمهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : والله ما أنتم أحق به منا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ لا ينال العدو منه غرة فهو لنا . وقال الذين استولوا على العسكر والنهب ، والله ما أنتم بأحق به منا نحن أخذناه واستولينا عليه فهو لنا . فأنزل الله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ...** ﴾ فقسمه رسول الله ﷺ بالسوية * ونحوه ذكر السيوطي في لبابه . والهيثمي في مجمعه * وأخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضى الله عنهما سورة

الأنفال : قال : نزلت في غزوة بدر * قوله سورة الأنفال : أي ماسبب نزول سورة الأنفال . قلت : وهذا أحد قولين في الآية ، والقول الثاني : قال مقاتل : نزلت في أبي اليسر إذ قال للنبي ﷺ : أعطنا ماوعدتنا من الغنيمة ، وكان قتل رجلين وأسر رجلين العباس بن عبد المطلب . وآخر يقال له سعد بن معاذ . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن الخمس بعد الأربعة أخماس فنزلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ ... ﴾ ذكره العيني في شرح صحيح البخاري قلت : وفي ذلك اليوم لم يكن فيه خمس ، وإنما كان فيه طاعة الله ورسوله وصلاح ذات البين ، وهو ماذكره الحاكم في مستدركه في آخر رواية عبادة بن الصامت . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ولم يخرجاه . وأقره الذهبي . وفي مجمع الزوائد في كتاب التفسير سئل عبادة بن الصامت رحمة الله عن الأنفال . فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل — الغنيمة — وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا . وجعله إلى رسول الله ﷺ . فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء — يقول على سواء — وذكر أن رجاله ثقات — وليس في بقية التفاسير أقوال في الآية غير الأقوال التي ذكرت . أما التفسير : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ﴾ . الأنفال : هي الأموال المأخوذة من الكفار قهراً . قال الأزهري : هو ماكان زيادة عن الأصل فسميت الغنائم بذلك لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل الغنائم لهم وهو الصحيح * وصلاة التطوع نافلة لأنها زائدة على الفرض . وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ أي زيادة على ماسأل . والضمير في يسألونك عائد إلى جمع معينين من الصحابة ، لهم تعلق بالغنائم كما ذكرت من الأقوال في سبب نزولها ذلك لدلالة الحال عليهم . والسؤال وإن كان مبهماً لكن جوابه بين أن سؤالهم كيف مصرفها ومن المستحق لها . قال الزجاج إنما سألوا عنها لأنها كانت حراماً على من كان قبلهم . وضعف بأن الآية دلت على أنها مسبوقة بالتنازع والتنافس ، فسألوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها . وفي الكشاف : والنفل ماينفله الغازي . أي يعطاه زائداً على سهمه من المغنم . وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب : من قتل قتيلاً فله سلبه .أو قال لسرية : ماأصبتم فهو لكم . أو فلكم نصفه أو ربعه . ولا يخمس النفل ، ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه * وذكر عن الشافعي في أحد قوليه : لايلزم . وماذكر في الكشاف يناسب خبر سعد بن أبي وقاص في إعطاء السيف إياه . وذكر صاحب الغرائب عن ابن عباس في بعض الروايات ، أن

المراد بالأنفال ما شذ عن المشركين إلى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع إلى النبي ﷺ يضعه حيث يشاء * قلت : النفل بالتحريك في اللغة الغنيمة والهبة . قال لبيد :

إن تقوى ربنا خير نفل * وبإذن الله ريثي والعجل

وقال أبو ذؤيب :

فإن تك أنثى من معد كريمة * علينا فقد أعطيت نافلة الفضل

قال أبو منصور : وجماع معنى النفل والنافلة ما كان زيادة على الأصل ، وهو يرجح قول الأزهري في أول البحث : سميت الغنائم أنفالاً لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذي لم تحل لهم الغنائم * ثم أمر بالشروع في الجواب : فقال : ﴿ **قُلِ الأنفَالُ لله والرَّسُولِ** ﴾ أي حكمهما مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ماتقتضيه حكمته ، ويمتثل الرسول أمر الله في قسمتها لا إلى رأي أحد سواه . قال مجاهد وعكرمة : إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ **واعلمُوا أنّما غنمتُم** ﴾ وضعف بأن جعل أربعة أخماسها ملكاً للغانمين لا ينافي في كون الحكم فيها لله والرسول ثم أمر المسلمين بقوله : ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ أي اجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة والتنازع والاختلاف الموجب لسخط الله ، لما فيه من المضار ، ولاسيما في حال الحرب ﴿ **وأصْلِحُوا ذاتَ بينِكُمْ** ﴾ أي وأصلحوا ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق ﴿ **وأَطِيعُوا الله ورَسُولَهُ** ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ **إنْ كنتُم مؤمنين** ﴾ حقا أي مصدقين بوعد الله ووعيده . أو إن كنتم كاملي الإيمان للام في قوله : ﴿ **إنّما الْمُؤمنون ...** ﴾ إشارة إليهم . أي إنما الكاملوا الإيمان من صفتهم كيت وكيت . والدليل عليه في آخر الآية : الثالثة : أولئك هم المؤمنون حقاً *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **كَمَا أخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بيْتِكَ بالْحقِّ وإنَّ فريقاً مِنَ المؤمنينَ** ﴾ ... في لباب السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال : ونحن بالمدينة بلغ رسول الله ﷺ أن عير أبي سفيان قد أقبلت . فقال رسول الله ﷺ : ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا فخرجنا فسرنا يوماً أو يومين . فقال : ما ترون فيهم ؟ فقلنا يارسول الله : مالنا طاقة في قتال القوم إنما أخرجنا

للعير ، فقال المقداد : لاتقولوا كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ **اذْهَبْ أنت وربّك فقاتلا إنّا هٰهُنا قاعِدُون** ﴾ فأنزل الله ﴿ **كَما أخرجك ربُّك من بيتك بالحقّ وإنّ فَرِيقاً مِنَ الْمؤمنين لكارهون** ﴾ قلت : وبيان ذلك . أن رسول الله ﷺ لما سمع بأبي سفيان مقبلا بعيره من الشام ندب المسلمين إليهم . وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها . فخف بعضهم . وثقل بعضهم ظنا منهم أن رسول الله ﷺ لا يلقي حربا ــ وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز من يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقى الركبان تخوفا على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى أهل مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمدا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، حتى بلغ وادياً يقال له : ذفران حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن مسير قريش إليهم ليمنعوا عيرهم . فأخبر رسول الله ﷺ بذلك واستشارهم ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن . ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو . فقال يارسول الله : امض لما أمرك الله به ، فنحن معك . والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أنْتَ وربُّكَ فقاتِلاَ إنَّا هٰهُنا قاعِدُونَ ﴾ ولكن اذهب أنت وربك إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (مدينة باليمن) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال رسول الله ﷺ : خيراً ودعا له بخير ، ثم قال رسول الله ﷺ : «أشيروا علي أيها النَّاس» وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله : إنا بُرآؤا من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ، نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا ، وكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال رسول الله ﷺ ذلك : قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله . قال : أجل . فقال : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدناك أن ماجئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواتيقاً على السمع والطاعة . فامض يارسول الله لما أمرك الله . فو الذي بعثك بالحق ، لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضاه منك . وماتخلف منا رجل واحد ، ومانكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبرٌ عند الحرب صدق عند اللقاء . ولعل الله يريك

ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ لقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين : العير القادمة من الشام على رأسها أبو سفيان ، أو النفير الآتي من مكة لنجدتهم ، وعلى رأسهم أبو جهل . والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم» * وفي السمين في قوله : ﴿ **كَمَا أخرجك رَبُّك** ﴾ . قال : فيه عشرون وجهاً : **أحدها** : أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره : الأنفال ثابتة لله ثبوتاً كما أخرجك . أي ثبوتا بالحق كإخراجك من بيتك بالحق . يعني إنه لا مرية في ذلك . **الثاني** : أن تقديره وأطيعوا الله ورسوله طاعة ثابتة محققة كما أخرجك . أي كما أن إخراج الله إياك لا مرية فيه ولا شبهة ... **الرابع** : تقديره يتوكلون توكلاً حقيقياً كما أخرجك ربك **الخامس** : تقديره هم المؤمنون كما أخرجك فهو صفة لحقاً . إلى أن قال : **الخامس عشر** : أنها في محل رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره هذه الحال كحال اخراجك . بمعنى أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنقل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب . **السادس عشر** : أنها صفة لخبر مبتدأ . وقد حذف ذلك المبتدأ وخبره.

والتقدير قسمتك الغنائم حق كما كان اخراجك حقاً . **السابع عشر** : أن التشبيه بين اخراجين . أي اخراج ربك إياك من بيتك وهو مكة وأنت كاره للخروج وكان عاقبة ذلك الاخراج النصر والظفر كإخراجه إياك من المدينة وبعض المؤمنين في أنه يكون عقيب ذلك الخروج الظفر والنصر والخير كما كانت عقيب ذلك الخروج الأول * قلت : إن الكاف في (كما أخرجوك) هي بالتأكيد صفة المصدر محذوف يقدر بأن الأنفال ثابتة في تقسيمها لله كما ثبت إخراجه إياك من بيتك بالحق وما مصدرية لدخولها فعل ماض . فهي لا توصل إلا بالفعل الماضي أو المضارع . وذكر السهيلي أن شرط كون (ما) مصدرية صلاحية وقوع (ما) الموصولة موقعها . أي كالذي أخرجك من بيتك . وذكر بعضهم أن الكاف هنا بمعنى الواو . فهي مقسم بها . وضعف هذا القول . وتقدير مصدريتها : أخرجك من المدينة لتأخذوا العير التي مع أبي سفيان أي لتغنمها، فأصل خروج النبي والمؤمنين لأجل أن يغنموا القافلة فلم يكن في خروجهم كراهة . وإنما عرضت لهم الكراهة بعد الخروج قريب بدر لما أخبروا أن العير بخت منهم . وإن قريشاً أتوا إلى بدر . وأشار عليهم النبي ﷺ بأنهم يمضون إلى قتال قريش الذين خرجوا ليذبوا المسلمين عن القافلة ، فكره المسلمون القتال لا عصياناً بل بالطبع حيث خرجوا من غير

استعداد للقتال لا بعدد ولا بعدد . وإنما كان أصل خروجهم لأخذ الغنيمة فقوله : ﴿ **وإنّ فريقاً مِنَ المؤمنينَ لكَارِهُونَ** ﴾ حال مقدرة أن الكراهة لم تقارن الخروج . بل كانت لما عاينوا النفير . فما ذكره الجلال أن الجملة حال من كاف أخرجك . وكما خبر مبتدأ محذوف . أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم * غير واضح المعنى . والحاصل أنه وقع للمسلمين في وقعة بدر كراهتان : كراهة قسمة الغنيمة على السوية ، وهي واقعة من شبابهم بسبب تأويلهم بأنهم باشروا القتال دون الشيوخ ... والكراهة الثانية : كراهية قتال قريش وعذرهم فيها أنهم خرجوا من المدينة للغنيمة لا للقتال لأنهم لم يتهيئوا له . فشبه الله تعالى إحدى الحالتين بالأخرى في مطلق الكراهية المتساوية في الحالتين . ولعل أشدها القتال لقوله : ﴿ **يُجادِلُونَك في الحقِّ** ﴾ أي في القتال ﴿ **بَعْدَ ما تَبَيَّنَ** ﴾ ظهر هم ، فالكراهية الأولى أدت إلى السؤال لحل النزاع والثانية أدت إلى الجدال المنهى عنه لأنه يؤدي إلى الخصام : وشبه شدة كراهتهم للقتال بقوله : ﴿ **كأنّهُمْ يُساقُونَ إلى الْمَوْتِ وهُمْ ينظرون** ﴾ إليه عياناً . وقد كان خروجهم خيراً لهم لما ترتب عليه من النصر والظفر . والكراهية الأولى خيراً لهم لأنها أرست حكماً شرعياً في تقسيم الغنائم حتى يوم الدين *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أنّى مُمِدُّكُمْ بألْفٍ مِنَ الْمَلائكةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ في لباب السيوطي : روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال : نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف . وأصحابه ثلاثمائة ، وبضعة عشر رجلاً . فاستقبل القبلة ، ثم مد يديه وجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لي ما وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض . فمازال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه . فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ، وألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال يا نبي الله : كفاك منا شدت ربك فانه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله : ﴿ **إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أنىّ مُمِدُّكُمْ بألْفٍ مِنَ الْمَلائكةِ مُردِفِينَ** ﴾ فأمدهم الله بالملائكة * قلت : وقد روى الحديث عن مسلم عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب . قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ... وفي آخره . فأمده الله بالملائكة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين * وروى البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه . عليه أداة الحرب : يعني آلة الحرب » وروى أنه ﷺ نام نومة وهو في العريش .

ثم انتبه . فقال يا أبا بكر : أتاك نصر الله : هذا جبريل أخذ بعنان فرسه ، يقوده على ثنايا النقع * وروى البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ يوم بدر : «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذا أبو بكر بيده فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : «سيهزم الجمع ويولون الدبر» أما التفسير : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ** ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم . وهو تذكير لهم بنعمة أخرى . فهو في المعنى معطوف على قوله : ﴿ **وإذْ يَعِدُكُم الله احدى الطائفتين** ﴾ العير أو النفير . والمقام للماضي لأن الاستغاثة وقعت منهم لما توافقوا على القتال وخافوا من العدو ، فاستغاثوا الله . أي اذكروا وقت استغاثتكم ربكم قائلين ربنا انصرنا على عدوك : ياغياث المستغيثين أغثنا . وفي الخازن : إذ تستيغثون ربكم . أي تستجيرون * بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر . قال : وفي المستغثين قولان : أحدهما أنهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه قاله الأزهري . والقول الثاني أنه رسول الله ﷺ وحده إنما ذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم ، وقد تقدم حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب الذي رواه عنه مسلم في هذا الخصوص . والأمر بهذا الذكر لبيان نعمة الله عليهم حين التجائهم إليه إذ ضاقت عليهم الحيل في الخروج من المأزق الذي وقعوا فيه . فطلبوا مخلصاً منه فاستجاب دعاءهم ﴿ **فاسْتَجابَ لَكُمْ** ﴾ السين والتاء في تستغيثون . للطلب زائدتان في (فاستجاب) مبالغة في إجابة الدعاء . فاستجاب أبلغ من أجاب . ووقعت الإجابة وفق الطلب فقال : ﴿ **أنّي** ﴾ أي بأني ﴿ **مُمِدُّكُمْ** ﴾ معينكم بامدادي إياكم ﴿ **بألْفٍ مِنَ الْمَلائِكةِ مُرْدِفينَ** ﴾ متتابعين ، يردف بعضهم بعضاً ، وعدهم بها أولاً ، ثم صارت ثلاثة آلاف ، ثم خمسة آلاف كما في آل عمران . ثم بين الله تعالى علة الإمداد بقوله : ﴿ **وما جَعَلَهُ الله** ﴾ أي الامداد ﴿ **إلّا بُشْرَى لكُمْ** ﴾ أولاً بالنصر . ثانياً ﴿ **ولتطْمَئنّ بهِ قُلُوبُكُمْ** ﴾ أي ولتسكن به قلوبكم من الزلزال الذي عرض لكم . فكان من مجادلتكم للرسول في أمر القتال ما كان . ﴿ **وما النَّصرُ إلّا مِنْ عِنْدِ الله** ﴾ فلا يتوقف على التأهل والتهيء بالعدد والعدد كما تعللتم بذلك حين كرهتم القتال . ﴿ **إن الله عَزِيزٌ** ﴾ غالب على أمره ﴿ **حَكيمٌ** ﴾ في تدبير شؤن خلقه . فهو وحده بيده الظفر والاعانة ، فيجب التوكل عليه في جميع الأحوال ، وهناك روايات كثيرة تفيد أن الملائكة قد باشرت القتال يوم بدر ، وفي يوم أحد وعدهم الله وعداً معلقاً على الصبر والتقوى : « بلى إن تصبروا وتتقوا يأتوكم من فورهم هذا» ولكن الشرط الأخير قد انتفى فانتفى

ماعلق عليه . وفي بدر لم يكن نزولهم بشيء فباشروا القتال . وقيل : قد باشر بعض الملائكة بالقتال يوم أحد دفاعاً عن رسول الله ﷺ . وهو ماأوضحته في كتابي/ صحيح السيرة وفقهها *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ في الواحدي : حدث ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده . فاعترض له رجالٌ من المؤمنين . فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله . فاستقبله مصعب بن عمير أحد بني عبد الدار ، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع . فطعنه بحربته ، فسقط أبي عن فرسه . ولم يخرج من طعنته دم . وكسر ضلعاً من أضلاعه . فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ماأعجزك إنما هو خدش ، فقال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين . فمات أبي إلى النار ، فسحقاً لأصحاب السعير قبل أن يقدم مكة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ...** ﴾ قلت : هذا الحديث صحيح رواه في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي . وفيه : فقالوا له : ماأعجزك إنما هو خدش ـــ زاد ـــ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتل أبيا .. * وفي الواحدي : وروى ابن جبير أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس . فأتي بقوس طويلة . فقال : جيئوني بقوس غيرها ، فجاؤه بقوس كبداء ، فرمى رسول الله ﷺ الحصن ، فأقبل السهم يهوى حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق . وهو على فراشه فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ...** ﴾ قال السيوطي : إن هذه الرواية مرسلة جيدة الاسناد غريبة * وأكثر المفسرين أن الآية نزلت في رمي النبي ﷺ القبضة من حصباء الوادي يوم بدر حين قال للمشركين : شاهت الوجوه . ورماهم بتلك القبضة ، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء . قال حكيم بن حزام : لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء إلى الأرض وكأنه صوت حصاة وقع في طست ، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمنا ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى** ﴾ وهذه الرواية هي المشهورة . أخرج أبو الشيخ نحوها عن جابر وابن

عباس ، ولابن جرير من وجه آخر مرسلاً نحوه . ذكره السيوطي في لبابه . وفي الغرائب : ولما طلعت قريش قال رسول الله ﷺ : وهذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك . اللهم إني أسألك ماوعدتني . فأتاه جبرائيل عليه السلام . فقال : خذ قبضة من تراب فارمهم بها . فقال : لما التقى الجمعان لعلى . اعطني قبضة من حصباء الوادي . فأعطاه فرمى بها في وجوههم . وقال : شاهت الوجوه . فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه . فانهزموا فنزلت : ﴿ وما رمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ .. ﴾ ومارميت أنت يا محمد إذا رميت . ولكن الله رمى . أثبت الرمية للرسول ﷺ لأن صورتها وجدت منه عليه السلام . ونفاها عنه لأن أثرها فوق حد تأثير القوى البشرية . قال : وهذا الأصح . نعم لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . أما التفسير : ﴿ وَما رمَيْتَ ﴾ يا محمد أعين القوم بالحصباء ﴿ إذْ رَمَيْتَ ﴾ حين رميت بالحصى لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمى البشر ﴿ ولكنَّ الله رَمَى ﴾ بإيصال ذلك الحصى إلى أعينهم . فأنت ترى أن قوله تعالى : ﴿ وما رمَيْتَ ﴾ نفي وقوله : ﴿ إذْ رَمَيْتَ ﴾ إثبات على حد قولك : وماضربت وضربت . الجواب إن المنفى الرمى الذي هو إيصال الحصى لأعينهم . وهذا فعل الله تعالى . فيصدق على أن الرسول مافعله . والمثبت للرسول ﷺ . فعلى الرمى أي مباشرته بدون علم تحقيق نتائجه . فنفاه عنه باعتبار الايجاد وأثبته له باعتبار إتيانه صورة الرمى لأعلى سبيل التمثيل بل باعتبار الحقيقة والواقع . إذ الموجد له حقيقته هو الله تعالى . وقد أشكل هذا الأمر على كثير من المفسرين قوله : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤمنينَ مِنْهُ ﴾ أي الابلاء لأنه أقرب مذكور له ﴿ بَلاءً ﴾ مصدر لأبلى أي عطاءً . ﴿ حَسناً ﴾ هو الغنيمة * وعبارة البيضاوي . أي ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات * وأنت خبير بأن البلاء يقع على النعمة والمحنة لأن أصله الاختبار . فهو لفظ مشترك بالخير والشر والبلاء هنا محمول على النعمة كما ذهب إليه المفسرون . أي فكما يكون البلاء محنة لاظهار الصبر يكون نعمة أيضاً لإظهار الشكر،والاختبار من الله تعالى إظهار ماعلم كما علم لا لتحصيل علم مالم يعلم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وإنْ تعُودُوا نَعُدْ ولَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وإنَّ الله مَعَ الْمُؤمِنينَ ﴾في الواحدي : قال ابن شهاب : حدثني عبد الله بن ثعلبة بن صغير ،

قال : كان المستفتح أبا جهل . وإنه قال حين التقى بالقوم : اللهم أينا كان أقطع للرحم . وأتانا بما لم نعرف . فافتح له الغداة ، وكان ذلك استفتاحه فأنزل الله تعالى : ﴿ إن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وإنَّ الله مَعَ المؤمنين ﴾ * قلت وقد رواه الحاكم في مستدركه ، فقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي . وفي الواحدي : أيضاً قال السدي والكلبي : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة . وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين : وأهدي الفئتين . وأكرم الحزبين ، وأفضل الدينين . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال أبو جهل : اللهم انصر أعز الفئتين . وأكرم الفرقتين . فنزلت : وكذا في البيضاوي والجلال وعبارة الأول : قال أبو جهل وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر وتعلقوا بأستار الكعبة . وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين . وأهدي الفئتين . وأكرم الحزبين ودعوا بما ذكروا . وهو في نفس الأمر دعاء عليهم وإن أرادوا به الدعاء على محمد وحزبه * وعبارة الثاني : قال أبو جهل : اللهم أينا كان أقطع للرحم . وأتانا بما لم نعرفه . فأحنه الغداة . أى أهلكه * فأحنه الغداة . في المختار الحين بالفتح الهلاك وقد حان الرجل أى هلك وأحانه الله أهلكه وفى الطبرى عن الزهرى : إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح . قال : استفتح أبو جهل فقال : اللهم يعنى محمداً ونفسه ، أينا كان أفجر لك اللهم وأقطع للرحم ، فأحنه اليوم قال الله ﴿ إن تَسْتَفْتِحُوا فقد جاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ فضربه ابنا عفراء : عوف ومعوذ وأجهز عليه ابن مسعود * وعن قتادة : قوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح .. الآية يقول : قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر * وقال ابن زيد في قوله : إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، قال : إن تستفتحوا العذاب فعذبوا يوم بدر قال : وكان استفتاحهم بمكة قالوا : «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم» قال : فجاءهم العذاب يوم بدر وأخبر عن يوم احد«وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولوكثرت وأن الله مع المؤمنين»* وحدث الطبرى عن يزيد بن رومان وغيره . قال أبو جهل يوم بدر : اللهم انصر أحب الدينين إليك ديننا العتيق أم دينهم الحديث . فأنزل الله ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح.إلى قوله‌وأن الله مع المؤمنين * ﴾ وهكذا بقية الأقوال في التفاسير لا تخرج عما ذكرت لك . أما التفسير ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوا ﴾ خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والذلة .

أى تطلبوا الفتح . أى قضاء الحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل وقيل : الخطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يختاره الرسول فهو خير لكم . وإن تعودوا اليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر . فإنه مع الكاملين في إيمانهم ولعل هذا القول هو الأصح ويؤيده قوله بعد ذلك الخطاب الذى يليه : ﴿ **ياأيُّها الّذِينَ آمنُوا أطِيعُوا الله ورسُولَه ولا تَوَلَّوْا عَنْهُ وأنْتُمْ تَسمْعُون۔ولَا تكونُوا كالّذينَ قالُوا سمعنا وهُمْ لا يَسْمَعُون** ﴾ هم المنافقون أو المشركون . وقوله ﴿ **فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ** ﴾ أى القضاء بهلاك من هو كذلك . وهو أبو جهل ومن معه دون النبى ﷺ والمؤمنين هذا يؤيد ماقلته من صحة القول الثانى أن الخطاب للمؤمنين . لكن يعكر عليه قوله : ﴿ **وإنْ تَنْتَهُوا** ﴾ عن الكفر والحرب ﴿ **فَهُوَ خيْرٌ لَكُمْ وإنْ تعُودُوا** ﴾ لقتال النبى ﷺ ﴿ **نَعُدْ** ﴾ لنصره عليكم ﴿ **وَلَنْ تُغْنِىَ** ﴾ تدفع ﴿ عنكم فئتكم ﴾ جماعاتكم ﴿ **شيئاً ولَوْ كَثُرتْ وإنَّ الله مَعَ المؤمنين** ﴾ بالنصر لهم عليكم معشر الكافرين . وفى أن الكسر على الاستناف والفتح على تقدير اللام . ففى السمين قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح . والباقون بالكسر فالفتح من أوجه : أحدها أنها على لام العلة والمعلل تقديره ولأن الله مع المؤمنين كان كيت وكيت والثانى أن التقدير ولأن الله مع المؤمنين امتنع عنادهم والثالث أنه خبر مبدأ محذوف أى والأمرأن الله مع المؤمنين . قال : وهذا الوجه الأخير يقرب في المعنى من قراءة الكسر لأنه استئناف قلت : وقدر الزمخشرى قرءاة الفتح ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك .

القول في سبب نزول قوله تعالى ﴿ **ياأيُّها الّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا الله والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ۔واعَلَمُوا أنّماَ أمْوَالكُمْ وأولَادُكُمْ فتنَةٌ وأنَّ الله عِنْدَه أجرٌ عَظِيمٌ** ﴾ ذكر الواحدى أنها نزلت في أبى لبابة بن عبد المنذر الأنصارى . وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة ، فسألوا رسول الله ﷺ الصُلْح على ماصالح عليه إخوانهم من بنى النضير على أن يسيروا بإخوانهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأبوا وقالوا : أرسل الينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم ، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم .فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا ياأبا لبابة : ماترى أننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه إنّه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة : والله

مازالت قدماى حتى علمت أنى خنت الله ورسوله فنزلت في هذه الآيات، فلما نزلت شد نفسه على سارية من سوارى المسجد ، وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليه . فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه ، فقيل له يا أبا لبابة : قد بتيب عليك فقال : لا والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلنى فجاء فحله بيده ، ثم قال ابو لبابة : من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب،وأن انخلع من مالى فقال رسول الله ﷺ يجزيك الثلث أن تتصدق به * وفي لباب السيوطى : روى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريل النبى ﷺ فقال : إن أبا سفيان بمكان كذا وكذافاخرجوا اليه،واكتموا فكتب رجل من المنافقين إلى أبى سفيان إن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله : ﴿ **لَا تَخونُوا الله والرسُول** ﴾ الآية قال السيوطى غريب جدا في سنده وسياقة نظر.وأخرج ابن جرير عن السدى قال : كانوا يسمعون من النبى ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين * فنزلت وذكر القول الأول في الكشاف والمراغى والخازن والغرائب.وفي الغرائب زيادة على الأقوال المتقدمة : وقال الزهرى والكلبى : نزلت في حاطب بن أبى بلتعة حين كتب إلى أهل مكة بخروج النبى ﷺ اليها . حكاه الأصم . قال القاضى والأقرب أنها في الغنائم ، فالخيانة فيها خيانة لله لأنها عطيته . وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قلت : والقول الأول هو المشهور في سبب نزول الآية ، ويؤيده قوله تعالى فيها : ﴿ **واعْلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ فقد كانت عيال أبى لبابة وماله وولده عند بنى قريظة وإن كان ذلك الأمر بالنسبة لحاطب بن بلتعة فقد وردت قصته في الصحيحين أن كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله ﷺ إياهم عام الفتح فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث في أثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطباً فأقر بما صنع واعتل بماله عند المكيّين ومافعل ذلك إلا ليتخذ يدا عندهم،فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله:ألا أضرب عنقه،فإنه قد خان اللهورسولهوالمؤمنين ؟ فقال: « دعه فإنه شهد بدرا ، ومايدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » والقول بأن الآية عامة في كل ماذكر هو الأصح ، لأنها وإن صحت أنها وردت في سبب خاص ، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جماهير العلماء . أما التفسير : ﴿ **ياأيُّها الّذِينَ آمَنُوا لَا تخُونوا الله والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ** ﴾ فاعادة النهى إشارة إلى أن المنهى عنه كل واحد

من الأمرين مستقلا ، وليست الواو للمعية ، فالثانى مجزوم نسقاً على الأول ولا يجوز أن يقال : نهى عن الجمع بينهما لأنه لا يلزم من النهى عن الجمع النهى عن كل واحد على حدة أى لا تخونوا الله فتعطلوا فرائضه ، أو تتعدوا حدوده وتنتهكوا محارمه التى بينها لكم في كتابه ولا تخونوا الرسول فترغبوا عن سنة إلى سنة آبائكم وزعمائكم ، ولا تخونوا أماناتكم فيما بين بعضكم وبعض من المعاملات المالية والودائع وغيرها من افشاء الأسرار التى أوتمنتم عليها .. ويحتمل أن يراد بالأمانة كل ما تعبد به ، وكأن معنى الأية إيجاب أداء التكاليف بأسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص و إخلال . ومعنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ، فإذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه.وعبارة صاحب الغرائب : ولا تخونُوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنُّوا به ، وآماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها ، وأنتم « تعلمون » تبعة ذلك ووباله ، أو تعلمون أنكم تخونون ، يعنى أن الخيانة توجد منكم عمداً لا سهواً ثم لما كان الداعى إلى الخيانة محبة الأموال والأولاد ولعل مافرط من أبى لبابة كان بسبب ذلك ، نبه الله سبحانه على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال : ﴿ **إنّما أمْوالكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَة** ﴾ أى أنها سبب الوقوع في الفتنة وهى الإثم،أو العذاب،أو هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده فى ذلك الباب ﴿ **وأنّ الله عِنْدهُ أجْرٌ عَظِيمْ** ﴾ فعليكم أن تزهدوا في الدنيا وما يتعلق بها ، وتنوطوا هممكم بما يقضى إلى السعادات الروحانية الباقية . ويمكن أن يتمسك بالآية في بيان أن الاشتغال بالنوافل لكونه مفضياً إلى الأجر العظيم عند الله هو أفضل من الاشتغال بالنكاح لأدائه إلى الفتنة * ونزل في توبة أبى لبابة : ﴿ **ياأيُّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا الله** ﴾ بالانابة وغيرها ﴿ **يَجْعلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ بينكم وبين ماتخافون فتنجون ﴿ **ويُكَفِّرْ عنكُمْ سيّئاتِكُمْ ويَغْفِرْ لكُمْ ذنُوبكم والله ذُو الْفضْلِ العُظِيم** ﴾ لأنه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه * وقيل : إنه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيآت وقيل : معناه إن بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره.والفضيلة والفضل الخير *

والقول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أوْ يَقْتُلُوكَ أوْ يُخْرِجُوكَ ويَمْكُرونَ ويَمْكُر الله والله خَيْرُ الْماكِرِينَ** ﴾ قال السيوط في لبابه أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أن نفرا من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا

ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمعتُ بما اجتمعتم له فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأى ونصح قالوا أجل؛ ادخل فدخل معهم فقال:انظروا في شأن هذا الرجل فقال قائل احبسوه في وثاق ثم تربّصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم فقال عدو الله الشيخ النجدى : لا والله ماهذا برأى والله ليخرجن رائد من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أنه يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ، ثم يمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يُخرجوكم من بلادكم . فأنظروا غير هذا الرأى فقال قائل : أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه فإنه إذا أخرج لن يضركم ماصنع ، فقال الشيخ النجدى : والله ماهذا لكم برأى . ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يمتع من حديث والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليسيرنّ إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا : صدق والله فأنظروا رأيا غير هذا ، فقال أبو جهل : والله لأشيرنّ عليكم برأى أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره قالوا : وماهذا ؟ قال تأخذوا من كل قبيلة وسيطا شابا جلدا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلها ، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل – الدية – واسترحنا وقطعنا عنا أذاه فقال الشيخ النجدى : هذا والله هو الرأى القول ماقال الفتى لا أرى غيره فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل النبى ﷺ فأمره ألا يبيت في مضجعه الذى كان يبيت،وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك في الخروج ، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة يُذكّره نعمته عليه : ﴿ **وإذْ يمكُرُ بِكَ الّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ الآية ورواه ابن سحاق في سيرته وابن كثير والخازن وغيرهم من أهل السير والمفسرين * وأخرج ابن جرير من طريق عبيد بن عمر عن المطلب بن أبى وداعة أن أبا طالب قال للنبى ﷺ : ما يأتمر بك قومك ؟ قال : يريدون أن يسجنونى أو يقتلونى ، أو يخرجونى قال : من حدثك بهذا ؟ قال : ربى قال : نعم الرب ربك فاستوصى به خيرا قال : أنا استوصى به بل هو يستوصى بى فنزلت : ﴿ **وإذْ يمكرُ بِكَ الّذِينَ كفروا** ﴾ الآية قال ابن كثير : ذكر أبى طالب فيه غريب بل منكر لأن القصة ليلة الهجرة وذلك بعد موت أبى طالب بثلاث سنين.قلت وفي مجمع الزوائد عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذْ يمكُرُ بِكَ الّذِينَ**

كفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ» قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى ﷺ وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم: بل أخرجوه فأطلع الله عزوجل نبيه على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش رسول الله ﷺ وخرج رسول الله ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبى ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا ردّ الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدرى فأقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا نسج العنكبوت على بابه فبات فيه ثلاث ليال * قال الهيثمى : رواه احمد والطبرانى وفيه عثمان بن عمرو الجزرى وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح * وفسر البخارى في صحيحه ﴿ **لِيُثْبِتُوك** : **ليحبسُوك** ﴾ وبه فسر عطاء وابن زيد وقال السدى : الاثبات هو الحبس والوثاق ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتاده : ليثبتوك ليقيدوك وفي شرح المواهب مانصه : فقال بعضهم لبعض : والله إنها لَسُبَّةٌ – أى عارٌ – في العرب أن يتحدثوا عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا سر حرمتنا فهذا الذى أقامهم بالباب حتى أصبحوا * أما التفسير : ﴿ وَ ﴾ اذكر يا محمد ﴿ **إِذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذِينَ كفروا** ﴾ المكر في اللغة : احتيال في خفية،وأصله الخداع ومكرهم اجتماعهم للمشاورة في شأن الرسول ﷺ بدار الندوة أى الدار التى تقع فيها الندوة أى الاجتماع والتحدث فالندوة مصدر .في المصباح ندا القوم ندوا من باب قتل : اجتمعوا ومنه النادى وهو مجلس القوم ومتحدثهم،ولا يقال فيه ذلك إلا والقوم مجتمعون فيه فإذا تفرقوا زالت عنه هذه الأسماء ، والندوة المرة من الفعل ، ومنه سميت دار الندوة بمكة التى بناها قصى لأنهم كانوا يندون فيها ، أى يجتمعون ثم صار مثلا لكل دار يرجع اليها ويجتمع فيها وجمع النادى أندية * وذكر الزرقانى على المواهب أنها أول دار بنيت بمكة فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدرى بمائة ألف درهم ثم صارت كلها مسجد الحرام ، وهى جانبه الشمالى * ﴿ **لِيُثْبِتُوكَ** ﴾ تقدم بيان ذلك وقوله ﴿ **أَوْيَقْتُلُوكَ** ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ، إشارة لرأى أبى جهل الذى صوبه صديقه ابليس لعنهما الله ﴿ **أَوْيُخْرِجُوكَ** ﴾ من مكة منفيا كما أشار بذلك هشام بن عمرو ﴿ **وَيمْكُرُون** ﴾ بك يامحمد أى يحتالون ويتدبرون في أمرك وقد تقدم معنى المكر في اللغة ﴿ **وَيَمْكُرُ الله** ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج وحفظك حتى أبلغك مأمنك واستدرجهم إلى بدر فقلل المسلمين أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا وهذا مكر الله بهم أى جزاؤه بهم أى سُمى

باسم مكر المجازى كما قال تعالى : ﴿ وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهاَ ﴾ فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة بل هى مجازاة وإنما سميت سيئة لازدواج الكلام . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عليكُمْ فاعْتَدُوا عَلَيْه ﴾ فالأول ظلم والثانى ليس بظلم ولكنه سمى باسم الذنب ليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به . ويجرى مجرى هذا القول قوله تعالى : ﴿ يُخادِعُون الله وهُوَ خادِعُهُمْ ﴾ ﴿ والله يسْتهْزىء بِهِمْ ﴾ يجازيهم وذلك بإيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه وقوله ﴿ والله خيْرُ ألمَاكرينَ ﴾ أعلمهم به كذا قال الجلال وفيه شبهة تفضيل ولو قال : ﴿ والله خَيْرُ الماكرينَ ﴾ لما هيأه لهم من الجزاء العادل ببدر لكان أولى إذ هو المشار اليه بقوله تعالى ﴿ وإنْ كَادُوا لَيَستَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضَ لَيخرِجُوكَ مِنْها وإذا لا يلْبثُونَ خِلافَكَ إلَّا قليلًا ﴾ ويؤيده مارواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهى تبكى فقال : « ما يبكيك يا بنية ؟ » قالت يا أبتى : ومالى لا أبكى وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر - حطيم مكة وهو المدار بالبيت من جهة الميزاب - يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك فقال : « يابنية ائتنى بوضوء » فتوضأ رسول الله ﷺ ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا : هاهو ذا فطأطؤا رؤوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال « شاهت الوجوه » فما أصاب رجلًا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً * قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه قال ابن كثير : ولا أعرف لهذا الحديث علة *

القول في سبب نزول قوله تعالى ﴿ وإذَا تُتْلَى عَليهِمْ آياتِنا قالُوا قد سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا إنْ هَذَا إلا أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ في لباب السيوطى أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال : قتل النبىُّ ﷺ يوم بدر صبرا عُقبةَ بن أبى معيط وصعيمة بن عدى فقال رسول الله ﷺ إنه كان يقول في كتاب الله مايقول قال : وفيه أنزلت هذه الآية ﴿ وإذَا تُتْلَىَ عليه آياتُنا ﴾ الآية * وقد أوضح القصة بن كثير بقوله : وقد قيل إن القائل لذلك لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم : رستم واسفنديار ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول : بالله أينا أحسن قصًا أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في

الأسرفأمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبته صبرا بين يديه ففعل ذلك ولله الحمد.وكان الذى أسره المقداد بن الأسود رضى الله عنه كما قال ابن جرير وساق الذى ذكره السيوطى * وفي الخازن : نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة من بنى عبد الدار وذلك أنه كان يختلف إلى أرض فارس والحيرة ، ويسمع أخبارهم عن رستم واسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون،فلما جاء مكة وجد النبى ﷺ قد أوحى إليه وهو يقرأ ويصلى فقال النضر بن الحارث : قد سمعنا مثل هذا الذى جاء به محمد ، لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذى لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم :«لو نشاء لقلنا مثل هذا»بعد التحدى وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ماتخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة،فبان بذلك كذبهم في قولهم :«لونشاء لقلنا مثل هذا» * في الكشاف وقيل : قائلة النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون : لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعمتم أنه مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير قال : وهو القائل « إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » * وسيأتى بيان ذلك بعد هذه الآية إن شاء الله.وفي الغرائب : روى أن النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة تاجرا واشترى أحاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول : هذا مثل مايذكره محمد من قصص الأولين ولو شئت لقلت مثل مقوله * ولم أر في بقية التفاسير قولا زائدا في معناه على ماذكرت بل ذكروا كلهم أنها نزلت في النضر بن الحارث ، أما التفسير : ﴿ **وإذا تُتْلَى عَلَيهِمْ آياتُنا** ﴾ آيات كتاب الله الواضحة البيان لمن يشرح الله صدره للاسلام ﴿ **قالُوا** ﴾ أولئك المستهزؤن جهلا منهم وعنادا للحق وإنهم ليعلمون إنهم لكاذبون ﴿ **قَدْ سَمِعْنا** ﴾ مايتلى علينا ﴿ **لَوْ نَشاءُ** ﴾ نريد ﴿ **لَقُلْنَا مِثْلَ هذا** ﴾ الذى يتلى علينا من القرآن الذى وصفوه بأنه أساطير الأولين والتعبير بلَوْ دلالة على عجزهم وكـذبهم فهى حرف يدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى فقوله : ﴿ **لونَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذا** ﴾ لم يقله لا في الماضى ولا في الحاضر ولا في المستقبل أى قصدى أقول : لم يتحقق شرطها ولا جوابها وإيضاح ذلك باختصار إن قوله ﴿ **مثل هذا** ﴾ المشار إليه وهو القرآن . وهل للقرآن مثيلة تشبهه في بلاغته وإعجازه كان النضر وامثاله على علم بها ؟ هذا مالم يأتوا به فثبت كذبهم أن ليس للقرآن

مثيلة ليتعرضوا بها ولذا عللوا دعوتهم الكاذبة بما هو أشد منها كذبا فقالوا : « إن هذا إلا أساطير الأولين » السطر والسطر : الصف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها . وجمع ذلك أسطر وأسطار وأساطير والسطر الخط والكتابة أي أنهم يريدون ماجاء به نبينا محمد ﷺ هو مما سطره الأولون وكتبوه بأيديهم قال تعالى ﴿ **والْقَلَم وما يَسْطُرُون** ﴾ أى وما تكتب الملائكة وقال تعالى : ﴿ **وكُلُّ صَغِيرٍوكبيرٍ مُسْتطَرٌ** ﴾ مكتوب والأساطير في أصل اللغة أحاديث لا نظام لها فهى تشبه الباطل إذ يقال هو يسطر مالا أصل له أى يؤلف وفي حديث الحسن سأله الأشعث عن شيء من القرآن فقال له : والله إنك ما تسيطر على بشيء * أى ماتروج يقال : سطر فلان على فلان إذا زخرف الأقاويل ونمقها وتلك الأقاويل الأساطير والسطر والمعنى أن أخبار القرآن عن الرسل وأقوامهم تشبه قصص أولئك الأمم فهم يستطيعون أن يأتوا بمثلها فما هى من خبر الغيب الدال على أنه وحي من عند الله قالوا هذه المقالة الشنيعة وهم يعتقدون صدق ماجاء به نبينا محمد ﷺ لأنهم يعلمون أنّه أمى لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى : ﴿ **وما كُنْتَ تُتلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ ولَا تخطُّهُ بيمينك إذا لاَرْتَابَ الْمبُطِلُون** ﴾ بل قالوا ذلك ليصدوا العرب عن القرآن وقد كذبهم الله فيه فما استطاعوا له إثباتا.روى أن النضـــر هـــو الذى أنزل فيه

﴿ **ومِنَ النَاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الله بِغَيْر عِلْمٍ ويَتَخِذَهَا هُزُواً** ﴾ قد اشترى قينة جميلة تغنى الناس بأخبار الأمم لصرفهم عن سماع القرآن وهذا منتهى الجحود والعناد،وقد كان النضر نفسه وأبو جهل والوليد بن المغيرة يستمعون ليلا خفية من رسول الله ﷺ ويعجبون منه حتى قال الوليد بن المغيرة كلمته المشهورة في القرآن الكريم : إنه يعلو ولا يُعلى عليه ، وإنه يحطم ماتحته،أعلاه مثمر وأسفله مغدق وماهو من كلام البشر.فلما سمع العرب كلمته هذه خافوا أن يؤمن فألحوا عليه ليقول نقيضها فقال : «**إن هَـذَا إلاَّ سِحْرٌ يُـؤْثر**»

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذْ قَالُوا الَّلهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُو الحَقَّ مِنَ عِنْدِكَ فأمْطِرْ عَلْيناَ حِجَارَةُ مِنَ السَّماَء أوِ ائْتِنَا بِعَذاب أليم.ومَا كَاَنَ الله ليعذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ وما كاَنَ الله معذِّبِهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُون** ﴾ قال أهل التفسير نزلت في النضر بن الحارث وهو الذى قال : إن كان مايقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء. ولكن في البخارى أن القائل أبو جهل أخرج عن أنس بن مالك قال أبو جهل : اللهم إن

كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم فنزل : ﴿ **وماكان الله ليعذّبهم وأنت فيهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ومالَهُمْ أنْ لَا يُعَذّبَهُمُ الله وهُمْ يَصدُّون عن الْمَسْجِدِ الحرام** ﴾ الآية والحديث أخرجه مسلم أيضا في ذكر المنافقين والكفار عن عبيد الله عن أبيه عن شعبة وفي لباب السيوطى : وأخرج ابن جرير عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا : اللهم إن كان هذا هو الحق فأنزل الله تعالى ﴿ **وما كانَ الله مُعذّبَهم وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.إلى قوله:لا يَعْلَمُون** ﴾ وهكذا بقية الأقوال الأخرى في التفاسير لا تخرج عن هذه الأقوال الثلاثة : النضر – أبو جهل – قريش – روى أن معاوية قال لرجل من سبأ : ماأجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة !! فقال أجهل من قومى قومك حين قالوا: ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ ولم يقولوا : فاهدنا له قلت : ولا منافاة بين الأقوال الثلاثة لاحتمال أن يكون كل من القرشيين والنضر وأبو جهل قالوا ذلك مجتمعين أو منفردين ولا دليل على دعوى الأولوية بل لقائل أن يقول نسبته إلى أبى جهل أولى لورود ذلك في صحيح البخارى وصحيح مسلم فالأخذ بهما أولى من غيرهما وهو الحق أماالتفسير ﴿ **وإذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا** ﴾ الذى يقرؤه محمد ﴿ **هُوَ الحقَّ** ﴾ أما المنزل العامة على نصب الحقِّ وهو خبر كان وهو فصل زائد على قول الأخفش ويرفع على أنه خبر هو والجملة خبر الكون وقوله : ﴿ **مِنْ عِنْدِك فأمْطِرْ عَلَيْنَا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ** ﴾ أى من سجيل لأن المطر لا يكون من السماء،وتوصيف الحجارة بقوله من السماء للدلالة على أن المراد بالحجارة السجيل وهو حجارة مسومة أى معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة.روى أنها حجارة من طين أحميت بنار جهنم مكتوب عليها أسماء القوم،فلا بد من ذكر السماء لتعيين أن المراد من الحجارة السجيل ، وهى التى أرسلت الى قوم لوط قال تعالى : ﴿ **وأمْطَرْنا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنَ سّجِيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمةً عِنْدَ ربّكَ وما هِيَ مِنَ الظّالِمين** ﴾ أهل مكة ﴿ **بِبَعِيدٍ** ﴾ أى فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم ، وفيه وعيد لكل ظالم.وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل عليه السلام فقال له جبريل: يعنى ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة * وقيل : الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان ذكره البيضاوى في تفسيره وقوله : ﴿ **أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ قاله أبو جهل

أو النضر أو غيره استهزاء قال تعالى ﴿ **وما كانَ الله ليعذِّبَهَمْ** ﴾ بما سألوه ﴿ **وأنتَ** ﴾ يامحمد ﴿ **فيهِمْ** ﴾ لأن العذاب إذا أنزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها منها قال تعالى ﴿ **وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ أهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ** ﴾ أى كان إهلاك أهلها بعد خروج أنبيائها والمؤمنين منها ﴿ **وما كانَ الله مُعَذِّبَهُمْ** ﴾ أى مريد تعذيبهم ﴿ **وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل : هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى : ﴿ **لَوْ تَزَيَّلُوا** ﴾ أى المؤمنون تميزوا عن الكفار ﴿ **لَعَذَّبْنَا الذِينَ كفَرُوا مِنهُمْ عذاباً أليماً** ﴾ وقوله : ﴿ **وَمَالَهُمْ أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ الله** ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿ **وَهُمْ يَصُدُّونَ** ﴾ يمنعون النبى ﷺ والمسلمين ﴿ **عَنِ الْمسجِدِ االحْرام** ﴾ أن يطوفوا به ﴿ **وما كَانُوا أوْلِياؤهُ** ﴾ آي مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهذا رد لما كانوا يقولونه : نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء قال تعالى ﴿ **إنْ** ﴾ ما ﴿ **أوْلِيَاؤُه إلَّا المتقُونَ** ﴾ عن الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره : وقوله ﴿ **ولكنّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُون** ﴾ كأنه نبه بالأكثر على أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم أى لا يعلمون أن لا ولاية لهم عليه *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبيْتَ إلَّا مُكاءً وتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ في الواحدى : حدَّث قرة عن عطية عن ابن عمر قال : كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ووصف التصفيق بيده ، ويصفرون ووصف صفيرهم ويضعون خدودهم بالأرض فنزلت هذه الآية * وفي لباب السيوطى : وأخرج ابن جرير عن سعيد قال : كانت قريش يعارضون النبى ﷺ في الطواف يستهزؤن به : يصفرون ويصفقون فنزلت الآية * وفي السمين : إن المشركين كانوا إذا سمعوا رسول الله ﷺ يصلى ويتلو القرآن صفقوا بأيديهم، وصفروا بأفواههم ليشغلوا عنه من يسمعه ويخلطوا عليه قراءته وهذا مناسب لقوله : ﴿ **لَا تَسْمَعُوا لِهَذا الْقَرآنَ والْغَوْا فيه** ﴾ وفي الطبرى : عن مجاهد قال : المكاء ادخال أصابعهم في أفواهم والتصدية التصفيق وهم نفر من بنى عبد الدار كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاته * وفيه : وعن سعيد بن جبير في قوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال المكاء كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها فذلك المكاء قال : وأرانى سعيد بن جبير المكان الذى كانوا يمكون فيه نحو أبى قبيس * وعن قتادة قال : كنا نحدث أن المكاء التصفيق بالأيدى

أو النضر أو غيره استهزءً قال تعالى: «وما كانَ الله ليعذّبَهم» بما سألوه «وأنتَ» يا محمد «فيهِمْ» لأنَّ العذاب إذا نزل عم. ولم تعذّب أمّةٌ إلا بعد خروج نبيها منها، قال تعالى: «وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوّةً مِنْ قَرْيَتِكَ أهلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ» أي كان إهلاك أهلها بعد خروج أنبيائها والمؤمنين منها «وما كانَ الله مُعَذِّبَهُمْ» أي مريد تعذيبهم «وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» حيث يقولون في طوافهم غفرانك .. غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى: «لَوْ تَزَيَّلُوا» أي المؤمنون تميّزوا عن الكفار: «لَعَذَّبْنَا الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أليماً» وقوله: «وَمَالَهُمْ أنْ لا يُعَذِبَهُمُ الله» بالسيف بعد خروجك والمستضعفين، وقد عذبهم الله ببدر وغيره: «وَهُمْ يَصُدُّونَ» يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين «عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» أن يطوفُوا به «وَمَا كَانُوا أوْلِيَاءَهُ» أي مستحقين ولاية أمره مع شركهم، وهذا ردٌّ لما كانوا يقولونه: نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء ونُدخل من نشاء قال تعالى: «إنْ» ما «أوْلِيَاؤُه إلاّ المتّقونَ» عن الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره ، وقوله: «ولكنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» كأنّه نبّه بالأكثر على أن منهم من يعلم و يعاند، أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم. أي لا يعلمون أن لا ولاية لهم عليه.

القول في سبب نزول قوله تعالى: «وَما كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْد الْبَيْتِ إلاّ مُكاءً وتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» في الواحدي: حدّث قُرّة عن عطية، عن ابن عمر قال: كانُوا يطوفون بالبيت و يصفقون و وصف التصفيق بيده، و يصفرون صفيرهم، و يضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية * وفي لباب السيوطي: وأخرج ابن جرير عن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزؤون به، يصفرون و يصفقون. فنزلت الآية * وفي السمين: إنَّ المشركين كانُوا إذا سمعُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي و يتلوا القرآن، صفَّقُوا بأيديهم، وصفّرُوا بأفواههم ليُشغلُوا عنه من يسمعه، ويخلطُوا عليه قراءته. وهذا مناسب لقوله: «لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرآنَ والْغَوْ فيه» وفي الطبري: عن مجاهد قال: المكاء إدخال أصابعهم في أفواههم. والتصدية: التصفيق. قال: نفر من بني عبدالدار كانُوا يخلطُون بذلك كله على محمد صلاته * وفيه: وعن سعيد بن جبير في قوله: «وما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيتِ إلاّ مُكَاءً وتَصْدِيةً» قال: المكاء: كانوا يشبكون بين أصابعهم، و يصفّرون بها، فذلك المكاء. وقال: وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانُوا يمكون فيه نحو أبي قبيس* وعن قتادة قال: كنّا نحدّث أن المكاء التّصفيق بالأيدي، والتصدية صياحٌ كانُوا

يعارضون به القرآن * وعن السّدى المكاء الصفير على نحو صير أبيض يقال له المكاء بأرض الحجاز والتصدية التصفيق وقد قيل في التصدية أنها الصد عن بيت الله الحرام قال أبوجعفر: وذلك قول لا وجه له لأن التصدية مصدر من قول القائل صدية تصدية وأما الصد فلا يقال منه صديت إنما يقال منه: صددت ... الخ * قلت: والمكاء في اللغة فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكوا إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمى بذلك لكثرة مكائه والتصدية التصفيق تفعله من الصدى أو من صد يصد «**إذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ**» قال: صدهم عن بيت الله الحرام وقال ابى يزيد: صدهم عن الصلاة وعن دين الله * وفي الخازن قال الأزهرى والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت: صلاتهم التصدى والمكاء، فعلى قول ابن عباس: كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم قال الخازن: وقول ابن عباس أصح لأن الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة * أي كانوا يعتقدون أن ذلك المكاء والتصدية صلاة * وعلى القول الثالث: منع الناس من التعبد في المسجد الحرام * وهذه الآية كالتعليل لقوله في الآية قبل هذه «**ومَا كانُوا أوْلِيَاءَهُ..**» وقوله: «**فَذُوقُوا الْعَذَابَ**» ببدر، وهو عذاب القتل والأسر في الدنيا «**بِمَا كُنْتُمْ تكفرون**» أي بسبب كفركم. وقيل: يقال لهم في الآخرة فذوقُوا العذاب..

القول في سبب نزول قوله تعالى: «**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ * والَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**» في الواحدي: قال مقاتل والكلبي: نزلت في المطعمين يوم بدر، وكانُوا اثنى عشر رجلاً: أبوجهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبّه ابنا حجاج، وأبوالبحترى ابن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحرث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبدالمطلب. وكلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد كل يوم عشرة جزور * وقال سعيد بن جبير وابن أبزى: نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم سوى من استجاب له من العرب، وفيهم يقول كعب بن مالك:

فجئنا إلى موج من البحر وسطه   أحابيش منهم حاسرٌ ومقنَّعُ
ثلاث آلاف ونحن بقيّة   ثلاث مئين إن كثرن فأربع

وقال الحكم بن عتبه: أنفق أبو سفيان على المشركين يوم أحد أربعين أوقيةً من ذهب. فنزلت فيه الآية * وقال محمد بن اسحاق عن رجاله: لمَّا أصيبت قريش يوم بدر فرجع فلُّهم إلى مكة، ورجع أبوسفيان بعيره، مشى عبدالله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أميّة في رجال من قريش، أصيب أباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلّمُوا أبا سفيان بن حرب. ومن كانت له في تلك العير تجارة. فقالُوا يا معشر قريش: إنَّ محمداً قد وتركم وقتل خياركم. فأعينُونا بهذا المال الذي أفلت على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصيب منَّا. ففعلُوا، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية إلى قوله: «يُحْشَرُونَ» وهذه الأقوال كلها في الخازن والمراغي والغرائب والطبرى. وفيه بدل قول كعب. ونحن بقيّة. ونحن نَظنّه.. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا: وهو أن يقال إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله. لم يخبرنا بأىّ أولئك عَنَىٰ، غير أنَّه عمّ بالخبر الذين كفروا، وجائز أن يكون عنىٰ المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد. وجائز أن يكون عنىٰ المنفقين منهم ذلك ببدر، وجائز أن يكون عنى الفريقين، وإذا كان ذلك كذلك فالصواب في ذلك أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه الذين كفروا من قريش أي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب * وعليه ابن كثير: وقال الضحاك: نزلت في أهل بدر. قال ابن كثير: وعلى كل تقدير فهي عامةٌ، وإن كان سبب نزولها خاصًا، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن اتباع طريق الحقّ، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم، ثم تكون عليهم حسرة. أي ندامة حيث لم تُجد شيئاً لأنهم أرادُوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متمٌّ نُوره، ولو كره الكافرون. وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه على كل دين، فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذابُ النار. فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه. ومن قُتل منهم أو مات فإلى الخزى الأبدي والعذاب السرمدي. ولهذا قال: «**فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حسرةً ثم يُغلبون والّذين كفروا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**» وهكذا فسّرها ابن كثير إجمالاً أما تفسيرها تفصيلاً «**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**»

كَفَروا بـالله أي جحدوه وأنكروه . وأصل الكفر في اللغة : الكفر والتغطية . ومنه سمي الليـل كـافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته . قال الشاعر: في ليلة كفر النجوم غمامها . أي سترهـا . والـكفـر على أربـعة أضرب : كفر إنكار، وهو أن لا يعرف الله أصلاً ككفر فرعون ، هو قوله : «مَا علمتُ لكُمْ من إلٰه غيرى» وكفر جحود : وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقرّ بلسانه ككفر إبليس . وكفر عناد : وهو أن يعرف الله بقلبه و يقرّ بلسانه ولا يدين به ككفر أميّة بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعر له :

ولقد علمتُ بأنّ دِينَ مُحمد   مِنْ خيرْ أديان البريّة دينا

لولا الملامة أو حذار مسبّة   لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وكفر نفاق : وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه . فجميع هذه الأنواع كفر. وحاصله : أنَّ من جحد الله ، أو أنكر وحدانيّته ، أو أنكر شيئاً ممّا أنزله على رسوله ، أو أنكر نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو أحداً من الرسل فهو كافر، فإن مات على ذلك فهو في النار خالداً فيها . ولا يغفر الله له . ولفظ كفروا عام يشمل كفار مكة ومشركى أهل الكتاب ، ومن على شاكلتيها من حين نزولها حتى يوم الدين ، وقوله : «**ينفقُون أموالهم**» في حرب النبيّ صلى الله عليه وسلم «**ليصدُّوا عَنْ سَبِيلِ الله**» أي ليصرفوا النّاس عن الإيمان بالله ورسوله . وقيل : ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليتقوُّوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . وقد وقفت على الأقوال في سبب نزول الآية «**فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تكُونُ**» في عاقبة الأمر «**عليهم حَسْرَةً**» ندامةً لفواتها وفوات ما قصدوه . أي فسيعلمون عاقبة إنفاقها من الخيبة وعدم الظفر بالمقصود ، فحصلت المغايرة «**ثُمَّ يُغْلَبُونَ**» في الدنيا ، ولا يظفرون بما يؤملون «**والّـذِين كَفَرُوا**» أي منهم لأن منهم من أسلم . ولهذا قال : والذين كفروا ، يعنى المنفقين أموالهم «**إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرونَ**» أي يساقون إلى النار.

القول في سبب نزول قوله تعالى : (**وَلاَ تَكُونُوا كالّـَذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً ورئَاءَ النَّاسِ ويصدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله والله بِمَا يَعْمَلُونَ محيطٌ**)

في لباب السيوطي : أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله «**ولا تكونُوا كالّـَذِين خَرَجُوا مِنْ ديَارِهِمْ بطراً ورئَاءَ النَّاسِ...**» الآية * وفي البيضاوي : وذلك أنّهم لما

بلغوا الجحفة ، وافاهم رسول أبي سفيان وقال لهم : إرجعوا فقد سلمت عيركم ، فقال أبوجهل : لا والله حتى نقدم بدراً ، ونشرب بها الخمر... ه وفي الخازن : نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوُا إلى بدر، ولهم فخر وبغى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذّب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني به ه قال ابن عباس : إنَّ أبا سفيان لمَّا رأى أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم إن خرجتم لتمنعُوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبوجهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، وكان في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام . قال : فنقيم عليها ثلاثاً ، وننحر الجزور ونطعم الطعام . ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا . زاد غيره . قال : فلمَّا وافُوا بدراً سقُوا كؤس الحمام عوضاً عن الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان ، فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم ه أي بطرين طربين مرائين بأعمالهم . وأن يكونُوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم له ه وكذا في بقية التفاسير ه قوله : «**ولاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا من دِيَارِهِمْ**» كفار مكة ليمنَعُوا عيرهم ولم يرجَعُوا بعد نجاتها خرجُوا حال كَونهم «بَطَراً» الْبَطَرُ والأَشَرُ (بفتحتين) الطغيان في النعمة بترك شكرها ، وجعلها وسيلة إلى ما لا يرضاه الله . وقيل : معناهما الفخر بالنعمة ومقابلتها بالتكبر والخيلاء والفخر بها (زاده وشهاب) وفي الحديث : (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بَطَراً) وفي الحديث : (الكِبْرُ بَطَرُ الحق) هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلاً . وفي رواية ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الْكِبْرُ بَطَرُ الحقّ وغَمْطُ النَّاس) وحال كونهم «**وَرِئَـاءَ النَّـاسِ**» حيث قالوا : لا نرجع حتى نشرب الخمور، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك النَّاسُ فيثنُوا علينا بالشجاعة والسّماحة ، وهذا هو رياؤهم «**ويصدُّونَ**» النَّاس «**عن سبيلِ الله**» أي يمنعُون الناسَ عن الدخول في دين الله «**والله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**» فيه وعيد وتهديد أي إنه تعالى عالم بجميع الأشياء لا يخفى عن علمه شيء لأنَّه محيط بأعمال العباد كلها فيجازى المحسنين و يعاقب المسيئين .

والخلاصة : وصف الله تعالى كفار مكة بثلاثة صفات :

أولاها : البطر وهو الطغيان في النعمة، وعليه قوله تعالى: **«كلاَّ إنَّ الإنسانَ ليطغى أنْ رآهُ استغنى»** والتحقيق أن النعم إذا كثرت من الله على العبد. فإن صرفها إلى مرضاته، وعرف حقّ الله فيها. فذاك هو الشكر، وإن توسّل بها إلى المفاخرة على الأقران والمكاثرة على أبناء الزمان فذاك هو البطر.

وثانيها : رئاء الناس، وهو القصد إلى إظهار الجميل مع قبح النيّة وفساد الطويّة، أو هو إظهار الطاعة مع إبطان المعصية كالنفاق.

وثالثها : ويصدُّون النّاس عن الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه أقبحها صفة، وأعظمها عقوبة.

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إذْ يقُولُ الْمُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غرَّ هٰؤُلاءِ دِينُهُمْ ومَنْ يتوكَّلْ علَى الله فإنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ الأنفال آية (٤٩) .

في الطبرى قال : حدثنا محمد بن المثنى . قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود عن عامر في هذه الآية : ﴿ **إذ يَقُولُ المِنَافِقُونَ والَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ ..**﴾ قال : كان ناس من أهل مكة ، تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين . قالوا : غر هؤلاء دينهم .* وعن مجاهد قال : فئة من قريش : الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاصى بن منبه بن الحجاج . خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ماقدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم * وذكر أقوالاً غير هذين القولين لاتخرج عن معنيهما . أى أن المنافقين الذين كانوا بالمدينة . والذين فى قلوبهم مرض ، وهم ضعفاء المسلمين الذين لم يقو إسلامهم الكائنون بمكة خرجوا مع قريش . فلما رأوا قلة المسلمين ، وكثرة الكفار ارتدوا ورجعوا إلى الكفر . وماتوا عليه ، لكن المنافقين لم يخرجوا مع النبى ﷺ إلى بدر إذ لم يحضر وقعتها منافق إلا واحد وهو عبد الله بن أبىّ على التحقيق . والذين فى قلوبهم مرض . يجوز أن يكون من صفة المنافقين . وأن يراد قوم من قريش أسلموا ، وماقوى الإسلام فى قلوبهم ، ولم يهاجروا . ثم إن قريشا لما خرجوا إلى رسول الله ﷺ . قال أولئك نخرج مع قومنا . فإن كان محمد فى كثرة خرجنا إليه . وإن كان فى قلة أقمنا فى قومنا . قال محمد بن اسحاق ، ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر . وقوله : ﴿ **غرَّ هؤلاءِ دينُهم**﴾ قال ابن عباس : معناه أنّه خرج بثلاثمائة وثلاثة عشر إلى زهاء ألف ، وماذلك إلا أنهم اعتمدوا على دينهم * كذا فى الغرائب . وقيل : المراد إن هؤلاء يسعون فى قتل أنفسهم رجاء أن يجعلوا أحياء بعد الموت ، ثم قال جواباً لهم : ﴿ **ومَنْ يتوكَّلْ علَى الله**﴾ يكل أمره إليه . ويتق بفضله ﴿ **فإنَّ الله عزيزٌ**﴾ غالب . يسلط الضعيف القليل على القوى الكثير ﴿ **حَكِيمٌ**﴾ يوصل العذاب إلى أهله والرحمة إلى أوليائه * وفى ابن كثير : قال علىٌّ وقلل المشركين فى أعين المسلمين . فقال المشركون : غرَّ هؤلاء دينهم . وإنما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم . فظنوا أنهم سيهزمون لا يشكون فى ذلك * وقال قتادة : رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله . وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله

لما أشرف على محمد ﷺ وأصحابه قال : والله لا يعبد الله بعد اليوم قسْوَة وعُتُوًّا * أما التفسير ﴿ **إذْ يقُول المنافقُون** ﴾ النِّفاق بالكسر . فعل المنافق . والنفاق : الدخول فى الإسلام من وجه والخروج من آخر . مشتق من نافقاء اليربوع ، لحجرته بابان إذا قصد من أحدهما خرج من الآخر . وكلمة منافق . إسلامية لم تكن معروفة ولا مستعملة فى الجاهلية ، وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه ، وفى حديث حنظلة « نافَقَ حنظلة » أراد أنه إذا كان عند النبى ﷺ أخلص وزهد فى الدنيا . وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها ، فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه . وفى الحديث أكثر منافقى هذه الأمة قُرَّاؤها . أراد بالنفاق هنا الرباء لأن كليهما إظهار غير ما فى الباطن . أى ذكر قول منافقى أهل المدينة ﴿ **والَّذِين فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** ﴾ ضعف اعتقاد . يجوز أن يكون من المرض من صفة المنافقين ، وهو مرض الشك الذى دخلهم فى الإسلام . وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتى الأقدام فى الإسلام ، وعن الحسن : المشركون . وقوله : ﴿ **غَرَّ هَؤُلَاءِ دينُهُمْ** ﴾ يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم . وأنهم يتقوون به ، وينصرون من أجله ، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف كما تقدم . دينهم فاعل غر . أى غر هؤلاء المسلمين دينهم . إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسبب دينهم . قال تعالى فى جوابهم ﴿ **ومَنْ يتوكَّلْ علَى الله** ﴾ يثق به يغلب ﴿ **فإنَّ الله عَزِيزٌ** ﴾ غالب على أمره ﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ فى صنعه *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ الله الَّذِينَ كفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فى كُلِّ مرَّةٍ وهُمْ لا يَتَّقُون * فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُنَ** ﴾ فى لباب السيوطى : أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : نزلت : إنَّ شرت الدَّوابِّ عِنْدَ الله .. فى ستة رهط من اليهود فيهم * ابنُ التابوت . وفى الخازن : قال المفسرون : إن رسول الله ﷺ كان عاهد يهود بنى قريظة أن لا يحاربوه ، ولا يعاونوا عليه . فنقضوا العهد . وأعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال رسول الله ﷺ . وأصحابه . ثم قالوا : نسينا وأخطأنا . فعاهدهم الثانية ، فنقضوا العهد أيضا . ومالؤا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق . وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على محالفة رسول الله ﷺ ﴿ **وهُمْ لا يَتقُون** ﴾ يعنى أنهم لا يخافون الله فى نقض العهد أى لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار * وفى الغرائب قال ابن عباس : هم بنو قريظة نقضوا

عهد رسول الله ﷺ . وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر ، وقالوا قد نسينا . وأخطأنا ، ثم عاهدوا فنكثوا . وأعانوا عليه يوم الخندق * وقال مجاهد : نزلت فى يهود المدينة وكان زعيمهم الطاغوت كعب بن الأشرف ، وهو فيهم كأبى جهل فى مشركى مكة .* ولعل هذا القول أصحها لموافقة معناه لمدلول الآية . أما التفسير : ﴿ **إنَّ شرّ الدَّواب عِنْدَ الله الّذينَ كَفَرُوا** ﴾ الشر : السوء والفعل للرجل الشرير . وقوم أشرار ضد الأخيار . وفى حديث الدعاء . والخير كله بيدك والشر ليس إليك * أى لأن الشر لا يتقرب به إليك ولا يبتغى به وجهك . أو أن الشر لا يصعد إليك وإنما يصعد إليك الطيب من القول والعمل : وهذا كلام إرشاد إلى استعمال الأدب فى الثناء على الله . وفى الحديث : ولد الزناشر الثلاثة قيل : هذا جاء فى رجل بعينه كان موسوماً بالشر . قال الجوهرى : ولا يقال أشر الناس إلا فى لغة رديئة . والدابة : اسم لمادب من الحيوان على الأرض مميزة وغير مميزة . وفى التنزيل ﴿ **والله خَلقَ كُلَّ دابةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يمشى عَلَى بَطْنِهِ وَمِنهُمْ مَنْ يَمْشى على رجلين وَمِنهُمْ مَنْ يمشى على أرْبَعٍ يَخْلُقُ الله مَا يشاءُ إنّ الله عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ** ﴾ أى إن شر مايدب على وجه الأرض فى حكم الله وعدله هم الكافرون الذين اجتمعت فيهم صفات :

الصفة الأولى : الإصرار على الكفر والرسوخ فيه بحيث لا يرجى إيمان جملتهم أو إيمان جمهورهم . لأنهم إما رؤساء حاسدون للرسول ﷺ معاندون له جاحدون بآياته المؤيدة لرسالته على علم منهم . وفيهم يقول سبحانه : ﴿ **يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُون أَبْنَاءَهُمْ** ﴾ وإما مقلدون جاحدون لا ينظرون فى الدلائل والآيات . وقد لقبهم الله بالدواب . وهو اللفظ الذى غلب استعماله فى ذوات الأربع لافادة أنهم ليسوا من شرار البشر فقط . بل هم أضل من العجماوات . لأن لها منافع . وهؤلاء لا خير فيهم . ولا نفع لغيرهم منهم كما قال تعالى فى أمثالهم : ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سبِيلاً** ﴾ لذا نفى الإيمان عنهم ﴿ **فَهُمْ لا يُؤْمنونَ** ﴾ .

الصفة الثانية : ﴿ **الّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ..** ﴾ الآية التعبير بنقض العهد بصيغة المضارع لافادة تكرير نقض العهد منهم مرة أخرى . وقد كان النبى ﷺ عقد مع يهود المدينة عقب هجرته إليهم عهدا أقرهم فيه على دينهم ، وأمّنهم على أنفسهم وأموالهم .

فنقض كل منهم عهده وقد علمت نقض بنى قريظة العهد مرتين كما ذكره ابن عباس وغيره وقوله : ﴿ **وهُمْ لايتَقُون** ﴾ أى لايخافون الله ولايتقونه فى نقض العهد ، ولا فيما قد يترتب عليه من قبلهم والظفر بهم . وقوله : ﴿ **فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ** ﴾ يعنى : فإمّا تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم فى الحرب ﴿ **فَشرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ** ﴾ قال ابن عباس : معناه فنكل بهم من ورائهم * وقال سعيد بن جبير : أنذر بهم من خلفهم * وأصل التشريد فى اللغة التفريق مع اضطراب . ومعنى الآية أنك إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم من القتل والتنكيل ماتفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن ﴿ **لعلَهُمْ يذَكّرون** ﴾ أن انتقالهم ذلك يمنعهم من نقض العهد فيتعظون بما يقع لهم *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإمّا تَخافَنّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَة فانْبِذْ إلَيْهِمْ علَى سَواءٍ إنَّ الله لَايُحبُ الخائنين** ﴾ فى اللباب : روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال : دخل جبريل على رسول الله ﷺ فقال : قد وضعت السلاح . ومازلت فى طلب القوم ، فاخرج فإن الله قد أذن لك فى قريظة ، وأنزل فيهم . ﴿ **وإمَّا تَخافنَّ مِنْ قوْمٍ خيانةً ...** ﴾ الآية * وهو قول مجاهد كما فى الطبرى وغيره . ولم أر أقوالا أخرى غيره فى بقية التفاسير . ﴿ **وإمَّا تَخافَنَّ مِنْ قوْمٍ** ﴾ عاهدوك ﴿ **خِيَانَةً** ﴾ فى عهد بأمارة تلوح لك كما ظهرت من بنى قريظة والنضير ﴿ **فانْبِذْ** ﴾ اطرح عهدهم . النبذ : الطرح . وهو مجاز عن اعلامهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم . فشبه العهد بالشيء الذى يرقى لعدم الرغبة فيه وأثبت النبذّ له تخييلاً . ومفعوله محذوف وهو عهدهم . (الشهاب) وقوله : ﴿ **على سَواءٍ** ﴾ يعنى على طريق ظاهر مستو . والمراد : لاتحاربهم قبل أن تعلمهم أنك فسخت العهد الذى بينك وبينهم حتى تكون أنت وهو فى العلم بنقض العهد سواء . فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب عليهم . ﴿ **إنَّ الله لايُحبُّ الْخائنين** ﴾ إن الخيانة مبغوضة . بجميع ضروبها ، ولاوسيلة لاتقاء ضررها من الكفار إذا ظهرت أماراتها إلا بنبذ عهدهم جهرةً . روى البيهقى أن النبى ﷺ قال : «ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء من عاهدته فوفّى بعهده مسلما كان أو كافراً فإنما العهد لله ، ومن كانت بينك وبينه رحم فصلها . مسلما كان أو كافرا . ومن ائتمنك على أمانة فأدّها إليه مسلما

كان أو كافرا » (المراغى) . وقال أهل العلم : إذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الإمام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب ، وإن ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ، ويعلمهم بالحرب . وذلك لأن قريظة كانوا قد عاهدوا النبى ﷺ . ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله ﷺ فحصل لرسول الله ﷺ خوْف الغدر به وبأصحابه . فههنا يجب على الإمام أن ينبذ إليهم على سواء ويعلمهم بالحرب . وأما إذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا فلا حاجة للإمام إلى نبذ العهد ، بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة . وهم فى ذمة رسول الله ﷺ . فلم يرعهم إلا وجيش رسول الله ﷺ بمر الظهران . وذلك على أربع فراسخ من مكة *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها النبيُّ حَسْبُكَ الله ومَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ** ﴾ فى الواحدى : روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً ، ثم إنَّ عمر أسلم . فصاروا أربعين ، فنزل جبريل عليه السلام بقوله : ﴿ **يا أيُّها النبيُّ حَسْبُكَ الله ومَنِ اتَّبعكَ مِنَ المؤمنين** ﴾ وفى اللباب : وأخرج ابن أبى حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : لما أسلم مع النبى ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر نزلت ﴿ **يا أيُّها النبيُّ حَسْبُكَ الله** ... ﴾ الآية . وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال : لما أسلم عمر أنزل الله فى إسلامه ﴿ **يا أيُّها النبيُّ حَسْبُكَ الله** .. ﴾ الآية * وفى مجمع الزوائد : عن ابن عباس قال : أسلم مع النبى ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة وأسلم عمر تمام الأربعين فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **يا أيُّها النبيُّ حَسْبُكَ الله** .. ﴾ الآية قال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه اسحٰق بن بشر الكاهلى وهو كذاب * وعلى هذا القول فى إسلام عمر تكون الآية مكية لأنه أسلم بمكة كتبت فى سورة مدنية بأمر رسول الله ﷺ . وفى الكشاف والخازن نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال . فعلى هذا القول أراد جل جلاله بقوله : ﴿ **وَمَنِ اتَّبعك من المؤمنين** ﴾ يعنى إلى غزوة بدر * وقيل : أراد بهم الأنصار . فتكون الآية نزلت بالمدينة . وقيل : أراد جميع المهاجرين والأنصار . ولا سيما من شهد منهم

بدراً أمّا التفسير: «يا أيُّها النبيُّ حَسْبُكَ الله ومَنِ اتَّبَعَك مِنَ الْمُؤْمنينَ» أي يكفيك الله ويكفى من اتبعك . أى كافيهم ما يهمهم من أمر أعدائهم وناصرهم عليهم . ونحو الآية قوله تعالى: «الّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لكُمْ فاخْشَوْهُمْ فزادَهُمْ إيماناً وقالُوا حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيلُ» وقوله تعالى: «قُلْ حَسْبِيَ الله عَلَيْهِ يتوَكّلُ الْمُتَوَكّلُون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وكَفَى بالله حَسِيباً ﴾ وإذا كان دأب المؤمنين أن يقولوا : ﴿ حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فأجدر بأنبيائه أن يكونوا أكمل توحيدا وتوكلا عليه من غيرهم . ولا سيما خاتم المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها النبيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ علَى الْقِتَال إنْ يكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائتين وإنْ يكُنْ مِنكُمْ مائةٌ يغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الّذين كفَرُوا بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُون * آلآنَ خفَّفَ الله عَنْكُمْ وعَلِمَ أنّ فيكُمْ ضَعْفاً فإنْ يكُنْ مِنْكمُ مائةٌ صَابِرَةٌ يغْلِبُوا مائَتَيْنِ وإنْ يكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بــإذْنِ الله والله مع الصّابِرينَ ﴾

فى لباب السيوطى : أخرج اسحق بن راهوية فى مسنده عن ابن عباس قال : لما افترض عليهم أن يقاتل الواحد منهم عشرة ثقل ذلك عليهم . وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين . فأنزل : ﴿ وإن يكُنْ منكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يغْلِبُوا مائتين .. ﴾ * قلت : وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لمّا نزلت «إن يكنْ منكم عِشْرون صابرونَ يغْلِبُوا مائتين» فكتُب عَلَيْهم أنْ لا يَفِرَّ واحدٌ من عشرة فقال سفيان غير مرة : أن لا يفر عشرون من مائتين ، ثم نزلت : ﴿ آلآنَ خفّفَ الله عنكُمْ .. ﴾ الآية . فكتب أن لا يفر مائة من مائتين ، وزاد سفيان مرة . نزلت : ﴿ حرّض المؤمنين على القتال إنْ يكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُون ﴾ قال سفيان : وقال ابن شبرمة ، وأرى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مثل هذا * سفيان : هو ابن عينية . قوله : غير مرة أراد به أن سفيان كان يرويه بالمعنى . فتارة يقول باللفظ الذى وقع فى القرآن محافظة على التلاوة وهو الأكثر وتارة يرويه بالمعنى وهو أن لا يفرَّ واحد من عشرة ، ويحتمل أن يكون اسمه باللفظين ، ويكون التأويل من غيره . وقوله : زاد

سفيان . أى أنه حدّث مرة بالزيادة ومرة بدونها . وابن شبرمة : عبد الله التابعى . قاضى الكوفة وعالمها ، مات سنة أربع وأربعين ومائة . وأخرج أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : **لما نزلت :(إنْ يكُنْ مِنكُمْ عِشْرُون صَابِرُون يغلبُوا مائِتيْن)شَقَّ ذلك على المسلمين حين فُرِضَ عليهم أنْ لايَفِرَّ وَاحِدٌ من عشرةٍ فجاء التَّخفيف ، فقال : (الآن خفَّفَ الله عنكم وعَلِمَ أنَّ فيكم ضعْفِاً فإنَّ يكن منكم مائة صابرةٌ يغلبُوا مائتينْ) قال : فلمَّا خفّفَ الله عنهُمْ من العدّدِ نقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بقَدْرِ ماخُفِّف عَنهُم** ﴾ كذا روى البخارى هاتين الروايتين بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما . والآية وإن كانت بلفظ الخبر . ولكن المراد منه الأمر ، فلذلك دخلها النسخ لأنه لما شق ذلك عليهم حط الفرض إلى ثبوت الواحد للاثنين ، فهو على هذا تخفيف لانسخ . وقال القاضى أبو بكر بن الطيب : إن الحكم إذا نسخ بعضه ، أو بعض أوصافه . أو غير عدده فجائز أن يقال إنه نسخ ، لأنه حينئذ ليس بالأول بل هو غيره * وقد نص مقاتل على أنه كان بعد بدر * والآية متعلقة بأنهم كانوا يفقهون مايقاتلون ، وهو الثواب . والكفار لايفقهونه . وقيل : إنهم كانوا فى أول الإسلام قليلا فلما كثروا خفف . ثم هذا فى حقنا . وأما سيدنا رسول الله ﷺ فيجب عليه مصابرة العدو الكثير لأنه موعود بالنصر كامل القوة . وفى مجمع الزوائد عن ابن عباس قال : افترض عليهم أن يقاتل كل رجل منهم عشرة ، فثقل ذلك عليهم ، وشق عليهم ، فوضع عنهم إلى أن يقاتل الرجل الرجلين . فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **إنْ يكُنْ منكُمْ عِشْرون صابرون يغلبُوا مائتين** ﴾ إلى آخر الآيات . وكذا بقية الأقوال فى التفاسير لاتخرج عن هذا المعنى . أما التفسير : ﴿ **ياأيُّها النبىُّ حَرِّضَ** ﴾ التحريض فى اللغة الحث على الشىء بكثرة الترغيب وتسهيل الخطب فيه كأنه فى الأصل إزالة الحرض . وهو الهلاك . وفى المختار والتحريض على القتال الحث والاحماء عليه * أى ياأيها النبىُّ حث ﴿ **المؤمنينَ على القتال** ﴾ للكفار ورغبهم فيه وإعلاءً لكلمة الله ودفعا لعدوانهم لأن حق الدفاع عن الدين والنفس والعرض والوطن واجب قوله : ﴿ **إنْ يكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يغلبوا مائتيْن** ﴾ منهم ، والصبر كناية عن القوة والشجاعة . أى ليصابرن الواحد العشرة ، فجماعة المؤمنين الصابرين ترجح جماعة الكافرين بهذه النسبة العشرية . سواء قلوا أو كثروا بحيث يؤمرون بقتالهم وعدم الفرار

منهم إذا بدؤهم بالقتال . والسبب فى ﴿ **ذَلِكَ بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يفقَهُونَ** ﴾ أى أنتم تغلبونهم بهذه النسبة . ثم نسخ لما كثروا بقوله : ﴿ **الْآن خفَّفَ الله عَنْكُمْ وعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً** ﴾بالضم والفتح ــ عن قتال عشرة أمثالكم ــ قال الخطيب : فإن قيل حاصل هذه العبارة المطولة أن الواحد يثبت للعشرة ، فما الفائدة فى العدول إلى هذه العبارة المطولة ؟ أجيب بأن هذا إيماء ورد على وفق الواقعة . فكان رسول الله ﷺ يبعث السّرايا . والغالب أنّ تلك السرايا ماكان ينقص عددها عن العشرين ، وماكانت تزيد على المائة . فلهذا المعنى ذكر الله هذين العددين * ﴿ **فإنْ يكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابرةٌ يغلبُوا مائتيْنِ** ﴾ منهم ﴿ **وَإنْ يكُنْ مِنكُمْ ألْفٌ يغْلِبُوا ألْفَيْنِ بإذْنِ الله** ﴾ بإرادته . وهو خبر كما تقدم بمعنى الأمر أى لتقاتلوا مثليكم ولتثبتوا لهم ﴿ **والله مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ بعونه ونصره . وبمعنى الآية قوله تعالى : ﴿ **ياأيُّها الّذِينَ آمِنُوا استعينُوا بالصّبْرِ والصَّلاةِ إنَّ الله مع الصَّابِرينَ** ﴾ وفى هذا تحذير للمؤمنين أن يغتروا بدينهم . ويظنوا أن الإيمان وحده يقتضى النّصر والغلب ، وإن لم يقترن بالصفات اللازمة لكماله ، ومن أهمها وأعظمها الصبر المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **ياأيُّها الّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصابروا ..** ﴾ أى كونوا أشد صبرا من عدوكم على تحمل الشدائد ، وأهوال الحرب . فإنه لا يظفر بها إلا الشجعان من الرجال المتحلين بصفتى الإيمان والصبر *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ماكَانَ لنبىٍّ أنْ يكُونَ لَهُ أسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ تُــرِيُدونَ عَرَضَ الــدُّنْيا والله يُــرِيدُ الْآخِــرَةَ والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوُلَا كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ** ﴾ فى الواحدى : قال مجاهد : كان عمر يرى الرأى فيوافق رأيه مايجىء من السماء وإن رسول الله ﷺ استشار فى أسارى بدر ، فقال المسلمون : بنو عمك أفدهم ، قال عمر : لا يارسول الله اقتلهم . نزلت هذه الآية . ﴿ **ماكانَ لنبىّ ..** ﴾ وقال ابن عمر : استشار رسول الله ﷺ فى الأسارى أبا بكر : فقال : قومك وعشيرتك خل سبيلهم ، واستشار عمر فقال : اقتلهم ففاداهم رسول الله ﷺ . فأنزل الله تعالى : ﴿ **ماكَانَ لنبىّ أن يكُونَ لَهُ أسرى ..** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيّباً واتَّقُوا الله إنَّ الله غَفُورٌ رحيمٌ** ﴾ * وأخرج

مسلم فى صحيحه عن ابن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر ، والتقوا فهزم الله المشركين ، وقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر سبعون رجلاً ، استشار رسول الله ﷺ أباب بكر وعمر وعلياً ، فقال أبو بكر يارسول الله : هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ماأخذناه منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله ، فيكونوا لنا عضداً ، فقال رسول الله ﷺ : ماترى ياابن الخطاب ؟ قال : قلت والله ماأرى رأى أبو بكر . ولكن أن تمكنى من ثلاثة قريب لعمر . فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان : أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله عز وجل أنه ليس فى قلوبنا موادة للمشركين . هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوى رسول الله ﷺ ماقال أبو بكر . ولم يهو ماقلت ، فأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد قال عمر : غدوت إلى النبى ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق . وإذا هما يبكيان . فقلت يارسول الله : أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجد بكاء تباكيت . فقال النبى ﷺ : أبكى للذى عرض على أصحابك من الفداء ، لقد عرض علىّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة : لشجرة قريبة . وأنزل الله عز وجل : ﴿ **مَا كَانَ لنبىّ أنْ يكُونَ لَهُ أسْرى حتَّى يُثخن فى الْأرضِ ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لَوْلَا كِتابٌ مِنَ الله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فيمَا أَخذْتُمْ — من الفداء — عذابٌ عَظيمٌ** ﴾ * وفى لباب السيوطى : وروى الإمام أحمد وغيره عن أنس قال : استشار النبى ﷺ الناس فى الأسارى يوم بدر . فقال : إن الله أمكنكم منهم ، فقام عمر بن الخطاب ، فقال يارسول الله : اضرب أعناقهم ، فأعرض ، فقام أبو بكر فقال : ترى أن تعفو عنهم ، وأن تقبل منهم الفداء ، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء فأنزل الله : ﴿ **لَوْلَا كتابٌ من الله سَبَقَ لمسَّكُمْ ..** ﴾ الآية * وأخرج الترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لم تحل الغنائم لأحد من قبلكم ، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها ، فلما كان يوم بدر واختلفوا فى الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله : ﴿ **لوْلَا كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ لمسَّكُمْ فيمْا أخذتُمْ عَذابٌ عظيمٌ** ﴾ * وأخرج الحاكم النيسابورى فى مستدركه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : استشار رسول ﷺ فى الأسارى أبا بكر . فقال : قومك وعشيرتك

فخلّ سبيلهم ، فاستشار عمر فقال اقتلهم ، قال : ففداهم رسول الله ﷺ . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان لنبيّ أن يَكُونَ له أسرى حتَّى يثخن فى الأرض ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فكلُوا ممّا غنمتُمْ حلالاً طيّباً** ﴾ قال : فلقى النبى ﷺ عمر . قال : كاد أن يصيبنا فى خلافك بلاء * قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبى أنه على شرط مسلم * وفى الخازن : روى عن عبد الله بن مسعود قال : لما كان يوم بدر . وجىء بالأسرى . قال رسول الله ﷺ : ماتقولون فى هؤلاء ؟ فقال أبو بكر يارسول الله : قومك وأهلك استبقهم واستأذن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار ، وقال عمر يارسول الله : كذبوك وأخرجوك فدعهم نضربُ أعناقهم . مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، ومكن من فلان : نسيب لعمر فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر ، وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله : وادياً كثير الحطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً ، فقال له العباس : قطعت رحمك . فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم ، ثم دخل فقال ناسٌ : يأخذ بقول أبى بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر . وقال قوم : يأخذ بقول ابن رواحة ، ثم خرج رسول الله ﷺ . فقال : إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ، وأن مثلك ياأبا بكر مثل إبراهيم ، قال : فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، ومثلك ياأبا بكر مثل عيسى قال : إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم * ومثلك ياعمر . مثل نوح . قال ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً . ومثلك ياعبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . ثم قال رسول الله ﷺ : اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء ، أو ضرب عنق . قال عبد الله بن مسعود : إلا سهل بن بيضاء . فإنى سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ . قال : فما أريتني في يوم أخوف أن تقع علىَّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ : إلا سهل بن بيضاء ، قال ابن عباس : قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبوبكر

وأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان

يبكيان ، فقلت يارسول الله : أخبرني من أى شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاءً بكيت الخ .. ماتقدم قال الخازن : أخرج هذا الحديث الترمذى مختصراً ، وقال فى الحديث قصة ، وهى هذه القصة التى ذكرها البغوى * ولاتخرج بقية الأقوال فى التفاسير عما ذكر . أما التفسير : ﴿ مَا كانَ لنبيّ ﴾ أى ماكان ينبغى ولا يجب لنبىّ ذلك ، فلا يكون لك يامحمد ﴿ أنْ يكون ﴾ بالتاء والياء ﴿ لَهُ أسرى ﴾ حرب ﴿ حتّى يُثخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى يبالغ فى قتل الكفار وأنت لم تبالغ إذ ذاك فقتلهم حينئذ أولى وأليق ﴿ تُريدُونَ ﴾ أيُّها المؤمنون ﴿ عَرَضَ الدُّنيا ﴾ حقيرها بأخذ الفداء . وسميت منافع الدنيا عرضاً لأنها لاثبات لها ، ولا دوام ، فكأنها تعرض ، ثم تزول ، ولهذا سمى المتكلمون الأعراض أعراضاً لأنها لاثبات لها ، فإنها تطرأ على الأجسام ، ثم تزول عنها ﴿ والله يريدُ ﴾ لكم ﴿ الآخرةَ ﴾ أى ثوابها بقتلهم ﴿ والله عَزِيزٌ حكيمٌ ﴾ وهذا منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فإمّا منًّا بَعْدُ وإمَّا فِداءً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا كتابٌ من الله سَبَقَ ﴾ باحلال الغنائم والأسرى لكم كما هو مكتوب ومثبت فى اللوح المحفوظ ﴿ لَمَسَّكُمْ ﴾ أصابكم ﴿ فِيمَا أَخذْتُمْ ﴾ من الفداء . فى القرطبى أنّ الفداء كان أربعين أوقية من الذهب عن كل واحد من الأسرى إلّا العباس فكان فداؤه مضاعفاً . أى ثمانين أوقية من الذهب ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً ﴾ فقد أباحها لكم خاصة ، ولم تبح إلى من كان قبلكم ... أى كلوا أكلاً حلالاً ﴿ وَاتَّقُوا الله إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أى وخافوا الله أن تعودوا ، وأن تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به . واعلموا أن الله قد غفر لكم ماأقدمتم عليه من هذا الذنب . ورحمكم . وقيل فى قوله : ﴿ واتّقُوا الله ﴾ إشارة إلى المستقبل ، وقوله : ﴿ إنَّ الله غفور رحيم ﴾ إشارة إلى الحالة الماضية .*

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها النبيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرى إنْ يَعْلَمِ الله فى قلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ والله غَفُورٌ رَحيمٌ)
في الواحدي: قال الكلبي: نزلت فى العباس بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحرث ، وكان العباس أسر يوم بدر ، ومعه عشرون أوقية من الذهب ، كان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها النّاس ، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل

بدر ، ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر ، فأخذت معه ، وأخذها رسول الله ﷺ منه ، قال : فكلمت رسول الله ﷺ أن يجعل لى العشرين الأوقية الذهب التى أخذها منى من فدائى ، فأبى علىّ وقال : أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا ، وكفلنى فداء ابن أخى عقيل بن أبى طالب عشرين أوقية من فضة ، فقلت له : تركتنى والله أسأل قريشاً بكفى ، والناس مابقيت . قال : وأين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل مخرجك إلى بدر . وقلت لها : إن حدث بى حدث فى وجهى هذا فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم ، قال : قلت ومايدريك ؟ قال : أخبرنى الله فى ذلك . قال : أشهد أنك لصادق . وإنى قد دفعت لها ذهبا ، ولم يطلع عليه أحد إلا الله . وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، قال العباس : فأعطانى الله خيراً ممَّا أخذ منى كما قال : عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كبير . مكان العشرين أوقية ، وأنا أرجو المغفرة من ربى * وفى المراغى : روى أبو الشيخ عن ابن عباس : أن العباس وأصحابه قالوا للنبى ﷺ : آمنا بما جئت به . ونشهد أنك رسول الله فنزل : ﴿ **إنْ يعْلَمِ الله فِي قُلُوبِكُمْ خيْراً ..** ﴾ الآية * وفى مجمع الزوائد : فقال العباس : فى والله نزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامى ، وسألته أن يحاسبنى بالعشرين الأوقية التى وجدت معى . فأعطانى بها عشرين عبداً كلهم تاجر بمال في يده مع ماأرجو من مغفرة الله جل ذكره . قال الهيثمى : فى الصحيح بعضه — رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير باختصار ، ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع . وهكذا بقية الأقوال : أمّا التفسير : ﴿ **يا أيُّها النبىُّ قُلْ لِمنْ فِي أيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى** ﴾ وفى قراءة من الأسارى . جمع أسرى ، جمع أسير ، فهو جمع الجمع . يعنى الذين أسرتموهم يوم بدر وأخذتم منهم الفداء ، والخطاب موجه لجميعهم ﴿ **إنْ يَعْلَمِ الله فِى قُلُوبِكُمْ خيْراً** ﴾ أى إيمناً وتصديقاً وإخلاصاً ﴿ **يُؤْتِكُمْ خيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ** ﴾ من الفداء ، بأن يضاعفه لكم فى الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿ **ويغفِرْ لكُمْ** ﴾ ذنوبكم ﴿ **والله غَفُورٌ** ﴾ عما وقع منهم قبل إسلامهم ﴿ **رَحِيمٌ** ﴾ بهم إذ قبلهم . أو يغفر لكم ماكان من الشرك ، وماastتبعه من السيّآت والأوزار ، والله غفور لمن تاب من كفره وذنوبه ، رحيم بالمؤمنين فيشملهم بعنايته وتوفيقه ، ويعدهم للسعادة فى الدنيا والآخرة *

ببعض ... ﴾ الآية . وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال : أخى الرسول عليه الصلاة والسلام بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك . قال الزبير : لقد رأيت كعباً أصابته الجراحة بأحد . فقلت لو مات فانقلع عن الدنيا وأهلها لورثته ، فنزلت هذه الآية . ﴿ **وأولُوا الْأَرْحَامِ بعضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فى كتابِ الله** ﴾ فصارت المواريث بعد للأرحام والقرابات . وانقطعت تلك المواريث فى المؤاخاة * وفى الخازن : قال ابن عباس : كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية : ﴿ **وأولُوا الأرحام** .. ﴾ أى في الميراث فبيّن بهذه الآية أن سبب القرابة أقوى وأولى من سبب الهجرة والإخاء ، ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث . وقوله : ﴿ **فى كتابِ الله** ﴾ فى حكم الله . وقيل : أراد به اللوح المحفوظ . وقيل : أراد به القرآن ، وهى أن قسمة المواريث مذكورة فى سورة النساء من كتاب الله ، وهو القرآن : وتمسك أبو حنيفة بهذه الآية فى توريث ذوى الأرحام . وأجاب عنه الإمام الشافعى رضى الله عنه بأنه لما قال : فى كتاب الله كان معناه فى حكم الله الذى بيَّنه فى سورة النساء ، فصارت هذه الآية مقيدة بالأحكام التى ذكرها فى سورة النساء من قسمة المواريث . وإعطاء أهل الفروض فروضهم . ومابقى فللعصبات * وفى مجمع الزوائد : عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه فجعلوا يتوارثون بذلك حتى نزلت : ﴿ **وأولُوا الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى ببِعْضٍ** ﴾ فتوارثوا بالنسب * رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح . والخلاصة : إن القريب ذا الرحم أولى من غيره من المؤمنين بولاء قريبه ، وبره ومقدم عليه فى جميع الولايات المتعلقة به كولاية النكاح وصلاة الجنازة وغيرها . وإذا وجد قريب وبعيد يستحقان البر والصلة . فالقريب أولى كما قال تعالى : ﴿ **وبَالْوَالديْنِ إحْسَاناً وَبِذِى الْقُرْبَى والْيَتَامَى والْمسَاكينِ** ﴾ وقوله : ﴿ **إنَّ الله بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ** ﴾ ومنه حكمة المواريث . أى التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة ولو بدون قرابة الذى قد نسخ بهذه الآية *

سورة براء وبيان مافيها من أسباب نزول آياتها

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وطَعَنُوا فِي دِينكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إنَّهُمْ لاأَيْمَانَ لَهُمْ لعلَّهُمْ يَنْتَهُونَ** ﴾ فى الواحدى : قال

ابن عباس : نزلت فى أبى سفيان بن حرب ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبى جهل . وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد ، وهمُّوا بإخراج الرسول * وكذا فى الخازن . وقال مجاهد : هم فارس والروم * وقال حذيفة بن اليمان : ماقوتل أهل هذه الآية بعد ، ولم يأت أهلها * ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود ، فإنهم أئمة الكفر فى ذلك الزمان . قلت : والأول أصح أخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله : فقاتلوا أئمة الكفر . قال : أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله ، وهموا بإخراج الرسول من مكة . قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبى . وليس في التفاسير أقوال غير ماذكرت ، والأولى أن يقال إن الآية عامة لهم ولغيرهم . لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . أما التفسير : ﴿ **وإنْ نكَثُوا أيْمٰانَهُمْ** ﴾ أى نقضوا عهودهم . مثل نقضهم صلح الحديبية ﴿ **من بَعْدِ عَهْدِهِمْ** ﴾ أى من بعد ماعاهدوكم عليه أن لايقاتلوكم ، ولايظاهروا عليكم أحداً من أعدائكم ﴿ **وطَعَنُوا فِى دينكُمْ** ﴾ عابوه واستهزؤا به وصدوا الناس عنه . ومن ذلك الطعن فى القرآن وفى النبى ﷺ كما كان يفعل شعراؤهم الذين أهدر النبى ﷺ دماءهم ﴿ **فَقَاتِلُوا** ﴾ هم ﴿ **أئمّة الكفر** ﴾ وحملة لوائه المقدمون على غيرهم بزعمهم ، فهم الأجدر بالقتل والقتال ﴿ **إنَّهُمْ لَا أيْمَانَ لَهُمْ** ﴾ أى لاعهو لهم . فهى مخادعة لسانيّة لايقصد الوفاء بها كما قال سبحانه ﴿ **يقُولُون بألسنتِهِمْ مٰاليْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ فما أسرع ماتنقض إذا وجدت الفرصة سانحة ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُون** ﴾ عن الكفر . ومما يؤيد صحه القول الأول الآية التى تلي هذه الآية ﴿ **أَلَّا تُقاتِلُونَ قَوْماً نكثُوا أيْمٰانَهُمْ وهَمُّوا بإخْرَاجِ الرَّسُولِ وهُمْ بدأوكُمْ أوّلَ مرَّة** ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بنى بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿ **أتخْشَوْنَهُمْ فالله أَحَقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مؤمنِين** ﴾ * وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ **قاتِلُوهُمْ يُعَذِبْهُمْ الله** ﴾ بقتلهم ﴿ **بأيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ** ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿ **وينْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مؤمنِينَ** ﴾ بما فعل بهم . هم بنو خزاعة . أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال : ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى خزاعة حين جعلوا يقتلون بنى بكر

بمكة * وأخرج عن عكرمة قال : نزلت هذه الآية فى خزاعة حلفاء النبى ﷺ . يشف صدورهم من بكر . (اللباب) *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ قال المفسرون : لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله وقطيعته الرحم ، وأغلظ علي له القول . فقال العباس : مالكم تذكرون مساوينا ولاتذكرون محاسننا ، فقال له علي : ألكم محاسن ؟ قال : نعم . إنَّا لنعمر المسجد الحرام . ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ، ونفك العاني . فأنزل الله عز وجل ردا على العباس : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ** .. ﴾ الآية (الواحدي) وفي لباب السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : قال العباس حين أسر يوم بدر : إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد . لقد كنا نعمر المساجد ونسقي الحاج ونفك العاني . فأنزل الله : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ** .. ﴾ الآية ومعنى نحجب الكعبة . أى نخدمها . ونفك العاني : يعني الأسير . (الخازن) وفي الغرائب : عن النعمان بن بشير ، قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ : فقال رجل لاأبالي أن لاأعمل عملا بعد أن أسقي الحاج . وقال الآخر : ماأبالي أن أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام ، وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم ، فزجرهم عمر . وقال : لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ، وذلك يوم الجمعة ، ولكني إذا صليت دخلتُ فاستفيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه ففعل عمر فأنزل الله الآية وفيه يروى عن الحسن والشعبي أن طلحة قال : أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه . ولو أشاء بت فيه . وقال العباس وذلك بعد إسلامه : أنا صاحب السقاية والقائم عليها . وقال عليّ رضي الله عنه : ماأدري ماتقولان ! لقد صليت ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد فنزلت : وعن ابن سيرين قال عليّ رضي الله عنه للعباس بعد أن كان أسلم : ألا تهاجر ؟ ألا تلحق بالنبي ﷺ ؟ فقال : ألست في أفضل من الهجرة. ألست اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام . فنزلت هذه الآية . فقال العباس : ماأراني إلا تارك سقايتنا . فقال النبي ﷺ أقيموا على سقيايتكم ، فإن لكم فيها خيراً * أما

التفسير : ﴿ مَا كَانَ للمشرِكينَ ﴾ ماصح لهم وما استقام ﴿ أنْ يَعمُرُوا مَسَاجِدَ الله ﴾ بالافراد والجمع : مسجد . ومساجد قراءتان سبعيتان . أى بدخوله والقعود فيه وخدمته . فإذا دخل الكافر بغير إذن مسلم عزر وإن دخل بإذنه لم يعزر لكن لابد من حاجة ، فيشترط للجواز الاذن والحاجة . ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالإذن أن النبي ﷺ شد ثمامة بن أثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر ﴿ شَاهدينَ علَى أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ ﴾ إذ أنهم نَصبُوا أصنامهم حول البيت ، فكانُوا يطوفون عراة ، ويقولون : لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي ، وكلما طافوا بها شوطاً سجدوا لها . وقيل هو قولهم : لبيك لا شريك لك إلَّا شريك هو لك تملكه وماملك . (الكشاف) وفي الكرخي : قوله : ﴿ شاهدينَ علَى أنفسهم بالكفر ﴾ قال ابن عباس : شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام . وذلك لأن كفار قريش قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد ، وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام ، فلم يزدادوا بذلك إلا بعدا . وقال الحسن : إنهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم (الخازن) زاد الكرخى : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وماملك مع قولهم : نحن نعبد اللات والعزى * وفي الخازن : وقال السدي : شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يسئل من أنت ؟ فيقول : نصراني ، واليهودي يقول يهودي ، والمشرك يقول مشرك * ﴿ أُولئكَ حَبِطَتْ أعْمَالُهُمْ ﴾ أي أعمال البر والعمارة والحجابة والسقاية وفك العناة في حال الكفر ﴿ وَفي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ أى من مات منهم على كفره . وقوله في الآية الثانية : ﴿ أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاج وعمَارة الْمَسْجِدِ الْحرَامِ كمَنْ آمَنَ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ ﴾فيه حذف تقديره كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ وجَاهَدَ فِي سبيلِ الله ﴾ أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله : وقوله ﴿ لايَسْتَوون عِنْدَ الله ﴾ استئناف مؤكد لما علم من إبطال المساواة بالتوبيخ المستفاد بالاستفهام . أى لا يستوي الفريقان . وقوله : ﴿ والله لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ تعليل في المعنى لنفى المساواة *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا لاتتَّخِذُوا آباءَكُمْ وإخوانَكُمْ أوْلِيَاءَ إنِ اسْتحبُّوا الكُفْرَ علَى الإيمان ومَنْ يتولَّهُمْ مِنكُمْ فأُولٰئِكَ هُمُ

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذِينَ كَفِرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ إلّا تَفْعَلُوهُ تكُنْ فِتْنَةٌ فى الأَرْضِ وفَسَادٌ كبيرٌ** ﴾ فى اللباب : أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن السدى عن ابن مالك قال : قال رجلٌ : نورث أرْحَامَنَا المشركين ، فنزلت : ﴿ **والّذِينَ كَفَرُوا بعضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْض** ﴾ وكذا فى الطبرى . وفيه . عن ابن عباس قال : فى مواريث مشركى أهل العهد * ولم أعثر على غير هذين القولين أما التفسير : ﴿ **والّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ** ﴾ ظاهرة لبيان الموالاة بينهم ، والغرض نهى المسلمين عن موالاتهم . وإن كانوا أقارب ، وأن يتركوا توارث بعضهم بعضا . وفيه أن المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا فى عداوة محمد ﷺ صارت هذه الجهة موجبة لإنضمام بعضهم إلى بعض ، وقرب بعضهم من بعض ، وإن كان كل واحد منهم فى نهاية الإنكار لصاحبه . وذلك من أدل الدلائل أن تلك العداوة ليست لأجل الدين ، ولكنها محض الحسد والعناد ، ومن جعل الولاية فى هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على أن الكفار فى التوارث على اختلاف مللهم كأهل ملة واحدة ، فالمجوسى يرث الوثنى ، والنصرانى يرث المجوسى ، واليهودى يرث النصرانى ، وبالعكس . ﴿ **بَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ فى النصرة والأرث فلا إرث بينكم وبينهم ﴿ **إلّا تَفْعَلُوهُ** ﴾ أى بأن قاطعتُم المسلمين ووالیتم الكفار ﴿ **تَكُنْ فِتْنَةٌ فى الأرْضِ وفَسَادٌ كبيرٌ** ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام . وعبارة المراغى : أى إن لم تفعلوا ما شرع لكم من ولاية بعضكم لبعض ، ومن تناصركم وتعاونكم تجاه ولاية الكفار بعضهم لبعض عليكم ، ومن الوفاء بالعهود والمواثيق مع الكفار إلى أن ينقضى عهدهم وينبذوه على سواء — يقع من الفتنة والفساد فى الأرض ما فيه أعظم الضرر عليكم بتخاذلكم الذى يقضى إلى فشلكم ، وظفر الأعداء بكم ، واضطهادكم فى دينكم بصدكم عنه كما وقع ذلك بضعفائكم بمكة قبل الهجرة *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأولُوا الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فى كتابِ الله إنّ الله بِكُلِّ شيءٍ عليمٌ** ﴾ فى اللباب : أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال : كان الرجل يعاقد الرجل . ترثنى وأرثك فنزلت : ﴿ **وأولُوا الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أوْلى**

الظَّالمونَ ﴾ * في الواحدي : قال الكلبي : لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته : إنا قد أمرنا بالهجرة ، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده ، فيقولون : نشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع ، فيرق فيجلس معهم . ويدع الهجرة ، ونزلت فيمن تخلف بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إنْ كانَ آباؤُكُمْ وأبْنَاؤُكُمْ وإخوانكُمْ وأزْوَاجُكُمْ وعشيرَتُكُمْ وأمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتجارةٌ تخشوْن كَسَادَهَا ومَسَاكِنُ تَرْضوْنَها أَحَبَّ إلَيْكُمْ من الله ورسُولِهِ وجِهَادٍ في سبيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حتَّى يأتِيَ الله بأمْرِهِ والله لايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ وفي الخازن : ﴿ **ياأَيُّها الّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخذُوا آباءَكُمْ وإخوانكُمْ أوْلياءَ** ﴾ قال مجاهد : هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة . ثم روى ماذكره الواحدي : وفيه . وقال مقاتل : نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة . فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم . وأنزل : ﴿ **ياأَيُّها الّذِينَ آمَنُوا لاتتَّخذُوا آباءَكُمْ وإخوانكُمْ أولياء** ﴾ يعني بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة * وفي الكشاف : وعن ابن عباس رضي الله عنهما : هي في المهاجرين خاصة . كان قبل فتح مكة ، من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم . فقالوا يارسول الله : إن

نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا . وهلكت أموالنا . وخربت ديارنا . وبقين ضائعين . فنزلت : فهاجروا . فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه ، أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ، ثم رخص لهم بعد ذلك .. وعن النبيّ ﷺ : «لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله ، حتى يحب فى الله أبعد الناس ، ويبغض فى الله أقرب الناس إليه» أما التفسير : ﴿ **ياأَيُّها الّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وإخْوانكُمْ أوْلياءَ** ﴾ توادونهم وتنصرونهم ، في القتال ، وتظاهرون لأجهلم الكفار ، أو تطلعونهم على أسرار المؤمنين ، ومايستعدون به لقتال المشركين ﴿ **إنِ اسْتَحَبُّوا** ﴾ اختاروا ﴿ **الكُفْرَ علَى الإيمانِ** ﴾ فلا توالوهم فإن في ذلك قوة للمشركين على قتال المؤمنين . وكان من الموالين لهم حاطب بن بلتعة البدرى أخذته نعرة القرابة فكتب إلى مشركى مكة خفية يعلمهم بما عزم عليه النبي ﷺ من

قتالهم ليتخذ له بذلك يداً عندهم . يكافئونه عليها بحماية ما كان له عندهم من قرابة . وفى ذلك نزلت سورة الممتحنة للنهى عن موالاة أعداء الله وأعدائهم . ﴿ **وَمَنْ يتولَّهُمْ مِنْكُمْ فأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ لأنفسهم وجماعتهم المؤمنين بوضعهم الموالاة فى غير موضعها ونحو الآية قوله : ﴿ **إنّما ينهاكُمْ الله عن الّذينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وأخرجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُم وظَاهَرُوا علَى إخْرَاجِكُمْ أنْ توَلَّوْهُمْ وَمَنْ يتولَّهُمْ فأولٰئِكَ هُمُ الظَّالمونَ** ﴾ قوله : ﴿ **قُلْ إنْ كانَ آباؤُكُمْ وأبناؤُكُمْ وإخْوانكُمْ وأزْواجُكُمْ وعشيرَتُكُمْ** ﴾ أقرباؤكم . وقرىء : وعشيرتكم . وقرأ الحسن : وعشائركم ﴿ **أموالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا** ﴾ اكتسبتموها : القرفة : الكسب . وفلان يقرف لعياله : أى يكسب . والتعبير بالاقتراف يوهم التهمة باكتسابها لأن من معانى القرفة : التهمة . وفلان قرفنى أى تهمنى ، أو هو الذى أتهمه . وفي الحديث أن النبي ﷺ كان لا يأخذ بالفرق أى التهمة . وقلما يوجد كسب خال من الغش أو شبه حرام فصح عنه التعبير بالاقتراف : وقوله : ﴿ **وتِجارةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا** ﴾ عدم نفادها بفراقكم لها ﴿ **وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها** ﴾ أي تستوطنونها راضين بسكناها ﴿ **أَحَبَّ إليكُمْ مِنَ الله ورسُولِهِ** ﴾ يعني أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله ﴿ **وجهادٍ في سبيله** ﴾ لإعلاء كلمته . أى إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله . ومن المجاهدة فى سبيله ﴿ **فَتَرَبَّصُوا** ﴾ أي فانتظروا ﴿ **حَتَّى يأتِيَ الله بأمْرِهِ** ﴾ يعني بقضائه ، وهذا أمر تهديد وتخويف . قال مجاهد ومقاتل : يعني بفتح مكة *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمْ الله فِي مَواطِنَ كثيرةٍ ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ على رسُولِهِ وعلَى الْمُؤْمِنِينَ وأنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ الله مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ على مَنْ يَشاءُ والله غَفُورٌ رحيمٌ** ﴾ فى اللباب : أخرج البيهقي فى الدلائل عن الربيع بن أنس أنّ رجلا قال يوم حنين : لن نغلب من قلة وكانوا اثنى عشراً ألفاً . فشق ذلك على رسول الله ﷺ . فأنزل الله : ﴿ **ويَوْمَ حُنينٍ إذْ أعجبَتكُمْ كَثْرَتُكُمْ ...** ﴾ وحنين وادٍ بين مكة والطائف . كانت فيه الوقعة بين المسلمين . وهم اثنا عشر ألفاً الذين حضروا

فتح مكة منضماً إليهم ألفان من الطلقاء . وبين هوزان وثقيف ، وهم أربعة آلاف فيمن ضامنهم من أمداد سائر العرب . فكانوا الجم الغفير ، فلما التقوا قال رجل من المسلمين : لن نغلب اليوم من قلة . فساءت رسول الله ﷺ . وقيل : قائلها رسول الله ﷺ . (وهذا بعيد) وقيل : أبو بكر الصديق رضي الله عنه . (الكشاف) قلت : وفي شرح المواهب، أن الكفار كانوا أكثر من عشرين ألفاً . وقتل من المسلمين أربعة . ومن المشركين أكثر من سبعين * وفى الخازن : فلما التقى الجمعان . قال رجل من الأنصار يقال له : سلمة بن سلامة بن رقيش . لن نغلب اليوم من قلة . فساء رسول الله ﷺ كلامه . ووكلوا إلى كلمة الرجل . وفي رواية : فلم يرض الله قولهم ووكلهم إلى أنفسهم . وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب أن القائل لذلك أبو بكر الصديق . ومافى الكشاف والطبري من نسبتها إلى رسول الله ﷺ بعد لأنه ﷺ كان فى جميع أحواله متوكلًا على الله عزّ وجلّ لايلتفت إلى كثرة عدد ، ولاإلى غيره . بل نظره إلى مايأتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة . قالوا : فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم المشركون . وخلوا عن الذراري ، ثم تنادوا : ياحماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون . أخرج الشيخان عن أبى اسحق قال : جاء رجل إلى البراء فقال : أكنتم وليتم يوم حنين ياأبا عمارة ؟ فقال : أشهد على نبى الله ﷺ ماولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحسر إلى هذا الحى من هوزان ، وهم قوم رماة ، فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد ، فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن حرب يقود به بغلته ، فنزل ودعا واستنصر ، وهو يقول : « أنا النبى لاكذب أنا ابن عبد المطلب . اللهم أنزل نصرك » * زاد أبو خيثمة ثم صفهم . قال البراء : كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به . يعني النبي ﷺ (والصحيح) ولمسلم عن أبى إسحاق : قال رجل للبراء بن عازب . ياأبا عمارة : فررتم يوم حنين ؟ قال : لاوالله ماولّى رسول الله ﷺ . ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسراً ليس عليهم سلاح ، أو كثير سلاح . فلقوا قوماً رماةً لايكاد يسقط لهم سهم : جمع هوازن وبنى نصر ، فرشقوهم رشقاً مايكادون يخطئون . فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ وهو على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب

يقود به .. الحديث . أما التفسير: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللهُ فى مواطن ﴾ للحرب ﴿ كثيرةٍ ﴾ كبدر وقريظة والنضير ، وهو تذكير للمؤمنين بنعمه عليهم ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ حنيْنٍ ﴾ وادٍ بين مكة والطائف بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً كما في الخازن : أي يوم قتالكم فيه ، هواذن . وذلك في شوال سنة ثمان . وهوازن هم قبيلة حليمة السعديّة ﴿ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ فاقتتلوا قتالاً شديداً . وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة . وزلّ عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود . فانهزموا حتى بلغ فلّهم مكة ، وبقى رسول الله ﷺ وحده ، وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلّا عمه العباس رضي الله عنه آخذٌ بلجام دابته . وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب آخذ بركاب دابته . وقال ﷺ للعباس : وكان صبياً ، وهو دليل على الشجاعة . صيح بالناس . فنادى الأنصار فخذاً فخذاً ، ثم نادى ياأصحاب الشجرة : فكروا عنقاً واحداً . وهم يقولون : لبيك لبيك . ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيل بلق . فنظر رسول الله ﷺ إلى قتال المسلمين . فقال : هذا حين حمى الوطيس ، ثم أخذ كفًّا من التراب فرماهم به . ثم قال : انهزموا ورب الكعبة . فانهزموا . قال العباس : لكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يركض خلفهم على بغلته . ويقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . وهذه شهادة صدق على تناهى شجاعته ﷺ ورباطة جأشه ، وما هي إلّا آيات بينات من آيات النبوة . وقوله : ﴿ فَلَمْ تُغنِ عنكُمْ شَيْئاً ﴾ أى لم تدفع عنكم الكثرة شيئاً من هزيمتكم ﴿ وضَاقَتْ عليكُمْ الْأَرْضُ بمَا رَحُبَتْ ﴾ ما مصدرية . والباء بمعنى مع أي مع رحبها وسعتها . أي لا تجدون موضعاً تستصلحُونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب . فكأنها ضاقت عليكم ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ﴾ منهزمين لا تلوُون على أحدٍ ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سكينَتَهُ ﴾ بعد الهزيمة . السكينة الطمأنينة والأمنة . وذلك أن الإنسان إذا خاف رجف فؤاده . فلا يزال متحركاً حتى يأمن ويطمئن فيسكن فؤاده وإنزالها « على رسوله وعلى المؤمنين » كناية عن الأمن والظفر وهى رحمة من الله تعالى ينصر بها عباده . وفى حديث عليّ رضي الله عنه وبناء الكعبة : فأرسل الله إليه ــ إلى ابراهيم عليه السلام ــ السكينة ، وهي ريحٌ خجوجٌ . أي سريعة المرّ ، وفيها أقوال كثيرة في شكلها أضربت عنها لأنها لا يطمئن إلى صحتها ، وروى عن ابن مسعود أنه قال : السكينة

مغنم ، وتركها مغرمٌ * قيل : أراد بها الرحمة . ولهذا قال بعضهم : السكينة الرحمة . وقيل : هي النصر . وقيل : هي الوقار . قال الخازن : إنما كان إنزال السكينة على المؤمنين لأنّ الرسول ﷺ كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب فى هذه الواقعة ، ثم منّ الله عليهم بإنزال السكينة عليهم حتى رجعوا إلى قتال عدوهم بعد الهزيمة . ورسول الله ﷺ ثابت لم يفر * قلت : ولماذا لا يكون اضطراب قلب النبى ﷺ خوفا على المؤمنين لما انهزموا من إنزال العقوبة بهم ؟ كيف لاوقد توعد الله الفارين بالغضب وسوء المصير . وقد ذكر الله تعالى إنزالها على رسوله ، وعلى المؤمنين . والواو تقتضي التشريك في الحكم . ودلالته على التخصيص ، فدل على ماقلته إن شاء الله تعالى . وذكر تقديم لفظ الرسول للاعتناء به ، وعُلوّ مرتبته . فهو جدير بإنزال السكينة عليه والمؤمنون تبع له ﴿ **وما أرسلْناك إلّا رحمةً للعالَمينَ** ﴾ وقيل : إنزال السكينة كانت على الرسول ﷺ وعلى من ثبت معه من المؤمنين حين وقع الهرب ﴿ **وأنزَلَ جُنُوداً** ﴾ يعني الملائكة ، وكانوا ثمانية آلاف ، وقيل خمسة آلاف . وقيل : ستة عشر ألفاً . وقد قيل : إن الكفار كانت تراهم . في المواهب ، وروى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن عن رجل كان في المشركين يوم حنين ، قال : لمّا التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاةٍ ، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهيا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله ﷺ . قال : فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسانٌ . فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا . فانهزمنا وركبوا أكتافنا * وفي سيرة الدمياطي : قال : كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم * وروى أن رجلاً من بنى النضير قال للمؤمنين بعد القتال : أين الخيل البلق ، والرجال عليهم ثيابٌ بيضٌ ؟ ماكنا نراكم إلا كهيئة الشامة . وماقتلنا إلا بأيديهم . فأخبروا بذلك النبي ﷺ . فقال : تلك الملائكة . (الخطيب) وفي هذا دلالة على أن الملائكة قاتلت يوم حنين كما قاتلت يوم بدر . ولا صحة لقول من قال : إن نزولهم يوم حنين كان لتقوية قلوب المسلمين ، وإن كانوا لا يرونهم . وقوله : ﴿ **وَعَذَّبَ الّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ بالقتل والأسر لستة آلاف من نسائهم وصبيانهم . ولم تقع غنيمة أعظم من غنيمتهم . فقد كان فيها من الإبل على

ماذكره أصحاب السير اثنا عشر آلفاً . ومن الغنم مالا يحصى عدداً . ومن الأسر ماسمعته ، وكان فيها غير ذلك ﴿ **وذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرينَ** ﴾ الذي يستحقونه في الدنيا ، ثم إذا أفضوا إلى الآخرة كان عذابهم أشدُّ وأنكى . وقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ يَتُوبُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ** ﴾ فيهديه إلى الإسلام كبقية هوازن ، أسلموا وقدموا على رسول الله ﷺ تائبين ، فمن عليهم نبي الرحمة بإطلاق سبيلهم . ﴿ **والله غَفُورٌ** ﴾ لمن تاب حتى محاربة الله ورسوله ﴿ **رَحِيمٌ** ﴾ كثير الرحمة بعباده . في الكشاف والخطيب وغيرهما . روى أن أناساً منهم جاؤا فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام . وقالوا له يارسول الله : أنت خير الناس . أوبرُّ النّاس . وقد سبى أهلونا وأولادنا . وأخذت أموالنا . فقال : إن عندي ماترون . إن خير القول أصدقه . اختاروا إما ذراريكم ونساءكم . وإما أموالكم . قالوا : ماكنا نعدل بالأحساب شيئا . والحسب مايعده الإنسان من مفاخر آبائه . كنوا بذلك عن اختيار الذراري والنساء على استرجاع الأموال . لأن تركهم في ذل الأسر يفضي إلى الطعن في أحسابهم ، فقام رسول الله ﷺ . فقال : إنّ هؤلاء جاؤا مسلمين . وإنّا خيرناهم بين الذراري والأموال ، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً . فمن كان بيده شيء . وطابت نفسه أن يرده . فشأنه . ومن لا . فليعطنا . وليكن قرضاً علينا . أي بمنزلة القرض حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه . فقالُوا : رضينا وسلمنا ، فقال : إني لاأدري لعلّ فيكم من لايرضي فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا أيَّ عليه رضوا ، فرفعت إليه العرفاء أنهم قد رضوا *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ياأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّما الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هذا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان المشركون يجيئون إلى البيت . ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه . فَلَمَّا نهوا عن أن يأتُوا البيْتَ قال المسلمون : أين لنا الطعام ؟ فأنزل الله ﴿ **وإنْ خفتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغنيكُمْ الله من فضلِه** .. ﴾ الآية * وفي الخطيب : ولمّا أمر رسول الله ﷺ عليًا أن يقرأ على المشركين : مشركي مكة . أوّل براءة ، وينبذ إليهم عهدهم . وأن الله برىء من المشركين ورسوله ، قال أناسٌ ياأهل مكة : ستعلمون ماتلقون من الشدة لانقطاع

السبيل ، وفقد الحمولات ، وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجارات ، وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ، ويتجرون ، فلمّا امتنعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة الفقر ، وضيق العيش ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإنْ خِفْتُمْ عيلة** ﴾ أي فقر وحاجة ، بانقطاع تجارتهم عنكم ، فسوْف يغنيكم الله من فضله . أي من عطائه وتفضله من وجه آخر . وقد أنجز الله تعالى وعده بأن أرسل عليهم المطر مدراراً فكثر خيرهم ، وأسلم أهل جدة وصنعاء وتباله وجرش ــ بضم الجيم وفتح الراء ــ قريتان من قرى اليمن . وقيد ذلك بقوله : إن شاء الله ، لتنقطع الآمال إليه تعالى ، ولينبه على أنه متفضّل في ذلك ، وأن الغني الموعود به يكون لبعض دون بعض ، وفي علم دون علم * وفي الكشاف : وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف ، وقال : من أين تأكلون ؟ فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله بالجزية * وفي الطبري نحو ما ذكر . وفيه قال عبيدة بن سليمان : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ **وَإنْ خِفْتُم عيْلة فَسَوْفَ يغنيكُمْ الله من فَضْلِهِ** ﴾ كان ناس من المسلمين يتألفون العير . فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثقفوا . وأن يقعدوا لهم كل مرصد . قذف الشيطان في قلوب المؤمنين : فمن أين تعيشون ، وقد أمرتُم بقتال أهل العير . فعلم الله من ذلك ما علم . فقال : أطيعُوني وامضوا لأمري وأطيعوا رسولي فإني سوف أغنيكم من فضلي . فتوكل الله لهم بذلك * وهكذا بقية الأقوال لا تخرج في معناها عمّا ذكرت : أما التفسير : ﴿ **يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إنّما المشركون نَجَسٌ** ﴾ قذر لخبث باطنهم كذا قال الجلال ، **فهو** مجاز عن خبث الباطن ، وفساد العقيدة ، **فهو** استعارة لذلك . وفي الخازن : قيل : أراد بالمشركين عبدة الأصنام وغيرهم من اليهود والنصارى . والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم . وقيل : النجس الشيء الخبيث ، وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم لأن الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم : وقيل : هم أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ، ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة . قال الخازن : والقول الأول أصح ، وقال قتادة : سماهم نجساً لأنهم يجنبون فلا يغتسلون ، ويحدثون فلا يتوضئون * قلتُ والنَّجسُ والنِّجْسُ والنَّجَسُ : القذر من الناس ومن كل شيء

قذرته . ولاشك أن المشركين أنجاس أخباث ، وفي الحديث : أن النبي ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال : «اللهم إن أعوذ بك من النجس الرجس الخبيث المخبث» قال :
وجارية ملبونة ومنجس * وطارقة في طرقها لم تسدد . يصف أهل الجاهلية أنهم بين متكهن وحداس ، وراق ومنجس ، ومتنجم حتى جاء النبي ﷺ ، والعامة تقول للمرائى الماكر المخادع نجس . أي لاأمانة له فيجتنبون مجالسته ومحادثته . وقوله : ﴿ **فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ** ﴾ أي يمنعون من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ، ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الحرامِ** ﴾ أراد به الحرم لأنه أسرى به ﷺ من بيت أم هانىء . في الخطيب : قال العلماء : وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أ قسام : أحدها : الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال ذميًّا كان أم مستأمناً لظاهر هذه الآية . وإذا جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام . والإمام في الحرم لايأذن له في دخول الحرم . بل يخرج إليه الإمام ، أو يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم . وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم . القسم الثاني من بلاد الإسلام الحجاز فيجوز للكافر دخوله بإذن . ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لاأدع إلا مسلما وأجلاهم عمر في خلافته ، وأجله لمن قدم منهم تاجراً ثلاثة . وجزيرة العرب من أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول . وأما في العرض فمن جدة وماوالاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام . والقسم الثالث . سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة . أو أمان لكن لايدخل المساجد إلا بإذن مسلم لحاجة * والمراد فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿ **بَعْدَ عَامِهِمْ هذا** ﴾ بعد حج عامهم هذا ، وهو غام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم ، ويدل عليه قول عليّ كرّم الله وجهه حين نادى ببراءة: ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك . وقد علمت مذهب أبي حنيفة . وعند الشافعي : يمنعون من المسجد الحرام خاصة . وعند مالك : يمنعون منه ومن غيره من المساجد ، وقوله : ﴿ **وإنْ خِفْتُمْ عيلةً** ﴾ أي فقراً بسبب منع المشركين من الحجّ . ماكان لكم في قدومهم عليكم من الإرفاق والمكاسب ﴿ **فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الله**

﴿ مِنْ فضلِهِ ﴾ قد تقدم تفسير ذلك .. وقوله : ﴿ إنْ شاءَ ﴾الله . واشتراط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الإنسان دائم التضرع والابتهال إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وأن يقطع العبد أمله من كل أحد إلا من الله تعالى . وقد حقق الله عز وجل لهم مشيئته ، ونحو الآية : ﴿ لتدخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إنْ شاءَ الله آمِنِين ﴾ وقد دخلوه آمنين . ﴿ إنَّ الله عَلِيمٌ ﴾ بمصالحكم فيعطيكم من الرزق مالا يطغيكم ولا يشغلكم عن واجباتكم الدينية ﴿ حكيمٌ ﴾ أي لا يفعل إلا عن حكمة وصواب فمكن حكمته أنه منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية على أهل الكتاب *

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وقَالتِ الْيَهُودُ عَزَيْرٌ ابنُ الله وقَالتِ النَّصارى الْمَسيحُ ابنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بأفواهِهِمْ يُضاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ الله أنّى يُؤْفَكُونَ ﴾ في اللباب : أخرج بن أبي حاتم عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم . ونعمان بن أوفى ، وشاش بن قيس ، ومالك بن الصيف ، فقالوا : كيف نتبعك . وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أنّ عزيراً ابن الله ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وقَالتِ اليهودُ ... ﴾ وكذا في الخازن وفيه قال عبيد بن عمير إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء ، وهو الذي قال : إن الله فقير ونحن أغنياء * ... وروى عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال : إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزيراً كان فيهم ، وكانت التوراة عندهم ، والتابوت فيهم ، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت ، وأنساهم التوراة ، ونسخها من صدورهم ، فدعا الله عزيرٌ ، وابتهل إليه أن يردّ إليه التورا ، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله عز وجل . نزل نورٌ من السماء ، فدخل جوفه فعادت إليه ، فأذن في قومه ، وقال ياقوم : قد آتاني الله التوراة وردها إلى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ، ثم إنّ التابوت نزل بعد ذهابه منهم . فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزيز على ما في التابوت فوجدوه مثله ، فقالوا : ماأوتي عزير هذا إلا لأنه ابن الله * وقال الكلبي : إن بختنصر لما عزل بيت المقدس ، وظهر على بني إسرائيل ، وقتل من قرأ التوراة كان عزير إذ ذاك صغيراً . فلم يقتله لصغره ، فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيراً ليجدد لهم التوراة . ويكون لهم آية بعد ماأماته الله

مائة سنة . قال : فأتى ملك بإناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره . فلما أتاهم ، قال : أنا عزير ، فكذبوه ، قالوا : إن كنت كما تزعم فامل علينا التوراة ، فكتبها لهم من صدره . ثم إن رجلاً منهم قال : إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم . فانطلقوا معه حتى أخرجوها ، فعارضوها بما كتب لهم عزير . فلم يجدوه غادر حرفاً . فقالوا : إن الله لم يقذف التوراة في قلب عزير إلّا أنه ابنه . ومنذ ذلك قالت اليهود عزير ابن الله * فعلى هذين القولين . يكون هذا القول فاشياً في اليهود جميعاً . ثم إنه انقطع واندرس . فأخبر الله تعالى به عنهم . وأظهره عليهم ، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك . فإن خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من إنكارهم . وأما قول النصار : المسيح ابن الله . فكان السبب فيهم أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب ، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له : بولص ، قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ، ثم قال بولص لليهود : إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا . فنحن مغلوبون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ، ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه . فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة . ووضع التراب على رأسه . ثم أنه أتى إلى النصارى . فقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا عدوكم بولص . فقد نوديت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تتنصر ، وقد تبت وأتيتكم ، فأدخلوه الكنيسة ونصروه ، وأدخلوه بيتا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل ، ثم خرج وقال : قد نوديت إن الله قد قبل توبتك . فصدقوه وأحبوه ، وعلا شأنه فيهم ، ثم إنه عمد إلى ثلاثة رجال : اسم الواحد منهم نسطور ، والآخر يعقوب ، والآخر ملكان . فعلم نسطور أن عيسى ومريم (الإِلٰه) ثلاثة . وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان ، ولكنه ابن الله ، وعلم ملكان أنّ عيسى هو الله لم يزل ، ولايزال ، فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة ، وقال له أنت خالصتي ، وادع الناس لما علمتك ، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ، ثم قال لهم : إني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني ، وقال لكل واحد منهم : إني سأذبح نفسي تقربًا إلى عيسى ، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه ، وفرق أولئك الثلاثة ، فذهب واحد

إلى الروم ، وواحد إلى بيت المقدس ، والآخر إلى ناحية أخرى ، وأظهر كل واحد مقالته . ودعا الناس إليها ، فتبعه على ذلك طوائف من الناس ، فتفرقوا واختلفوا . ووقع القتال ، فكان ذلك سبب قولهم : المسيح ابن الله . وقال الإمام فخر الدين الرازي بعد أن حكى هذه الحكاية . قال : والأقرب عندي أن يقال لعله ذكر لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف . كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف . فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية ، والجهال قبلوا ذلك منهم ، وفشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام . والله أعلم بحقيقة الحال . ـــ نقلاً من الخازن ـــ من التفسير الكبير ـــ وفي الكشاف : وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام . فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم ، فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له : إلى أين تذهب ؟ قال : أطلب العلم فحفظ التوراة . فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفاً فقالوا : ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه . قال : والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب . ثم قال : فإن قلت : كل قول يقال بالفم ، فما معنى قوله : ﴿ **ذلك قولهم بأفْواهِهِمْ** ﴾ ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يقومون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معانٍ . وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم . ومعناه مؤثر في القلب . ومالا معنى له بالفم لا غير . والثاني : أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبي حنيفة . يريدون مذهبه . ومايقول به . كأنه قيل : ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم ، لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد * وقوله : ﴿ **يُضَاهِئُونَ** ﴾ قال ابن عباس : يشابهون . والمضاهات المشابهة ، وقال مجاهد : يواطئون ، وقال الحسن : يوافقون ﴿ **قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ** ﴾ قال قتادة والسدى : معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم . فقالوا : المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله . وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لأن المشركين كانوا يقولون : الملائكة بنات الله . وقال الحسن : شبه الله كفر

اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الأمم الخالية الكافرة * وقال القتيبي : يريد أنّ من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قال أوّلهم * وقوله : ﴿ **قَاتَلَهُمْ اللهُ** ﴾ قال ابن عباس : لعنهم الله * وقال ابن جريج : قتلهم الله * وقيل : ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب . أي حق أن يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه . قاتله الله ما أعجب فعله . ﴿ **أَنَّى يُؤْفكُونَ** ﴾ كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل ، وإقامة الحجة بأن الله واحد أحدٌ فجعلوا له ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ كثيراً مِنَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَان لَيَأْكُلُونَ أمْوَالَ النَّاسِ بالْبَاطِلِ ويَصُدُّونَ عن سبيلِ الله** ﴾ في الواحدي : نزلت في العلماء والقراء من أهل الكتاب كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم ، أوهي المآكل التي كانوا يصببونها من عوامتهم * في الخازن : واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل . فقيل : إنهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمسامحة في الأحكام . وقيل : إنهم كانوا يكتبون كتبا يحرفونها ويبدلونها ، ويقولون هذه من عند الله . ويأخذون بها ثمناً قليلاً . وهي المآكل التي كانوا يصببونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي ﷺ وصفته في كتبهم ، لأنهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل . وقيل : إن التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي ﷺ . وكان الأحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوهاً فاسدة باطلة ، ويحرفون معانيها طلباً للرياسة ، وأخذ الأموال ، ومنع الناس عن الإيمان به . وذلك قوله : ﴿ **ويصدُّونَ عن سَبِيلِ الله** ﴾ يعني ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ . والدخول في دين الإسلام * والآية شروع في بيان حال الأحبار والرهبان في إغوائهم لأراذلهم أثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أرباباً يطيعُونهم في الأوامر والنواهي ، واتباعهم فيما يأتون ومايذرون . والأحبار من اليهود والرهبان من النَّصارى . وفي قوله : ﴿ **إنَّ كثير من الأحبار والرهبان** ﴾ دليل على الأقل من الأحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ، ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ . وعبر عن أخذ الأموال بالأكل في قوله : ﴿ **ليأكُلونَ أموالَ النَّاسِ بالباطِلِ** ﴾ وأن المقصود الأعظم من

جمع المال الأكل فسمى الشيء باسم ماهو أعظم مقاصده *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهبَ والْفِضَّةَ ولَا يُنْفِقُونَها فِي سبيلِ الله فبشِّرْهُمْ بعذابٍ أليم * يَوْمَ يُحمَى عَلَيْهَا فِي نَار جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهُورُهُمْ هَذَا ماكَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ماكنْتُم تَكْنِزُونَ** ﴾ في الواحدي : قال وهب بن زيد ، مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر . فقلت له : ماأنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : ﴿ **والَّذِينَ يكنزون الذهبَ والفضة ولاينفقونها في سبيل الله** .. ﴾ فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب . فقلت : نزلت فينا وفيهم . وكان بيني وبينه كلام في ذلك . وكتب إلى عثمان يشكوني . وكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة . فقدمتها ، وكثر الناس عليَّ حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك . فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تنحيْت وكنت قريبا . فذلك الذي أنزلني هذا المنزل . ولو أمروا عليَّ حبشيا لسمعت وأطعت . رواه البخاري عن قيس ، عن جرير عن حصين . قال الواحد : والمفسرون أيضاً مختلفون ، فعند بعضهم أنها في أهل الكتاب خاصة . وقال السدي : هي في أهل القبلة * وقال الضحاك : هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين * وقال عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **والَّذِينَ يكنزونَ الذَّهبَ والفضّة** .. ﴾ قال : يريد المؤمنين * وقال ثوبان : لما نزلت : ﴿ **والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهبَ والفضّة** ﴾ قال رسول الله ﷺ : تباً للذهب والفضة . قالوا يارسول الله : فأي المال نكنز ؟ قال : « قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً ، وزوجة صالحة » . وفي وراية : «وزوجة تعين أحدكم على دينه» وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والحاكم عن ابن عباس : قال لما نزلت هذه الآية : ﴿ **والَّذِينَ يكنزونَ الذَّهبَ والفضّة** ﴾ كبُر ذلك على المسلمين وقالوا : مايستطيع أحد منا ألا يبقي لولده مالاً بعده ، فقال عمر : أنا أفرج عنكم ، فانطلق وتبعه ثوبان فأتى النبي ﷺ فقال يانبي الله : إنه كبر على أصحابك هذه الآية . فقال : إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها مابقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث عن أموال تبقى بعدكم . فكبر عمر رضي الله عنه ، ثم قال له النبي ﷺ : « ألا أخبرك بخير مايكنز ؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها الرجل سرته ، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته » أما التفسير : ﴿ **والَّذِينَ**

يكنزونَ الذَّهبَ والفضّة ﴾ أصل الكنز في اللغة . جعل المال بعضه على بعض وحفظه . ومال مكنوز أي مجموع * والكنز غالباً ما يجمع من الذهب والفضة ويدفن في الأرض . والذين يكنزون الأحبار والرهبان . لما وصفهم بالحرص الشديد أراد أن يصفهم بالامتناع من إخراج الواجبات عن أموالهم هذا على قول . وقيل : المقصود مانعوا الزكاة من المسلمين . واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم . فقال الأكثرون : هو المال الذي لم تؤد زكاته : عن عمر بن الخطاب قال : مالٌ أديت زكاته فليس بكنز * وقال ابن عمر : كل ماأديت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين . وكل مالم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرض * وقال جابر : إذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز * وقوله : **﴿ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾** قال ابن عباس : يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم * قال القاضي : ويندرج فيه سائر الحقوق الكفارات والديون ونفقة الحج . والجهاد والانفاق على الأهل والعيال . وضمان المتلفات وأرش الجنابات * وقال الأقلون : كل مال كثير فهو مذموم سواء أديت زكاته أو لم تؤد . وحجة الأولين قوله تعالى : **﴿ لها ما كَسَبَت ولا يسألكُمْ أموالكم ﴾** ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « كل امرىء أحق بكسبه . نعم المال الصالح للرجل الصالح . ماأديت زكاته فليس بكنز . وإن كان باطناً ، وما بلغ أن يزكى ولم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا » * وقد كان فى عهد رسول الله ﷺ جمع من الأغنياء كعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكان يعدهم من أكابر المؤمنين ، وقد ندب إلى اخراجَ الثلث ، أو الأقل في المرض . ولو كان جمع المال محرّما لكان يأمر المريض أن يتصدق بالكل . حجة القائلين : عموم الآية . وماروى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ : تبا للذهب والفضة قالها ثلاثاً . فقالوا له . أي مال نتخذ ؟ قال لساناً ذاكراً وقلباً خاشعاً ، وزوجة تعين أحدكم على دينه . فقالوا له : من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها . وتوفى رجل فوجد في مئزره دينار ، فقال رسول الله ﷺ ترك (كية) . وتوفى آخر فوجد في مئزره ديناران . فقال : (كيتان) . وعن علي رضي الله عنه : كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت زكاته أو لم تؤد . وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين ، فقالوا : كان هذا قبل أن تفرض الزكاة . فأما بعد فرض الزكاة ،

فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ، ويؤدعنه ماأوجب عليه ثم يعاقبه * وأمّا ظاهر الفتوى فهو أن صاحب المال الكثير لا عتب عليه إذا أدى منه حقوقه . هذا ومن حمل الآية على وعيد مانعى الزكاة فى النقود قاس الزكاة في المواشي عليه . أخرج الشيخان عن أبي ذر قال : انتهيت إلى النبي ﷺ ، وهو جالس في ظل الكعبة . فلما رآني قال : هم الآخرون ورب الكعبة ، قال : فجئت حتى جلست ... فقلت يارسول الله : فداك أبي وأمي من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً إلّا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله . وقليل ماهم مامن صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ماكانت وأسمنه تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها كلما نفذت آخراها عادت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس * هذا لفظ مسلم . وفرقه البخاري في موضعين . ولا ريب أن الأصل المعتبر في الأموال هو النقدان ، وسائر الأمتعة إنما تحصل بهما ، وتدور عليهما ، ولمن أوجب الزكاة في الحلى المباح . الاستدلال بالآية لأن الذهب والفضة يشمله ، ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روى أنه ﷺ قال : لا زكاة في الحلى المباح . ولم يصححه أبو عيسى الترمذي . وبتقدير أن يصح حملوه على اللالىء لقوله تعالى : ﴿ **وتستخرجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها** ﴾ ولقائل أن يقول : لو حملنا الحلى في الحديث على اللالىء لم تبق لقيد المباح فائدة . وقوله : ﴿ **يوْمَ يُحْمَى عَلَيْها فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى** ﴾ تحرق ﴿ **بِهَا جِبَاهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ** ﴾ في مجمع الزوائد عن عبد الله . يعني ابن مسعود قال : « لا يكوى رجل بكنز فيمس درهم درهما ولا ديناراً يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته » رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح * وفي صحيح البخاري عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر . فقال : « هذا قبل أن تنزل الزكاة . فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال » وقد ذكر سبحانه وتعالى شيئين : الذهب والفضة . ثم قال : ﴿ **ولا يُنْفِقُونها** ﴾ فقيل الضمير عائد على المعنى . وهو الكنوز والأموال . أو لأن كل واحد منهما جملة واحدة وافية وعدة كثيرة ، ودراهم ودنانير ، فهو كقوله : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فذوقُوا** ﴾ عذاب ﴿ **مَا كنتُمْ تكنزون** ﴾ أي جزاءه إشارة إلى أن

المكنوز لايذاق . ومابمعنى الذي . والعائد محذوف . ويجوز أن تكون مصدرية . أي وبال كونكم تكنزون . والآية عامة في كل مايجب فيه الزكاة *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّما النّسِيءُ زِيٰادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَه عَاماً ويُحَرِّمُونَه عَاماً لِيُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ الله فيُحِلُّوا مٰا حَرَّمَ الله زُيّنَ لَهُمْ سُوءُ أعمالِهِمْ والله لايَهْدِي الْقَوْمَ الكافِرِينَ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن أبي مالك قال : كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفراً فيستحلون فيه الحرمات . فأنزل الله : ﴿ **إنّما النّسيء زِيادَةٌ فِي الكُفْر** ... ﴾ الآية * وعبارة الخازن : وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم ، وتعظيهما ، وكانت معايش العرب من الصيد والغارة . وكان يشق عليهم الكفء عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحرم . فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال . فنسأوا . يعني أخروا تحريم شهر إلى شهر آخر . فكانوا يؤخرون حروبهم إلى الأشهر الحلال ،

فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر ، فيستحلون المحرم ، ويحرمون صفر ، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع الأول ، وكانوا يصنعون هكذا ، يؤخرون شهراً بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها . وكانوا يحجون في كل شهر عامين ، فحجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين . وكذلك باقي شهور السنة ، فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع ذا القعدة ، ثم حج رسول الله ﷺ في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع ، فوقف بعرفة في اليوم التاسع ، وخطب النّاس في اليوم العاشر بمنى ، وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان ، وعاد الأمر إلى ماوضع الله عليه حساب الأشهر يوم خلق السمٰوات والأرض ، وهو قوله ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السمٰوات والأرض .. » وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الأيام * أخرج البخاري عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السمٰوات والأرض : السنة اثنا عشر شهراً : منها أربعة حرم . ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر

الذي بين جمادي وشعبان» * والمعنى : رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه ، وعاد الحج في ذي الحجة ، وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية ، وهو تأخير شهر إلى شهر لاستباحة ما حرم الله . أما التفسير ﴿ إنّما النّسيءُ ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هل وهم في القتال إلى صفر ... والنسيء مصدر نسأه إذا أخره وقوله : ﴿ زيادة في الكفر ﴾لكفرهم بحكم الله فيه حيث يجحدون تحريم القتال في المحرم ويثبتونه في صفر . وفي الشهاب : أنهم لما توارثوه على أنه شريعة ، ثم استحلوه كان ذلك مما يعد كفراً * وبيان ذلك : أن العرب ورثت في ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام تحريم القتال في الأشهر الحرم لتأمين الحج وطرقه ، ولما طال عليهم الأمد غيروا وبدلوا في المناسك ، وفي تحريم الأشهر المحرم . وبه ازدادوا كفرا على كفرهم . وقوله : ﴿ يُضِلُّ ﴾ بالضم والفتح ﴿ بِهِ الّذِينَ كفَرُوا يُحِلُّونَه ﴾ أي النسيء ﴿ عَاماً ويُحرِّمُونَهُ عَاماً لِيُواطِئُوا ﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿ عِدَّةَ ﴾ عدد ﴿ مٰا حَرَّمَ الله ﴾ من الأشهر ، فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى الأربعة الأشهر التي حرمها الله تعالى : ﴿ فَيُحِلُّوا مٰا حَرَّمَ الله زُينَ لَهُمْ سُوءُ أعْمَالِهِمْ ﴾ الشيطان فظنوه حسناً ﴿ والله لاَيَهْدِي القَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي لا يرشد من هو كافر أثيم إلى الصواب لمعاندته له ، ولما سبق له في الأزل أنه من أهل النار * ﴿ كَيْفَ يَهْدِي الله قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ ﴾ ؟ .

القول في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا مٰا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبيلِ الله اثَّاقَلْتُمْ إلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا فِي الْآخرةِ إلَّا قَليلٌ * إلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَليماً ويستبدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ولَاتضُرُّوهُ شيْئاً والله عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ في الواحدي : نزلت في الحث على غزوة تبوك . وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الطائف وغزوة حنين . أمر بالجهاد لغزو الروم ، وذلك في زمن عسرة من البأس ، وجدب من البلاء وشدة من الحر ، حين أخرفت النخيل ، وطابت الثمار ، فعظم على الناس غزو الروم ، وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال ، وشق عليهم الخروج إلى القتال ، فلما علم الله تثاقل الناس أنزل الله هذه الآية * وكذا في الغرائب والجلال والخازن والكشاف وبقية التفاسير : أما التفسير :

«كانت غزوة تبوك في رجب في السنة التاسعة بعد رجوعه ﷺ من الطائف وتبوك — مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة — أمر النبي ﷺ بالخروج إلى الروم وكانوا في عسرة . أي قحط وضيق عيش . وسببها ما بلغ رسول الله ﷺ من أن هرقل جمع أهل الروم ، وأهل الشام . وأنهم قدَّموا مقدماتهم إلى البلقاء ، وكان ﷺ قليلاً ما يخرج في غزوة إلا ورَّى عنها بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك فقد أعلنها ، وذلك لبعد المسافة وشدة الزمان ، وكثرة العدو ليأخذوا الناس أهبتهم ، فأمرهم بالجهاد ، وبعث إلى مكة ، وقبائل العرب ، وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله . وهي آخر غزواته . وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، فجهز عشرة آلاف ، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل ، وهي تسعمائة بعير ومائة فرس ، وغير الزاد . وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية . وأنفق غيره من الأغنياء . وأول من جاء بالنفقة أبو بكر ، فجاء بجميع ماله : أربعة آلاف درهم . وجاء عمر بنصف ماله ، وجاء ابن عوف بمائة أوقية ، وجاء العباس بمال كثير ، وكذا طلحة ، وبعثت النساء بكل ما يقدرون عليه من حليهن ، فلما تجهز رسول الله ﷺ بالناس وهم ثلاثون ألفاً ، وقيل أربعون ألفاً . وقيل سبعون ألفاً ، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس . خلَّف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري . وقيل : عليَّ بن أبي طالب ، وتخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين بعد أن خرجوا إلى ثنية الوداع . متوجهاً إلى تبوك ، وعقد الألوية ، والرايات فدفع لواء الأعظم لأبي بكر . ورايته العظمى للزبير ، وراية الأوس لأسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ، ودفع لكل بطنٍ من الأنصار ، ومن قبائل العرب لواءً وراية ، ولمّا نزل بتبوك ، وجدوا عينها قليلة الماء ، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة من مائها ، فمضمض بها فاه ، ثم بصقه فيها ، ففارت عينها حتى امتلأت ، وارتووا هم وخيلهم ، وركابهم ، وأقاموا بتبوك بضع عشرة ليلة ، وقيل عشرين ليلة فأتاه . بجنة : صاحب أيلة . وأهدى له بغلة بيضاء ، فكساه النبي رداء ، وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم ، وكتب له ولأهل أيلة كتابا تركه عنده ليعملوا به . وقد استشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك . فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها ، فانصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة ، ولما دنا من المدينة تلقاه الذين

تخلفوا ، فقال لأصحابه لا تكلموا رجلاً منهم ، ولا تجالسونهم حتى آذن لكم . فأعرض عنهم والمسلمون حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه إلى آخر ما في قصة تبوك . فقوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا ما لكُمْ إذا قِيلَ لكُمُ انْفِرُوا** ﴾ اخرجوا للقتال : ﴿ **في سبيلِ الله اثّا قَلْتُمْ** ﴾ تباطأتم عن الخروج وأخلدتم ﴿ **إلَى الأَرْضِ** ﴾ أي ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه . أي ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم ﴿ **أرضيتُمْ بالحياةِ الدُّنيا** ﴾ ولذاتها وهو استفهام توبيخ وتعجب ﴿ **مِنَ الآخرة** ﴾ أي بدل نعيمها ﴿ **فَمَا مَتَاعُ الْحَياةِ الدُّنْيَا فِي** ﴾ جنب متاع ﴿ **الْآخِرَةِ إلَّا قَلِيلٌ** ﴾ حقير لأن لذات الدنيا خسيسة في نفسها ومشوبة بالآفات والبليات ، ومنقطعة عن قرب لا محالة ، ومنافع الآخرة شريفة غالية خالصة عن كل الآفات دائمة أبدية سرمدية ، وذلك يوجب القطع بأن متاع الدنيا في جنب متاع الآخرة قليل . وقوله : ﴿ **إلَّا تنْفِرُوا** ﴾ تخرجوا مع النبيّ ﷺ للجهاد ﴿ **يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أليماً** ﴾ مؤلماً يعني في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة . وقيل : إن المراد به احتباس المطر في الدنيا قال جنادة بن نفيع : سألت ابن عباس عن هذه الآية . فقال : استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر . فكان ذلك عذابهم * وقال الحسن وعكرمة : هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ **وما كانَ المؤمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافّة** ﴾ وقال الجمهور : هذه الآية محكمة لأنها خطابٌ لقوم استنفرهم رسول الله ﷺ فلم ينفروا . أي فلا نسخ . ومن إتمام العقوبة ﴿ **ويَسْتَبْدِلْ قَوْماً غيْرَكُمْ** ﴾ أي يذهبكم ويأتي بهم بدلكم فيكونوا أطوع منكم وأشد حماسة لدين الله منكم . قال سعيد بن جبير : هم أهل اليمن . وفيه تنبيه على أن الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه ﷺ ، وإعزاز دينه فإن سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ، ووقع أجرهم على الله عز وجل ، وإن تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم ، ولئلا يتوهموا أن اعزاز رسول الله ﷺ ونصرته لا تحصل إلا بهم . وهو قوله : ﴿ **ولَا تضرُّوهُ شيئاً** ﴾ أي بترك نصره ، فإن الله ناصر دينه ﴿ **والله عَلَى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ** ﴾ ومنه نصر دينه ونبيه ولو من غير واسطة *

القول فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وَجَاهِدُوا بأمْوالِكُمْ**

وأنفسِكُمْ في سَبيلِ الله ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ نزلت في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل عن الجهاد .. فأبى الله تعالى أن يعذرهم دون أن ينفروا على ما كان منهم . قال أنس : قرأ أبو طلحة ــ انفروا خفافاً وثقالاً ــ فقال : ما أسمع الله عذر أحد فخرج إلى الشام حتى مات . وفي الواحدي : قال السدى : جاء المقداد بن الأسود إلى رسول الله ﷺ . وكان عظيماً سميناً ، فشكا إليه وسأله أن يأذن له ، فنزلت فيه : ﴿ **انفروا خِفَافاً وثقالاً** ﴾ فلما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على النّاس فنسخها الله تعالى ، وأنزل : ﴿ **ليْسَ على الضُّعَفَاءِ ولَا على المرْضى .. حرجٌ** ﴾ الآية ثم أنزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضاً قريباً ..** ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ **لَوْ خرجُوا فيكُمْ ما زادُوكُمْ إلَّا خَبالاً ...** ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج ضرب عسكره على ثنيته الوداع ، وضرب عبد الله بن أبي عسكره على ذي حده : أسفل من ثنيه الوداع ، ولم يكن بأقل من العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي بمن تخلف من المنافقين وأهل الريب ، فأنزل الله يعزى نبيه : ﴿ **لوْ خَرجُوا فيكُمْ ما زادُوكُمْ إلَّا خبالاً ..** ﴾ الآية * وفي مجمع الزوائد : عن ابن راشد قال : رأيت المقداد : فارس رسول الله ﷺ جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص ، قد فصل عليها من عظيمه يريد الغزو ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ، قال : أتت علينا سورة البعوث ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً** ﴾ رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وفيه ضعف ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات * الخفاف واحدهما خفيف . والثقال واحدها ثقيل . وهما يكونان في الأجسام وصفاتها من صحة ومرض . ونحافة وسمن ونشاط وكسل ، وشباب وكبر ، ويكونان في الأسباب والأحوال كالقلة والكثرة في المال ، ووجود الراحلة وعدم وجودها . ووجوه الشواغل أو انتقالها . أي انفروا على كل حال من يسر أو عسر ، وصحة أو مرض ، وغني أو فقر ، وقلة العيال أو كثرتهم ... فإذا أعلن النفير العام وجب على كل قادر على حمل السلاح أن يدفع عن دينه ووطنه وعرضه وماله .. على العموم أي على الصفة التي يخف عليكم الجهاد فيها ، وعلى الصفة التي يثقل عليكم الجهاد فيها . ومن العلماء من حمل الأمر على الوجوب . ومنهم من حمله على الندب ، ومنهم من قال الآية منسوخة بقوله : ﴿ **ليْسَ علَى الضُّعَفاء ولا**

على المرضى ... ﴾ الآية . والأصح أنه للوجوب أي إذا دخل الأعداء ديار الإسلام وجب على كل قادر على حمل السلاح أن يخرج . فعن مجاهد رضي الله عنه قال : إنّ أبا أيوب الأنصاري شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده ، فقيل له في ذلك : فقال : سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ **انْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً** ﴾ ولا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً * وقال الزهري : خرج ابن المسيب ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له : إنك عليل صاحب ضر ، فقال : استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد ، وحفظت المتاع * وقال صفوان بن عمرو : كنت والياً على حمص ، فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت له ياعم : أنت معذور عند الله . فرفع حاجبيه ، وقال يا ابن أخي : استنفرنا الله خفافا وثقالا . إلا أنه من يحبه يبتليه * ولا يستبعد أن تكون الآية منسوخة في حكم ما إذا لم يدخل الأعداء ديار الإسلام فحينئذ يكون الأمر فرض كفاية . وبه يوفق بين الأقوال التي سمعتها . وقوله تعالى : ﴿ **وجَاهِدُوا بأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سبيلِ الله** ﴾ قال الخازن : فيه قولان : الأول أن الجهاد إنما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد . ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد . والقول الثاني : أن من كان له مال وهو مريض . أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للحرب . فعليه الجهاد بماله بأن يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد ، فيغزو بماله ، فيكون مجاهداً بماله دون نفسه * أي إيجاب الجهاد بهما معاً إن أمكن وهو الأفضل وأعلى درجة . أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة ، وقد فعل الأول كثير من الصحابة الكرام كأبي بكر الصديق وعثمان وعمر وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين . وقوله : ﴿ **ذَلِكُمْ** ﴾ أي ذلكم الجهاد بالمال والنفس ﴿ **خيْرٌ لكُمْ** ﴾ من القعود والتثاقل به تدفعون عن دينكم وأموالكم وأنفسكم ﴿ **إنْ كنتُمْ تعْلَمُونَ** ﴾ ذلك ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ **وأَنفِقُوا في سبيلِ الله ولَا تُلْقُوا بأَيْدِيكُمْ إلى التهلكَةِ** ﴾ أي يهلككم العدو إذا لم تخرجوا إليه وكم من أمّة كان عددها كثير فتقاعست عن الخروج . فاستولى عليها أعداؤها ذَوُوا العدد القليل *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **عَفَا الله عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهَمْ حَتَّى يَتَبيَّنَ**

لَكَ الّذِينَ صَدَّقُوا وتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن عمرو بن ميمون الأزدى قال : اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء : إذنه للمنافقين ، وأخذه الفداء من الأسارى . فأنزل الله ﴿ **عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ** .. ﴾ وكذا في الكشاف والخازن والغرائب والطبري وغيرها : أما التفسير : ﴿ **عَفَا اللهُ عَنْكَ** ﴾ الخطاب للرسول ﷺ ، والعفو يستدعى سابقة ذنب . وقوله : ﴿ **لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ** ﴾ استفهام إنكار وبيان لما كنى عنه بالعفو . وذلك عتاب على طريق الملاطفة . والذي عليه المحققون أنه جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير ، فيقدمون أمثال ذلك بين يدى الكلام يقولون : عفا الله عنك ما صنعت في أمري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي ، وعافاك الله ألا عرفت حقي ، وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله : لِمَ أذنتَ لهم وارد على سبيل الذم والإنكار . بل يحمل على ترك الأكمل ، والأولى ، لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس مايتعلق بالحروب ومصالح الدنيا ، قال كثير من العلماء : في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لأنه ﷺ أذن لهم من تلقاء نفسه من غير أن يكون لله في ذلك إذن * وتقديم العفو إشارة إلى أن من عظمة نبينا محمد ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى : أن قدم العفو على العتاب على ما كان الأولى أن لا يفعله مما هو متعلق بالمصالح الدينوية من باب التدبير في الحروب مع تلطف في الخطاب كما هو دأب الحبيب مع حبيبه مطمئنا لقلبه * وقوله تعالى : ﴿ **حَتَّى يتبيَّنَ لَكَ الّذِينَ صَدَقُوا** ﴾ في العذر . قال ابن عباس : لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت سورة براءة * ﴿ **وتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ** ﴾ فيه وعبارة الطبري في تفسير الآية : هذا عتاب من الله عز وجل . عاتب الله به نبيه محمداً ﷺ . أي في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص إلى تبوك لغزو الروم ، والمعنى : عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوا في ترك الخروج معك إلى تبوك *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالْكَافِرِينَ** ﴾ في الواحدي : نزلت في جد بن قيس المنافق وذلك أن رسول الله ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال له : ياأبا لهب : هل لك في

جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراری ووصفاء ؟ فقال يارسول الله : لقد عرف قومي أني مغرم بالنساء وإني أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر عنهن فلا تفتني بهن ، وائْذَنْ لي في القعود عنك ، وأعينك بمالي ، فأعرض عنه النبي ﷺ . وقال : قد أذنت لك . فأنزل الله تعالى هذه الآية . فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة . وكان الجد منهم . من سيدكم يابني سلمة ؟ قالوا : الجد بن قيس غير أنه بخيل جبان ، فقال النبي ﷺ : « وأي داء أدوأ من البخل !! بل سيدكم الأبيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن معرور » * وكذا روى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وهو في مجمع الزوائد عن ابن عباس . وعبارته أنّ النبي ﷺ قال : اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر ، فقال رجل من المنافقين إنه ليفتنكم بالنساء فأنزل الله عز وجل ﴿ **ومنهُمْ مَنْ يقُولُ ائذنْ لِي ولاتفتني** ﴾ رواه الطبراني ، وفيه أبو شيبة ابراهيم بن عثمان وهو ضعيف * وكذا في الكشاف والخازن . وفي آخر القصة قال ابن عباس : اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق فأعرض عنه رسول الله ﷺ . وقال : قد أذنت . فأنزل الله عز وجل فيه . ﴿ **وَمِنهُمْ مَنْ يقُولُ ...** ﴾ وكذا في بقية التفاسير أما التفسير : ﴿ **وَمِنْهُمْ** ﴾ أي من المنافقين ﴿ **مَنْ يقُولُ** ﴾ للنبي ﷺ حين خرج إلى تبوك ﴿ **ائْذَنْ لِي** ﴾ في التخلف ﴿ **ولا تفتّني** ﴾ وهو الجد بن قيس .. أي لا توقعني في الفتنة والمعصية والاثم ردّ الله عليه ﴿ **ألَا فِي الْفِتْنِةِ سَقَطُوا** ﴾ بالتخلف عن الخروج . ومخالفة الله ورسوله ﴿ **وإنّ جَهَنَّمَ** ﴾ على مافعلوا ﴿ **لمحيطةٌ بالْكَافِرِينَ** ﴾ تحيط بهم وتجمعهم فيها *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وإنْ تُصِبْكَ مُصِيبةٌ يقُولُوا قَدْ أخذْنَا أمْرنا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال : جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء ، يقولون : إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا ، فبلغهم تكذيب حديثهم ، وعافية النبي ﷺ وأصحابه . فساءهم ذلك . فأنزل الله : ﴿ **إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تسُؤهُمْ ...** ﴾ الآية وكذا رواه المراغي ، والطبري . أما التفسير : ﴿ **إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ** ﴾ في بعض مغازيك كنصر وغنيمة ﴿ **تَسُؤْهُمْ** ﴾ أي تحزنهم

﴿ وإنْ تُصِبْكَ مُصيبةٌ ﴾ شدة من هزيمة ونحوها ﴿ يقُولُون قَدْ أَخذْنَا أمْرَنَا ﴾ بالحزم حين تخلفنا . قالوا ذلك متعجبين بما صنعوا حامدين لرأيهم . قد أخذنا أمرنا أي تلافينا وأدركنا أمرنا أي ماأهمنا من الأمور يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب . والمدارة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولاً وفعلاً * وقوله ﴿ مِنْ قبْلُ ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿ ويَتوَلَّوْا وهُمْ فَرِحُونَ ﴾ بما أصابك ، وسلامتهم منهم أمر الله نبيه أن يقول لهم : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبنَا إلَّا ما كَتَبَ الله لَنَا هُوَ مَوْلَانا وعلَى الله فَلْيتوَكّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ أنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقبَّلَ مِنكُمْ إنْكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : قال الجد بن قيس : إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن . ولكن أعينك بمالي . قال : فقيه نزلت : ﴿ أنفِقُوا طوْعاً أوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ .. ﴾ * وكذا في الكشاف والخازن والخطيب والطبري قال الخطيب : وهذه الآية وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمعة فإنه لا يقبل منه . أما التفسير : ﴿ قُلْ أنفِقُوا ﴾ في طاعة الله ﴿ طَوْعاً ﴾ من غير إلزام من جهته عليه الصلاة والسلام ﴿ أوْ كَرْهاً ﴾ أي إلزاماً من جهته . وليس المراد بالطوع الرغبة لما سيأتي من قوله : ﴿ إلَّا وهُمْ كارهُونَ ﴾ أي لا رغبة لهم ﴿ لَنْ يُتقبَّلَ مِنْكُمْ ﴾ ماأنفقتموه لأن هذا الانفاق إنما وقع لغير الله ﴿ إنَكُمْ كُنْتُمْ فَاسِقِين ﴾ خارجين عن طاعة الله ورسوله . والأمر في قوله أنفقوا بمعنى الخبر ، فالمعنى نفقتكم غير مقبولة سواء كانت طوعاً أو كرها * وقد علل الله تعالى عدم قبولها بقوله : ﴿ وما مَنَعَهُمْ أنْ تُقبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتهُمْ إلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بالله ورسُولِهِ ولا يأتُونَ الصَّلاَةَ إلَّا وهُمْ كُسَالَى ولَا ينفقُونَ إلَّا وهُمْ كَارِهُونَ ﴾ * النفقة لأنهم يعدونها مغرماً لا يرجون عليها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً ★

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُك فِي الصَّدَقَاتِ فإن أعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وإنْ لَمْ يُعطَوْ منها إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ في الواحدي : قال أبو سعيد الخدري : بينا رسول الله ﷺ يقسم قسما إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي ، وهو

حرقص بن زهير : أصل الخوارج . فقال : أعدل فينا يارسول الله . فقال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ؟! فنزلت : ﴿ **ومنهم من يلمزك في الصدقات** ﴾ رواه البخاري عن عبيد بن محمد عن هشام عن معمر * وقال الكلبي : نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون . قال رجل يقال له أبو الخويصرة للنبي ﷺ : لم تقسم بالسوية . فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومنهُمْ مَنْ يلمزك في الصدقات** ﴾ وكذا في الكشاف . وفي الطبري . عن داود بن أبي عاصم قال : أتي النبي ﷺ بصدقة فقسمها هاهنا وهاهنا حتى ذهبت ، ورأى ذلك رجل من الأنصار . فقال : ماهذا بالعدل . فنزلت هذه الآية . ومجموع الروايات يدل على أنّ أشخاصا من منافقي المدينة . قالوا ذلك لحرمانهم العطية ، ولم يقله أحد من المهاجرين ، ولا من الأنصار الأولين الذين بايعوا النبي ﷺ في منى . أما التفسير : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ في الصَّدقاتِ** ﴾ اللمز : العيب والطعن في الوجه ، والهمز : الطعن في الغيبة . أي ومن المنافقين من يعيبك ويطعن عليك في قسمة الصدقات ، وهي أموال الزكاة المفروضة . إذ يزعمون أنك تحابى فيها ، وتؤتى من تشاء من الأقارب وأهل المودة ، ولاتراعى العدل في ذلك ، ثم بين تعالى أسباب لمزهم ﴿ **فإنْ أعْطُوا مِنْهَا رَضُوا** ﴾ ولم يلمزوا ﴿ **وإنْ لَمْ يُعطَوْا منها إذَا هُمْ يسْخَطُونَ** ﴾ أي وإن لم يعطوا من الزكاة ، وهم ليسوا من أهلها فاجئوك بالسخط ، والهمز واللمز . فهم لا هم همَّ إلا المنفعة الدنيوية ، ونيل حطام الدنيا *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ الّذِينَ يُؤْذُونَ النبيَّ ويَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خيْرٍ لَكُمْ يُؤمِنُ بالله ويُؤْمِنُ للمؤْمنِينَ ورَحْمَةٌ لِلّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والّذِين يُؤْذون رسُولَ الله لَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ** ﴾ في الواحدي : نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ . ويقولون : مالا ينبغي ، قال بعضهم : لاتفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ماتقولون فيقع بنا ، فقال الجلاس بن سويد : نقول ماشئنا ، ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول . فإنما محمد أذنٌ سامعة . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال محمد بن اسحاق بن يسار وغيره : نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث ، وكان رجلاً أذلم أحمر العينين ، أسفح الخدين مشوه الخلقة ، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ : من أراد أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث ، وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى

المنافقين ، فقيل له : لا تفعل . فقال : إنما محمد أذنٌ من حدثه شيئاً صدقه . نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال السدى : اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت ، فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ . وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس . فحقروه . فتكلموا وقالوا : لئن كان محمد حقا لنحن أشر من الحمير ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره . فدعاهم فسألهم ، فحلفوا أن عامراً كاذباً وحلف عامر أنهم كذبة . وقال : اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب . فنزلت فيهم ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يؤذُونَ النبيَّ** .. ﴾ ونزل قوله : ﴿ **يَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ لِيُرضُوكُمْ** ... ﴾ وكذا في الخازن والطبري . أما التفسير : ﴿ **وَمِنهُمْ** ﴾ أي المنافقين ﴿ **الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبيَّ** ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿ **ويقُولُونَ** ﴾ إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿ **هُوَ أُذُنٌ** ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله ، فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ، وفي البيضاوي : وسمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة الاستماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك . ﴿ **قُلْ** ﴾ **هُوَ** ﴿ **أُذُنٌ** ﴾ مستمع ﴿ **خيرٍ لَكُمْ** ﴾ كأنَّه قيل سلمنا أنه أذن . أي مستمع . أي كثير الاستماع لكنه يسمع الخير فقط ، لا الخير والشر كما تقولون ﴿ **يُؤْمِنُ باللهِ** ﴾ تفسير لكونه أذن خير لهم ﴿ **ويُؤْمِنُ** ﴾ يصدق ﴿ **لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أي يسلم ويرضى لهم فيما أخبروه به لا لغيرهم ﴿ **ورحمةٌ** ﴾ بالرفع عطفاً على خيرٍ ﴿ **لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ** ﴾ أي للذين أظهروا الإيمان منكم يقبله منهم لكن لا تصديقاً لهم في ذلك بل رفقاً بهم وترحماً عليهم ، ولا يكشف أسرارهم ، ولا يهتك أستارهم . ﴿ **والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ** ﴾ مؤلم في الآخرة . وقوله : ﴿ **يَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ** ﴾ في الخازن : وقال مقاتل والكلبي : نزلت في رهط من المنافقين خلفوا عن غزوة تبوك ، فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون ، ويحلفون ، فأنزل الله هذه الآية * والمعنى : يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله ﷺ . وقوله : ﴿ **واللهُ ورسُولُهُ أحَقُّ أنْ يُرْضُوهُ إنْ كانُوا مؤمِنِينَ** ﴾ أي إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاء * ووحد الضمير في قوله ﴿ **يُرْضُوهُ** ﴾ لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله . فكانا في حكم شيء

واحد . أو والله أحق أن يضروه ورسوله كذلك *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُل استهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّاتَحْذَرونَ** ﴾ في الواحدي : قال السدى : قال بعض المنافقين . والله لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة ، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا ، فأنزل الله هذه الآية * وقال مجاهد : كانوا يقولون القول بينهم . ثم يقولون عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا * وفي الخازن : قال ابن كسيان : نزلت هذه الآية في اثنى عشر رجلاً من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به ، إذا علاها ، وتنكروا له في ليلة مظلمة ، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما أضمروا له ، وأمره من يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم . وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله ﷺ ، وحذيفة يسوقها ، فقال لحذيفة : اضرب وجوه رواحلهم . فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق ، فلما نزل قال لحذيفة : من عرفت من القوم ؟ قال : لم أعرف منهم أحداً يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ : فإنهم فلان وفلان حتى عدَّهم كلهم . فقال حذيفة : هلا بعثت إليهم من يقتلهم ؟ فقال : أكره أن تقول العرب : لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم . بل يكفينا هم الله بالدبيلة * وقد أوضح رسول الله ﷺ الدبيلة في حديث مسلم عن قيس بن عبادة . قال : قلت لعمار : أرأيت قتالكم ، أرأياً رأيتموه ؟ فإن الرأى يخطىء ويصيب ، أم عهداً عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ماعهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً يعهده إلى الناس كافة وقال : إن رسول الله ﷺ قال : إن في أمتي قال شعبة : وأحسبه قد حدثني حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : إن في أمتي اثنى عشر منافقاً لا يدخلون الجنة . ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة : جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم * أما التفسير : ﴿ **يَحْذَرُ المنافقونَ** ﴾ أي يخشى المنافقون . وقيل معنى يحذر : الأمر بالحذر : أي ليحذر المنافقون . ﴿ **أَنْ تُنَزَّل عَلَيْهِمْ سُورَةٌ** ﴾ أي على المؤمنين ﴿ **تنبّئُهُمْ** ﴾ أي تخبر المؤمنين ﴿ **بِمَا فِي قُلوبِهِمْ** ﴾ أي بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين . وذلك أن المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ، ويسترونه ويخافون الفضيحة ، ونزول القرآن

في شأنهم . قال قتادة : وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة المبعثرة . يعني أنها فضحت المنافقين . وبعثرت عن أخبارهم وأثارتها ، وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم . وقال ابن عباس : أنزل الله ذكر سبعين رجلاً من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمةً منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضاً لأن أولادهم كانوا مؤمنين * ﴿ **قُلِ استهزؤا** ﴾ أمر تهديد لقوله تعالى : اعملوا ما شئتم ﴿ **إنَّ الله مخرِجٌ** ﴾ مظهر ﴿ **ما تَحْذَرُونَ** ﴾ أي ما كنتم تحذرونه من إظهار نفاقكم . في الكشاف : بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه . فقالوا : انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه ! هيهات هيهات . فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك . فقال : أحسبوا علي الركب . فأتاهم فقال : قلتم كذا وكذا . فقالوا : يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ، ولا من أمر أصحابك . ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر * وما أورده الكشاف هنا هو سبب لنزول الآية التالية .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيقُولُنَّ إنَّما كُنَّا نَخُوض ونَلْعَبُ قُلْ أبالله وآياتِهِ ورسُولِهِ كنُتُمْ تَسْتَهْزِئُون** ﴾ في الواحدي : قال قتادة : بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا : يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ، ههيات له ذلك . فأطلع الله نبيه على ذلك ، فقال نبى الله : احسبوا على الركب فأتاهم فقال : قلتم كذا وكذا . فقالوا يا رسول الله : إنا كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وفي لباب السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً . ولا أكذب ألسنة ، ولا أجبن عند اللقاء منهم ، فقال له رجل : وهو عوف بن مالك كما في الواحدي ــ ولكنك منافق . لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن ، قال ابن عمر : فأريته متعلقاً . بحقب رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه ، وهو يقول يا رسول الله : إنما كنا نخوض ونلعب : ورسول الله ﷺ يقول : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون * ثم أخرج من وجه آخر عن ابن عمر نحوه ، وسمى الرجل . عبد الله بن أبي . ففي الخازن : قال محمد بن اسحاق : الذي قال

هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت : أخو أمية بن زيد بن عمر بن عوف . وذكر الخازن القولين المتقدمين ، وفيه وقال الكلبي ومقاتل : كان رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك ، وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين : اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول . والثالث يضحك . قيل : كانوا يقولون : إن محمداً يزعم أنه أنزل في أصحابنا قرآن ، إنما هو قوله وكلامه . فأطلع الله بنية ﷺ على ذلك . فقال : أحبسوا على الركب . فدعاهم ، وقال لهم . قلتم كذا وكذا ، فقالوا : إنما كنا نخوض ونلعب . أما التفسير : ﴿ **وَلَئِنَ** ﴾ لام قسم ﴿ **سَأَلْتَهُمْ** ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ... ﴿ **ليقولُنَّ** ﴾ معتذرين لك ﴿ **إنَّما كُنَّا نخوضُ وَنَلْعَبُ** ﴾ في التحدث ولم نقصد الاستهزاء بك ﴿ **قُلْ** ﴾ لهم ﴿ **أبالله** ﴾ أي بفرائض الله وحدوده وأحكامه ﴿ **وآياته** ﴾ كتابه ﴿ **ورسُولِهِ** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **كنْتُم تَسْتَهْزِؤنَ** ﴾ . قال الخازن : يحتمل أن المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام . قال بعض المسلمين : الله يعينه على ذلك . فذكر بعض المنافقين كلاماً يشعر بالقدح في قدرة الله . وإنما ذكر ذلك على طريق الاستهزاء * أي لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه ، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم . وبأنه موجود منهم حتى وبخوا .

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يَحْلفُونَ بالله ما قالُوا ولَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِم وهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وما نَقَمُوا إلَّا أنْ أغْنَاهُمُ الله ورسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وإنْ يتولَّوْا يُعَذِّبْهُمُ الله عَذاباً أليماً فِي الدُّنيا والآخِرَةِ وما لَهُمْ فِي الأرْضِ مِنْ وَلِيٍّ ولَا نصيرٍ** ﴾ في الواحدى : قال الضحاك : خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك . وكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين . فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ يا أهل النفاق : ما هذا الذي بلغني عنكم ، فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال قتادة : ذكر لنا أن رجلين اقتتلا : رجلا من جهينة ، ورجلا من غفار . فظهر الغفاري على الجهني ، فنادى عبد الله بن أبي : يا بني الأوس انصروا أخاكم . فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما القائل : سمن كلبك يأكلك ، فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فسمع بها رجل من المسلمين ، فجاء إلى رسول الله ﷺ

فأخبره ، فأرسل إليه ، فجعل يحلف بالله ما قال : وأنزل الله تعالى هذه الآية * وروى ابن جرير والطبراني وأبو الشيخ . وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة ، فقال : إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان . فإذا جاء فلا تكلموا . فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق ، فدعاه رسول الله . فقال له : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه . فحلفوا بالله ما قالوا ، فتجاوز عنهم ، فأنزل الله : يحلفون بالله ما قالوا ...» الآية * أما همهم بما لم ينالوا . فهو اغتيال رسول الله ﷺ في العقبة منصرفه من تبوك ــ ذاك أنه لما رجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك إلى المدينة حتى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله ﷺ ناس من المنافقين . فتآمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق ، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فلما غشيهم رسول الله ﷺ أخبر خبرهم . فقال : من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادي فإنه أوسع لكم . وأخذ رسول الله ﷺ العقبة ، وأخذ الناس ببطن الوادي إلا النفر الذين هموا بالمكر لرسول الله ﷺ ، فإنهم لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا ، وقد هموا بأمر عظيم ، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه ، وأمر عمارا أن يأخذ زمام الناقة . وأمر حذيفة أن يسوقها . فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه ، فغضب رسول الله ﷺ ، وأمر حذيفة أن يردهم ، وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ فرجع ومعه محجن ، واستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضربا بالمحجن ، وأبصر القوم وهم متلثمون ولا شعر إلا أن ذلك فعل المسافر ، فأرعبهم الله سبحانه حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه . فأسرعوا حتى خالطوا الناس . وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ ، فلما أدركه قال : «اضرب الراحلة ياحذيفة وامش أنت ياعمر وراءها» فأسرعوا حتى استووا بأعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس . فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : «هل عرفت من هؤلاء الركب أحداً» ؟ قال حذيفة : عرفت راحلة فلان وفلان . وقال : كانت ظلمة الليل وغشيتهم وهم متلثمون ، فقال رسول الله ﷺ : «هل علمتم ماكان شأن الركب وماأرادوا» ؟ قالوا : لا والله يارسول الله ، قال : «فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا طلعت في العقبة طرحوني منها» قالوا : أولا تأمر بهم يارسول الله

إذاً فنضرب أعناقهم ؟ قال : «أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمداً قد وضع يده في أصحابه» فسماهم لهما . وقال : «اكتماهم» * (المراغي) وفي الخازن : قال عروة بن الزبير : نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء ، فقال الجلاس إن كان ماجاء به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليها ، فقال مصعب : أما والله ياعدو الله لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت ، وخفت أن ينزل في القرآن ، أو أن تصيبني قارعة . أو أن أخلط بخطيئة ، فأتيت النبي ﷺ ، فقلت يارسول الله : أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال : كذا وكذا ، ولولا مخافةأن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ماأخبرتك ، قال : فدعا الجلاس ، فقال : ياجلاس ، أقلت ماقال مصعب ؟ فحلف ماقال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا** ... ﴾ الآية : وكذا في الطبري * وذكر البغوى عن الكلبي قال : نزلت في الجلاس بن سويد ، وذلك أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك، فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم ، فقال الجلاس : لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير . فلما انصرفوا إلى المدينة أتاه عامر بن قيس ، فأخبره بما قال الجلاس ، فقال الجلاس : كذب يارسول الله عليّ . فأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر ، فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر ، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ماقاله . ولقد كذب عليّ عامر ، ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وماكذبت عليه ، ثم رفع عامر يده إلى السماء . فقال : اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا . فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين ، فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيراً لهم . فقام الجلاس . فقال يارسول الله : اسمع الله قد عرض عليّ التوبة . صدق عامر بن قيس فيما قاله . لقد قلته وأنا استغفر الله ، وأتوب إليه ، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه ، فتاب وحسنت توبته ، فذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَحْلِفُونَ بالله مَا قالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كلمة الكُفرِ وكَفَرُوا بعْدَ إسلامهم** .. ﴾ يعني أظهروا كلمة الكفر بعد إسلامهم ، وتلك الكلمة هي سب النبيّ ﷺ . فقيل : هي كلمة الجلاس بن سويد : لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير . وقيل : هي كلمة عبد الله بن أبي سلول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. » أما التفسير : ﴿ **يَحْلِفُونَ** ﴾ أي المنافقون ﴿ **بالله ما قَالُوا** ﴾ ما بلغك

عنهم من السب ، ويحلفون وما بعده استئناف سيق لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة للأمر بجهادهم والغلظة عليهم ، ﴿ **ولَقَدْ قَالُوا كلمةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ** ﴾ أظهروا كلام الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿ **وهَمُّوا بمَا لَمْ ينالُوا** ﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك ... ﴿ **وما نقَمُوا** ﴾ أنكروا ﴿ **إلَّا أنْ أغْنَاهُمُ الله ورسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ أي وما أنكر هؤلاء المنافقون من أمر الإسلام وبعثة الرسول ﷺ فيهم شيئاً يقتضي الكراهة والهم بالانتقام ـــ إلَّا إغناء الله تعالى إياهم ورسوله من فضله بالغنائم التي هي عندهم أحب الأشياء لديهم في هذه الحياة وكانوا كسائر الأنصار فقراء فأغناهم الله ببعثه الرسول ونصره ، ومن ثم قال رسول الله ﷺ للأنصار « كنتم عالة فأغناكم الله بي » والمعنى أن المنافقين عملوا بضد الواجب ، فجعلوا موضع شكر النبي ﷺ أن نقموا عليه ، وقيل : إنهم بطروا النعمة فنقموا أشراً وبطراً . قال الكلبي : كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضنك من العيش . فلما قدم النبي ﷺ استغنموا بالغنائم * وقال عكرمة : إن مولى لبنى عدى قتل رجلاً من الأنصار ، فقضى له النبي ﷺ بالدية اثنى عشر ألفاً . وفيه نزلت : وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله .. فعلى هذا القول يكون الكلام عاماً . وقوله : ﴿ **فإنْ يَتُوبُوا يَكُ خيراً لَهُمْ** ﴾ أي فإن يتوبوا من كفرهم . ونفاقهم بك ذلك خيراً لهم في العاجل والآجل ﴿ **وإن يتولَّوا** ﴾ عن الإيمان والتوبة ﴿ **يعذبْهُمُ الله عذاباً أليماً في الدُّنيا** ﴾ بالخزى والإذلال ﴿ **والآخرة** ﴾ في النار ﴿ **وما لَهُمْ فِي الأرْضِ مِنْ وَليٍّ ولَا نصِيرٍ** ﴾ أي ومالهم في الأرض كلها من يتولى أمورهم . ولا من ينصرهم ويدافع عنهم . إذ من خذله الله فلا يجدر أحد أن يجيره *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فضلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتَوَلَّوْا وهُمْ مُعرِضُونَ * فأعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إلَى يوْمِ يَلْقَوْنَهُ بمَا أخْلَفُوا الله ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يكْذِبُونَ * ألَمْ يَعْلَمُوا أنَّ الله يَعْلَمُ سِرهُمْ ونجْوَاهُمْ وأنَّ الله علامُ الْغُيُوبِ** ﴾ أخرج ابن جرير وابن مردويه والبهقي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله ..** ﴾ الآية . أنَّ رجلاً من الأنصار يقال له ثعلبة أتى مجلساً فأشهدهم قال : لئن آتاني

الله من فضله آتيت كل ذي حق حقه ، وتصدقت ، وجعلت منه للقرابة ، فابتلاه الله فآتاه من فضله ، فأخلف ماوعده فأغضب الله بما أخلفه ماوعده ، فقص الله شأنه في القرآن * وفي اللباب : أخرج الطبراني وابن مردويه ، وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف . عن أبي أمامة ، أن ثعلبة بن حاطب ، قال يارسول الله : ادع الله أن يرزقني مالاً . قال : ويحك ياثعلبة ، قليل تؤدي شكره خير من كثير لاتطيقه ، قال : والله لئن آتاني الله مالاً لأوتين كل ذي حق حقه ، فدعا له فاتخذ غنماً فنمت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة ، فتنحى بها ، وكان يشهد الصلاة ، ثم يخرج إليها ، ثم نمت حتى تعززت عليه مراعي المدينة ، فتنحى بها ، فكان يشهد الجمعة ، ثم يخرج إليها ثم نمت فتنحى بها ، فترك الجمعة والجماعات ، ثم أنزل على رسوله : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تطهّرهم وتزكيهم بها** ﴾ فاستعمل على الصدقات رجلين . وكتب لهما كتاباً ، فأتيا ثعلبة ، فأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال : انطلقا إلى الناس فإذا فرغتم فمروا بي ، ففعلا ، فقال : ماهذه إلا أخت الجزية ، فانطلقا ، فأنزل الله : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ الله لئن آتانا مِنْ فضْلِهِ** .. ﴾ إلى قوله : ﴿ **يكذبُون** ﴾ وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفى عن ابن عباس نحوه . وكذا رواه صاحب الكشاف . وفي آخره : وقال : ارجعا حتى أرى رأيي ، فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه : ياويح ثعلبة مرتين ، فنزلت ، فجاء ثعلبة بالصدقة فقال : إن الله منعني أن أقبل منك ، فجعل التراب على رأسه ، فقال : هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله ﷺ . فجاء بها إلى أبو بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ، وجاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها ، وهلك في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه * وكذا رواه الجلال والخازن . قال الخازن : وهذا أحد قولين في سبب نزولها . والآخر أنه حاطب بن بلتعة . قال السائب : إن حاطب بن بلتعة كان له مال بالشام . فأبطأ عليه . فجهد لذلك جهداً شديداً . فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله . يعني ذلك المال لأصدقن منه . ولأصلن قرابتي . فلما آتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه . فأنزل الله هذه الآية وكذا بقية الأقوال في التفاسير مع بعض زيادة أو نقص في الألفاظ والمعنى واحد . أما التفسير ﴿ **ومِنْهُمْ** ﴾ أي المنافقين ، وإن كان ثعلبة صحيح الإسلام في ابتداء أمره .

لكنه صار منافقاً في آخر أمره ، فصح كونه من المنافقين . وفي الشهاب قيل : كان ثعلبة قبل ذلك ملازماً لمسجد رسول الله ﷺ حتى لقب بحمامة المسجد ، ثم رآه النبي ﷺ يسرع الخروج من المسجد عقب الصلاة ، فقال له رسول الله ﷺ : مالك تفعل فعل المنافقين فقال : إني افتقرت ولى ولامرأتي ثوب أجيء به للصلاة * ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلى به ، فادع الله أنْ يوسع في رزقي إلى آخر ما في القصة ... » ﴿ **من عَاهَدَ الله** ﴾ فيه معنى القسم ﴿ **لَئِنْ آتَانا مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ تفسير لقوله عاهد . أي من الرزق ﴿ **لَنَصَدَّقَنَّ** ﴾ جواب القسم . أن لنعطي كل ذي حق حقه . وفي الكرخي : ﴿ **ومنهم منْ عاهد الله** ﴾ فيه معنى القسم ، فلذلك أجيب بقوله : لنصدقن ، وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه ، واللام للتوطئة ، ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة للقسم * ﴿ **وَلَنَكونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ أي ولنعملنّ في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح بأموالهم من صلة الأرحام والانفاق في سبيل الله ، وجميع وجوه البر ، والخير . وإخراج الزكاة ، وإيصالها إلى أهلها . والصلاح ضد الفساد . والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع . وقيل : إن المراد بقوله لنصدقن إخراج الزكاة الواجبة ، وقوله : ولنكونن من الصالحين . إشارة إلى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (الخازن) وقوله : ﴿ **فلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتوَلَّوْا** ﴾ عما عاهدوا الله عليه حال كونهم ﴿ **وهُمْ معرِضُون** ﴾ عن العهد ﴿ **فأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً** ﴾ أي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً وسوء اعتقاد ﴿ **في قلوبهم إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ** ﴾ أي الله وهو يوم القيامة . أي إنه تعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه . ﴿ **بِمَا أَخْلَفُوا الله** ﴾ أي بسبب إخلافهم الله الوعد الذي قطعوه على أنفسهم ﴿ **ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يكْذِبُون** ﴾ فيه ، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته ، فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يحثو على رأسه التراب . فقال له رسول الله ﷺ : هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني . فلما أبي رسول الله ﷺ أن يقبض صدقته رجع إلى منزله ، فقبض رسول الله ﷺ ، ولم يقبل منه شيئاً . ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الأنصار ، فأقبل صدقتي . فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول الله ﷺ

وأبى أن يقبلها ، فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولى عمر رضي الله عنه أتاه ، فقال يا أمير المؤمنين : اقبل صدقتي ، فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر . وأنا أقبلها منك ! فقبض ولم يقبلها فلما ولى عثمان رضي الله عنه أتاه فقال : اقبل صدقتي ، فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر . وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه ، فهلك ثعلبة في خلافة عثمان (ابن كثير) . وقوله : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا** ﴾ أي المنافقون مطلقاً لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله إذ الآيات الواردة في خصوص المعاهدين قد انقضت بقوله يكذبون . فهذا رجوع لما سبق في قوله : المنافقون والمنافقات ..» ﴿ **أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ** ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿ **وَنَجْوَاهُمْ** ﴾ ما تناجوا به بينهم أي ما تحدثوا به من الفتك بالنبي ومنع الزكاة .. ﴿ **وأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ ما غاب عن العيان *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الّذِينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَاقَاتِ والّذِينَ لَا يجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهَمْ عَذَابٌ أليمٌ** ﴾ في الواحدي : قال ابن مسعود : لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغنى عن صاع هذا ، فنزلت : ﴿ **الّذِينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعينَ من المؤمنين في الصَّدَقات** .. ﴾ رواه البخاري عن أبي قدامة : عبيد الله بن سعد عن أبي النعمان وفي مجمع الزوائد في قوله : ﴿ **الّذِينَ يلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمنينَ** ﴾ عن أبي سلمة ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : تصدَّقوا ، فإني أريد أن أبعث بعثاً . قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف . فقال يا رسول الله : عندي أربعة آلاف : ألفان أقرضتها ربي ، وألفان لعيالي ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لك فيما أمسكت ، وبات رجل من الأنصار ، فأصاب صاعين من تمر ، فقال يا رسول الله : إني أصبت صاعين من تمرٍ ، صاع لربي ، وصاع لعيالي ، قال : فلمزه المنافقون . وقالوا : ما أعطى مثل الذي أعطى ابن عوف إلَّا رياء ، أو قالوا : ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا . فأنزل الله : ﴿ **الّذِينَ يلمِزُون المطَّوِّعينَ مِنَ الْمُؤْمنين فِي الصَّدَقاتِ والّذِينَ لا يجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُم** ﴾ إلى آخر الآية . قال الهيثمي : رواه البزار من طريقين : إحداهما متصلة عن أبي هريرة ، والأخرى عن أبي سلمة مرسلة .. وروى عن أبي عقيل أنه بات يجر الجرير على ظهره على صاعين من تمر ، فانفلت بأحدهما إلى أهله ينتفعون

به ، وجاء بالآخر يتقرب به إلى الله عز وجل ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فقال له : انثره في الصدقة ، فقال فيه المنافقون ، وسخروا منه : ماكان أغنى هذا أن يتقرب إلى الله بصاع من تمر ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **الّذِينَ يَلمِزُونَ المطّوِّعينَ مِنَ المُؤْمنينَ في الصَّدَقاتِ والّذِينَ لَا يجدُونَ إلّا جُهْدَهُمْ** ﴾ الآيتين : رواه الطبراني . ورجاله ثقات إلّا أن خالد بن يسار لم أجد من وثقه . ولا جرحه . وفي الواحدي : وقال قتادة وغيره : حث رسول الله ﷺ على الصدقة ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم ، وقال يارسول الله : مالى ثمانية آلاف جئتك بنصفها . فاجعلها في سبيل الله ، وأمسكت نصفها لعيالي ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت * فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات . فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستون ألف درهم ، وتصدق يومئذ عاصم بن عدى بن العجلان بمائة وسق من تمر ، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما لأهلي وأتيتك بالآخرة . فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات . فلمزه المنافقون . وقالوا : ماأعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء . وإن كان الله ورسوله غنيين عن صالح أبي عقيل ، ولكنه أحب أن يزكي نفسه . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي لباب السيوطي : روى الشيخان عن ابن مسعود قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقالوا : مراءٍ ، وجاء فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغني عن صدقته ، فنزل : ﴿ **الَّذِينَ يلمزُونَ المطَّوِّعين** .. ﴾ الآية وكذا رواه المراغي . والخازن والكشاف والخازن . وفيه : وقا

يوماً . فنادى فيهم أن

بصاع من تمرٍ . فقال

والخازن . وفيه : وقال العوفي : عن ابن عباس : إن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوماً . فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ، ثم جاء رجل آخرهم بصاع من تمرٍ . فقال يارسول‌الله : هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء ، حتى نلت صاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخرة . فأمره ﷺ أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال . وقالوا : إن الله ورسوله لغنيان عن هذا ، ومايصنعون

بصاعك من شيء ؟ ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله ﷺ : هل بقى أحد من أهل الصدقات ؟ فقال رسول الله ﷺ : لم يبق أحد غيرك * فقال له عبد الرحمن بن عوف ، فإن عندي مائة أوقية من الذهب في الصدقات ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أمجنون أنت ؟ قال : ليس بي جنون . قال : أفعلت مافعلت ؟ قال : نعم ، مالي ثمانية آلاف ، أما أربعة آلاف ، فأقرضها لربي . وأما أربعة آلاف فعلي ، فقال له رسول الله ﷺ : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت . ولمزه المنافقون ، فقالوا : والله ماأعطى عبد الرحمن عطية إلا رياءً . وهم كاذبون إنما كان به متطوعاً . فأنزل الله عز وجل عذره ، وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر ، فقال تعالى : ﴿ **الّذِينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعينَ مِنَ المُؤْمنينَ في الصَّدقات** ﴾ الآية . أما التفسير : ﴿ **الّذِينَ يَلْمِزُونَ** ﴾ يعيبون . في المصباح . لمزه لمزاً . من باب ضربه عابه . وقرأ بها السبعة . ومن باب قتل لغة ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها . ﴿ **المطَّوِّعينَ** ﴾ أصله المتطوعين . أي المتنفلين ﴿ **مِنَ الْمُؤْمنينَ في الصَّدقاتِ** ﴾ أي صدقات النفل لالغرض ﴿ **والّذِينَ لايَجدُونَ** ﴾ من المال ﴿ **إلّا جُهْدَهُمْ** ﴾ طاقتهم فيأتون به . في القرطبي : الجهد شيء يسير يعيش به المقل فيأتون به أي يجهدهم . وقوله : ﴿ **فَيسْخَرُونَ مِنْهُمْ** ﴾ أي يستهزؤن بهم ﴿ **سَخِرَ الله مِنْهُمْ** ﴾ جازاهم على استهزائهم . ﴿ **ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ** ﴾ مؤلم في الدار الآخرة * وبعد هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سبْعِينَ مرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ ذَلِكَ بأنَّهُمْ كَفَرُوا بالله ورسُولِهِ والله لايهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ قال المفسرون : لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين ، وبيان نفاقهم . وظهر للمؤمنين . جاؤا إلى رسول الله ﷺ يعتذرون ويقولون : استغفر لنا . فنزلت : ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾ يامحمد ﴿ **أوْ لَاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾ وهذا كلام خرج مخرج الأمر . ومعناه الخبر . تقديره . استغفارك لهم وعدمه سواء . ﴿ **إنْ تَسْتَغْفِرْ لهُمْ سَبْعِينَ مرَّةٍ** ﴾ بيان لاستحالة المغفرة لهم بعد المبالغة في الاستغفار أثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه . ﴿ **فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ** ﴾ وفي البخاري حديث : لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها . في الخازن : قال الضحاك : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين لعل الله أن يغفر لهم ، فأنزل الله

تعالى : ﴿ سواءٌ عليهم استغفَرْتَ لهم أم لم تستغفر لهم لن يغْفِرَ الله لَهُمْ ﴾ أي فبيَّن لهم حسم المغفرة بآية﴿سواء عليهم استغفَرْتَ لَهُمْ أم لم تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ * ﴾ ﴿ ذَلِكَ بأنَّهُمْ ﴾ أي امتناع المغفرة لهم بسبب أنهم ﴿ كفَرُوا بالله ورسُولِهِ والله لايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسقينَ ﴾ أي إن سنة الله قد جرت فيمن أصروا على كفرهم وتمردوا في نفاقهم وأحاطت بهم خطاياهم ــ أن يفقدوا الاستعداد للتوبة والإيمان فلا يهتدون إليهما سبيلاً . ومن خرج من الطاعة وأكب على المعصية فقلما تؤثر فيه المواعظ ويرعوى عما فيه . وعلى الأخص ممن علم الله عنادهم وإصرارهم على الكفر ، فلن يهتدوا أبداً *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ فَرِحَ المخَلَّفُونَ بِمقْعَدِهُمْ خِلَافَ رَسُولِ الله وَكَرِهُوا أنْ يُجَاهِدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سبيلِ الله وقالُوا لَا تَنِفْرُوا في الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال يارسول الله : الحر شديد . ولا نستطيع الخروج ، فلا ننفر في الحر . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشدُّ حرًّا ... ﴾ الآية . وأخرج عن محمد بن كعب القرظى : قال خرج رسول الله ﷺ في حر شديد إلى تبوك . فقال رجل من بنى سلمة :ــ لا تنفروا في الحر فأنزل الله : ﴿ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشدُّ حرًّا .. ﴾ * وكذا في الطبري والخازن . أما التفسير : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُون بمقْعَدِهِمْ خِلَافَ رسُولِ الله ﴾ أي فرح المخلفون عن غزوة تبوك ، في ابى السعود : أي الذين خلفهم النبي ﷺ بالاذن لهم في القعود عند استئذانهم ، أو خلفهم الله تعالى بتثبيطه إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية ، أو خلفهم كلهم أو نفاقهم * وهو عام ﴿ خِلَافَ ﴾ أي بعد ﴿ رسول الله ﴾ حيث مضى إلى الجهاد ، وتخلفوا عنه ، أو بقعودهم لمخالفتهم له . وإليه ذهب الطبري والزجاج ويؤيدهما قوله : ﴿ وكَرِهُواأنْ يُجَاهِدُوا بأموالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سبيلِ الله ﴾ قال الخازن : المعنى إنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج إلى الجهاد ، وذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى إيثار الراحة والقعود مع الأهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال * ﴿ وقَالُوا ﴾ أي قال بعضهم لبعض . سرا أو علانية فالقول تام فيهما . ﴿ لَا تَنِفْرُوا ﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿ في الحرِّ ﴾ قالوا ذلك حينما دعاهم الرسول عليه

الصلاة والسلام إلى الخروج إلى تبوك . وكانت في شدة حر وقحط . وفي ابن كثير : في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار . قال تعالى في الرد عليهم ﴿ **قُلْ** ﴾ لهم ﴿ **نارُ جَهَنَّمَ** ﴾ التي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿ **أشدُّ حرًّا** ﴾ مما فررتم منه من الحر بل أشد حرا من النار كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد . عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « نار بنى آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا يارسول الله : إن كانت لكافية ، فقال : « فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به . وقوله : ﴿ **لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ** ﴾ أي يعلمون ذلك ما تخلفوا *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولَا تُصَلِّ علَى أحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أبَداً ولَا تَقُمْ علَى قَبْرِهِ إنَّهُمْ كفَرُوا باللهِ ورسُولِهِ ومَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ في الواحدي : قال ابن عمر : لما توفى عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ صلوات الله عليه . وقال : اعطني قميصك حتى أكفنه فيه ، وصل عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه ، ثم قال : آذني حتى أصلي عليه ، فآذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب . وقال : أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : أنا بين خيرتين : أستغفر لهم أو لا أستغفر لهم ، ثم نزل عليه هذه الآية : ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ــ فترك الصلاة عليه . رواه البخاري عن مسدد ، ورواه مسلم عن أبي قدامة : عبيد الله بن أبي سعيد ، كلاهما عن يحيى بن سعيد * قلتُ : وأخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه بلفظ قال : لما توفى عبد الله بن أبي ، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ . فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي ، فقام عمر ، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ ، فقال يارسول الله : أتصلي عليه . وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنما خيرني الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة . وسأزيده على السبعين قال : إنه منافق قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ **ولَا تُصَلِّ علَى أحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أبَداً ولَا تَقُمْ علَى قَبْرِهِ** ﴾ وأخرج عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعى له رسول الله

ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله ﷺ ، وثبت إليه ، فقلت يا رسول الله : أتصلي على ابن أبي . وقد قال يوم كذا كذا وكذا . قال : أعدد عليه قوله ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : أخر عني يا عمر . فلما أكثرت عليه . قال : إني خيرت فاخترت ، لو أعلم إني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ، قال فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ثم انصرف ، فلم يمكث يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ــ إلى قوله ــ وهم فاسقون . قال : فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم » قوله لما توفى عبد الله . يعني ابن أبي سلول . قال الواقدي : إنه مات منصرفهم من تبوك . وذلك في ذي القعدة سنة تسع ، وكانت مدة مرضه عشرين يوماً ، وابتداؤها من ليال بقيت من شوال .. وكذا ذكره الحاكم في الإكليل ، وقالوا : وكان قد تخلف هو ومن معه عن غزوة تبوك وفيهم نزلت ﴿ **لَوْ خرجُوا فيكُمْ مَا زادوكم إلَّا خبالاً** ﴾ قيل : هذا يدفع قول ابن التين أن هذه القصة كانت في أول الإسلام قبل تقرير الأحكام . قوله : فأعطاه . أى أعطى النبي ﷺ قميصه عبد الله . قال الكرماني : لم أعطى قميصه المنافق ؟ ثم أجاب بقوله : أعطى لابنه . وما أعطى لأجل أبيه عبد الله بن أبي . وقيل : كان ذلك مكافأة له على ما أعطى يوم بدر قميصاً للعباس لئلا يكون للمنافق منة عليهم . قوله : ثم سأله أن يصلي عليه . إنما سأله بناءً على أنه حمل أمر أبيه على ظاهر الإسلام ، ولدفع العار عنه وعن عشيرته ، فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ . ووقعت إجابته إلى سؤاله على حسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك . وقول عمر رضي الله عنه : نهاك ربك أن تصلي عليه . لعله استفاد النهي من قوله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمَنوا أن يستغفروا للمشركين » أو من قوله : « إن تستغفر لهم » .. وقال القرطبي : لعل ذلك وقع في خاطر عمر رضي الله عنه : فيكون من قبيل الإلهام . هذا : وذهب بعض أهل الحديث إلى تصحيح إسلام عبد الله بن أبي بصلاة النبي عليه . وهذا ليس بصحيح لمخالفته الأحاديث الصريحة بما ينافي ذلك . أخرج الطبراني من طريق سعيد بن قتادة في هذه القصة قال : فأنزل الله : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره . قال : فذكر لنا النبي ﷺ قال : وما يغني عنه قميص من الله . وإني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه : قوله : فأنزل

الله تعالى إلى آخره .. زاد مسدد في حديثه عن يحيى القطان عن عبد الله بن عمر في آخره : فترك الصلاة عليهم . وزاد ابن اسحاق في المغازي في حديث اللباب : فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله تعالى . وقد أثبت الله لهم صفتي الكفر والفسق ، وهما من صفات ابليس اللعين . أما التفسير : ﴿ **ولاتُصَلِّ على أحَدٍ مِنْهُمْ** ﴾ من المنافقين ﴿ **ماتَ أبداً ولاتَقُم على قَبْرِه** ﴾ لدفن أو زيارة وقد كان رسول الله ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره . ودعا له . فمنع ههنا منه . وقال الكلبي : لاتقم باصلاح مهمات قبره . وقوله : ﴿ **إنَّهُمْ كفَرُوا** ﴾ تعليل للنهي المؤبد قال في الكشاف : وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي ، والمعنى على الاستقبال . على تقدير الكون الوجود لأنه كائن موجود لامحالة ، وإنما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر . لأن الكافر قد يكون عدلا في دينه ، والكذب في النفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الأديان * أي أن الكافر قد يكون عدلاً في دينه بأن يوؤدي الأمانة . ولايضمر لأحد سوءاً ، وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع ، وإظهار السوء للغير ، وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ، ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر . فقال : ﴿ **إنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ ورسولِهِ وماتُوا وهُمْ فَاسِقُون** ﴾ . كافرون كما عبر به المفسرون . قالوا : لأن الكفر أعم من الفسق . كل كافر فاسق وليس كل فاسق كافراً ، وقد أثبت لهم صفة الكفر فتعم * قلت : ومن مات مسلماً تاركاً للصلاة كافراً بالله ورسوله باستحلال ما حرم أو بتحريم ماأحل الله فلا يصلي عليه ولايقام على قبره ، فهو أسوأ حالاً من عبد الله بن أبي ، فهذا كان يحضر الصلاة ويخرج الزكاة مع كفره باطناً وذلك كافر ظاهراً وباطناً . والله أعلم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ علَى الضُّعَفَاءِ ولاعلَى الْمَرْضَى ولاعلَى الَّذِينَ لَايجِدُونَ مايُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا للهِ ورسُولِهِ ماعلَى المُحْسِنِين من سَبِيلٍ واللهُ غفُورٌ رحِيم** ﴾ذكر السيوطي في لبابه : أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة . فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال ، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ماينزل عليه إذ جاءه أعمى ، فقال : كيف بي يارسول الله وأنا أعمى . فنزلت : ﴿ **لَيْسَ علَى الضُّعفاء ..** ﴾ الآية * وفي

الخازن : قال قتادة : نزلت الآية في عائذ بن عمرو وأصحابه * وقال الضحاك : نزلت في عبد الله بن أم مكتوم . وكان ضرير البصر * وقيل : هُمْ مزنية وجهنية وبنو عذرة . أما التفسير : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعفاءِ** ﴾ كالشيوخ والنساء والولدان . ﴿ **وَلَا عَلَى الْمَرْضَى** ﴾ كالعمى والزمني في المختار : الزمانة آفة في الحيوان . ورجل زمن أي مبتلى بـالزمانة . ﴿ **وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُون** ﴾ في الجهاد لفقرهم لجهينة ومزينة وبنى عذارة ﴿ **حَرَجٌ** ﴾ إثم في التخلف عن الجهاد ﴿ **إِذَا نَصَحُوا لله ورسُولِهِ** ﴾ في حال قعودهم . بعدم الارجاف وإثارة الفتن ، ويسعوا في إيصال الخير إلى أهل المجاهدين الذين خرجوا إلى الغزو ، ويقوموا بمصالح بيوتهم ، ويخلصوا الإيمان والعمل لله . ويتابعوا الرسول ، فجملة هذه الأمور تجري مجرى النصح لله ورسوله * وقوله : ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ** ﴾ بذلك ﴿ **مِنْ سَبِيلٍ** ﴾ طريق بالمؤاخذة . أي ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد لأنه سد إحسانه طريق العقاب عن نفسه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُم عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وأَعْيُنُهُمْ تفيضُ من الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وهُمْ أَغْنِيَاءُ رضُوا بِأَنْ يكونوا مَعَ الْخَوالِفِ وَطَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ في الواحدي : نزلت في البكائين ، وكانوا سبعة : معقل بن يسار وصخر بن خنيس . وعبد الله بن كعب الأنصاري . وسالم بن عمير . وثعلبة بن غنيمة . وعبد الله بن مغفل . أتوا رسول الله ﷺ . فقالوا يا نبيّ الله : إن الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك . فاحملنا على الجفاف والمرقوعة والنعال المخصوفة نغزوا معك . فقال : لا أجد ما أحملكم عليه . فتولوا وهم يبكون * قوله وكانوا سبعة . من الأنصار . أي من فقرائهم جاؤا للنبي ﷺ يستحملونه . أي يسألونه أن يحملهم ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه . وعند ذلك تولوا . وأعينهم تفيض من الدمع .. الآية . ومن ثم قيل لهم : البكاؤن . فحمل العباس منهم اثنين . وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه ، وهو ألف كما سبق . وحمل ياسين بن عمرو النضري اثنين . وفي الغرائب : قال مجاهد : هم أبناء مقرن : معقل وسويد والنعمان . وقيل أبو موسى

الأشعري وأصحابه أتوا رسول الله ﷺ يستحملونه . ووافق منه غضباً ، فقال : والله ماأحملكم ، ولاأجد ماأحملكم عليه ، فتولوا وهم مدبرون يبكون ، فدعاهم و أعطاهم ذوداً . فقال أبو موسى : ألست حلفت يارسول الله . فقال : أما إني إن شاء الله لاأحلف بيمين فأرى غيرها خيراً منها إلّا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني * وفي الطبري : وقال آخرون : بل نزلت في عرباض بن سارية . وهكذا بقية الأقوال في التفاسير لاتخرج عما ذكرت . أما التفسير : ﴿ **ولَا على الّذِينَ إذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ** ﴾ معك إلى غزوة تبوك . وهم سبعة من الأنصار وقد تقدمت أسماؤهم . وقيل : غيرهم . وقيل هم أصحاب موسى الأشعري كما في البخاري وهو الصحيح ﴿ **قُلْتَ لَا أَجِدُ مٰا أحْمِلَكُمْ عَلَيْهِ** ﴾ في أبي السعود : في إيثار هذا التعبير على لَيْس عندي .. لطف في الكلام ، وتطييب لقلوب السائلين كأنه قال : أنا أطلب ماتسألونه . وأفتش عليه فلا أجده ، فأنا معذور . ﴿ **توَلَّوْا** ﴾ جواب إذا أي انصرفوا ﴿ **وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ** ﴾ تسيل ﴿ **من الدَّمعِ حَزَناً** ﴾ لأجل ﴿ **أنْ لَا يَجِدُوا مٰا ينفِقُونَ** ﴾ في الجهاد ﴿ **إنَّما السبيلُ** ﴾ الطريق للمعاقبة . والطريق هي الأعمال السيئة . أي حصرانه ﴿ **على الّذِينَ يستأذِنُونَكَ** ﴾ في التخلف عن الجهاد ﴿ **وَهُمْ أغْنِياءُ** ﴾ أي واجدون لأهبة الغزو مع سلامتهم من الضعف والعمى والزمانة ، لا علة لهم إلّا أنهم ﴿ **رَضُوا بأنْ يكُونُوا مَعَ الْخوالِفِ** ﴾ أي من النساء والأطفال والمعذورين ومن المنافقين المفسدين الفاسقين : ﴿ **وطبع الله علَى قُلُوبهم فهم لا يعلمونَ** ﴾ أي وأحاطت بهم خطاياهم وذنوبهم بحسب سنن الله في أمثالهم . فهم لايعلمون حقيقة أمرهم ، ولاسوء عاقبتهم . وماهو سبب ذلك من أعمالهم ، فهم قد رضوا بالمهانة في الدنيا بانتظامهم في سلك النساء والأطفال *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الْأَعْرَابُ أشدُّ كُفْراً ونِفاقاً وأجْدَرُ ألَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ماأنزل الله على رسُولِهِ والله عليمٌ حكيمٌ** ﴾ في الواحدي : نزلت في أعاريب من أسد وغطفان . وأعاريب من أعاريب حاضري المدينة * وفي الخازن : نزلت في سكان البادية * يعني أهل البدو ، أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر * أي لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ، ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم ، وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى : ﴿ **وكان الإنسانُ**

كفوراً ﴾ إذ ليس كلهم كما ذكر . أما التفسير ﴿ الأعرابُ ﴾ أهل البدو . أي سكان البادية . وهي ضد الحاضرة ، ﴿ أشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم ، وبعدهم عن سماع القرآن ﴿ وأجْدَرُ ﴾ أولى وأحق ﴿ أنْ ﴾ أي بأن ﴿ لَا يعْلَمُوا ﴾ جاهلون ﴿ حُدُدَ ما أنْزَلَ الله على رسُوْلِهِ ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿ والله عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه بهم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومِنَ الْأَعْرَاب مَنْ يُؤْمِنُ بالله والْيَوْم الآخِرِ ويَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرباتٍ عِنْدَ الله وصَلَواتِ الرَّسُولِ أَلَا إنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمْ الله فِي رَحْمَتِهِ إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن مجاهد . أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم : ﴿ ولَا على الَّذِينَ إذَا مَا أتوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ .. ﴾ . وأخرج عبد الرحمن بن معقل المزني ، قال : كنا عشرة ولد مقرن فنزلت فينا هذه الآية . وكذا في الخازن والمراغي والطبري ، وقال الكلبي : هم أسلم وغفار وجهينة * وكذا في الجلال . وكذا بقية الأقوال أما التفسير ﴿ وَمِنَ الْأَعْرابِ ﴾ أي بعض الأعراب ﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ كجهينة ومزينة ، وأسلم وغفار ، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : أسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، زاد مسلم في رواية له : أما إني لم أقلها لكن الله قالها . وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قريش والأنصار وجهينة ومزنية وأسلم وأشجع وغفار موالى ليس لهم مولى إلا الله تعالى * ﴿ ويتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ الله ﴾ جمع قربة . أي يطلب بما ينفق القربة إلى الله تعالى . ﴿ وصَلَواتِ ﴾ دعوات ﴿ الرَّسُولِ ﴾ وذلك أنهم يرغبون في دعاء النبي ﷺ . فقد كان ﷺ يدعو للمتصدقين بالخير والبركة . ويستغفر لهم . ومنه قوله ﷺ : اللهم صل على آل أبى أوفى . ﴿ أَلَا إنَّها ﴾ أي نفقتهم ﴿ قُرْبَةٌ ﴾ لهم عند الله ﴿ سَيُدْخِلُهُمُ الله في رَحْمَتِهِ ﴾ جنته ﴿ إنَّ الله غَفُورٌ ﴾ لأهل طاعته ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بهم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَاب مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَة مَرَدُوا على النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مرَّتيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ في الواحدي : قال الكلبي : نزلت في جهينة ومزينة

وأشجع وأسلم وغفار من أهل المدينة . يعنى عبد الله بن أبى ، وجد بن قيس ومعتب بن بشير ، والجلاس بن سويد وأبي عامر الراهب * العبارة مقتضبة وغير ظاهرة . والآية شروع في بيان أحوال منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب بعد بيان حال أهل البادية منهم . وممن حول بلدتكم منافقون كانوا نازلين حولها . ومن تبعيضية . أي ومنافقون بعض من حولكم من القبائل : وبعض أهل المدينة . وقد علمت أن رسول الله ﷺ قد مدح جهينة وأسلم ومزينة .. نعم يستقيم القول إذا كان المراد بعض هؤلاء القبائل . أي القليل منها منافق ومدح النبي لها يحمل على الأكثر والأغلب منها . قال الخازن : ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي أنهم من أعراب مزنية وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة . يعني : ومن هؤلاء الأعراب منافقون . قال : وماذكروه مشكل لأن النبي ﷺ دعا لهؤلاء القبائل ، ومدحهم فإن صح نقل المفسرين ، فيحمل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وممن حولكم من الأعراب** ﴾ منافقون على القليل لأن لفظه من للتبعيض أى وهم الذين كانوا نازلين حولها قلت : ولعلّ نزول الآية كان قبل إسلام البعض منهم . ومدح الرسول لتلك القبائل كان بعد إسلامهم لسابقة بلاء حسن لهم في الإسلام . أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة أن الأقرع بن حابس قال للنبي ﷺ : إنما تابعك سراف الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيراً من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان . قال : خابوا وخسروا . قال نعم * ولعل المنافقين مما ذكر من القبائل والله أعلم . «ومن أهل المدينة» عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم . والمبتدأ منافقون أي من الأوس والخزرج منافقون . وقوله ﴿ **مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ** ﴾ أي مرنوا عليه وتجهروا فيه . وماوصف الشيطان بالمارد إلا أنه اتخذ المعصية حرفته . ومرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها . فالمنافقون أقاموا على نفاقهم . وأتقنوا صنيعه . ولم يتوبوا منه . ومما يدل على حذقهم في النفاق ومرانهم عليه ، ومهارتهم فيه قوله :﴿ **لَا تَعْلَمُهُم** ﴾ أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لأنهم يظهرون لك الإسلام ويضمرون الكفر ، وأنت تحكم على

الظاهر ، والله يعلم الظاهر والباطن ولذا قال ﴿ نحن نَعْلَمُهُمْ ﴾ أي لا يعلمهم إلا الله . ولايطلع على سرهم غيره . وقوله ﴿ سَنُعَذِبُهُمْ مرّتيْنِ ﴾ قيل : الفضيحة وعذاب القبر . وعن ابن عباس رضي الله عنه أنهم اختلفوا في هاتين المرتين ، فقال : قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال : اخرج يافلان فإنك منافق . اخرج يافلان فإنك منافق . فأخرج ناساً وفضحهم ، فهو العذاب الأول . والثاني : عذاب القبر * وعن الحسن : أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم . الكشاف . وفي الطبري : قال : ثنا سعيد عن قتادة ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتيْنِ ﴾ عذاب الدنيا وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم . ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أسر إلى حذيفة باثنى عشر رجلاً من المنافقين . فقال ستة منهم تكفيهم الدبيلة : سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتي يفضي إلى صدره . وستة يموتون موتاً . وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان إذا مات رجل يرى أنّـه منهم نظر إلى حذيفة فإن صلى عليه صلى عليه وإلا تركه . وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أو من منها أحداً بعدك * وقال ابن زيد : ﴿ سنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتيْنَ ﴾ قال : أما عذاب الدنيا فالأموال والأولاد . وقرأ قول الله : ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أمْوَالُهُمْ ولا أوْلَادُهُمْ إنّما يُرِيدُ الله لِيُعَذِّبَهُمْ بها في الحياة الدنيا ﴾ بالمصائب فيهم ، هي لهم عذاب . وهي للمؤمنين أجر . قال : وعذاب في الآخرة في النّار ﴿ ثم يُرَدُّونَ إلى عذابَ عظيمٍ ﴾ قال النار * ولم يرجح الطبري أحد الأقوال بل قال : وليس عندنا علم بأى ذلك . على أن في قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمّ يُرَدُون إلى عذابٍ عظيمٍ ﴾ دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر *... قلت : ويرجح قول من قال : القتل وعذاب القبر . قياساً على عذاب آل فرعون . فقد ذاقوا عذاب الغرق . وعذاب القبر قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عليها غدواً وعشياً ويوم تقومُ الساعة أدخلوا آل فرعونَ أَشَدَّ الْعَذاب ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل * فعند قتلهم يذوقون ألم السلاح . وسياط الملائكة . إذ يضربون وجوههم وأدبارهم في ذلك الحين . ثم يَردَوُن إلى عذاب القبر . ثم إلى العذاب العظيم يوم القيامة . في الدرك الأسفل من النار *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وآخرون اعْتَرفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً

صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عسَى الله أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنَّ الله غَفُورٌ رحيمٌ ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : نزلت في قوم كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك . ثم ندموا على ذلك ، وقالوا : نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد . والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون الرسول هو يطلقها ويعذرنا . وأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد . فلما رجع رسول الله ﷺ مر بهم فرآهم . فقال : من هؤلاء ؟ قالوا هؤلاء تخلفوا عنك ، فعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى يكون أنت الذي تطلقهم ، وترضى عنهم . فقال النبي ﷺ : وأنا أقسم بالله لاأطلقهم ولاأعذرهم حتى أومر بإطلاقهم . رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين . فأنزل الله تعالى هذه الآية . فلما نزلت أرسل إليهم النبي ﷺ . وأطلقهم وعذرهم ، فلما أطلقهم قالوا يارسول الله : هذه أموالنا التي خلَّفتنا عنك . فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا . فقال : ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطِّهرهم ..** ﴾ الآية . وقال ابن عباس كانوا عشرة رهط * وفي اللباب : أخرج ابن مردويه . وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : غزا رسول الله ﷺ . فتخلف أبو لبابة وخمسة معه ، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك . وقالوا : نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد . والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها . ففعلوا . وبقى ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم . فرجع رسول الله ﷺ من غزوته فقال : من هؤلاء الموثوقون بالسواري ؟ فقال رجل : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا . فعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم ، فقال : لاأطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، فأنزل الله ﴿ **وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بذُنُوبِهِمْ ..** ﴾ فلما نزلت أطلقهم وعذرهم . وبقى الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء وهم الذين قال الله فيهم ﴿ **وآخرَون مرجُون لأمْرِ الله** ﴾ الآية . فجعل أناس يقولون هلكوا إذ لم ينزل عذرهم ، وآخرون يقولون : ﴿ **عسَى الله أن يتوب عليهم** ﴾ حتى نزلت ﴿ **وعلَى الثَّلاثةِ الّذِينَ خُلِّفُوا ...** ﴾ الآية وفي رواية قتادة : أنها نزلت في سبعة : أربعة . منهم ربطوا أنفسهم في السواري ، وهم أبو لبابة ومرداس

وأوس بن خذام وثعلبة بن وديعة * وأخرج أبو الشيخ وابن منده في الصحابة من طريق الثوري عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : كان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة : أبو لبابة وأوس بن خذام وثعلبة بن وديعة ، وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة . فربطوا أنفسهم بالسواري ، وجاءوا بأموالهم . فقالوا يارسول الله : خذ هذا الذي حبسنا عنك . فقال : لاأحلهم حتى يكون قتال . فنزل القرآن ، ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** ﴾ الآية قال السيوطي : اسناده قوي . وأخرج ابن مردويه بسند فيه الواقدي عن أم سلمة . قالت : إن توبة أبى لبابة نزلت في بيتى ، فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في السحر ، فقلت : مايضحك يارسول الله ؟ قال : تيب على ابن لبابة ، فقلت : أوذنه بذلك ؟ فقال : ماشئت ، فقمت على باب الحجرة . وذلك قبل أن يضرب الحجاب ، فقلت ياأبا لباب : أبشر فقد تاب الله عليك ، فثار الناس ليطلقوه ، فقال حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي يطلقني ، فلما خرج إلى الصبح أطلقه فنزلت : ﴿ **وآخرون اعترفُوا بذنوبِهِمْ** ﴾ * أما التفسير : ﴿ **وآخرون اعْتَرفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخرَ سيِّئاً** ﴾ أي وقوم آخرون من المتخلفين اعترفوا بذنوبهم أي تخلفهم * خلطوا جهادهم الصالح قبل ذلك بتخلفهم السيء ﴿ **عَسَى الله أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ أن يقبل توبتهم المفهوم من قوله اعترفوا بذنوبهم وعبر بعسى للأشعار بأن مايفعله تعالى ليس إلا على سبيل التفضل منه حتى لا يتكل المرء بل يكون على خوف وحذر . واتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب . قال أهل المعاني لأن لفظ عسى تفيد الأطماع . ومن أطمع إنساناً في شيء ، ثم حرمه كان عاراً عليه . والله تعالى أكرم من أن يطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه إياه * ﴿ **إنَّ الله غَفُور** ﴾ كثير المغفرة لذنوب عباده ﴿ **رحيمٌ** ﴾ بهم * روى البخاري عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال : «أتاني الليلة — أي في المنام — ملكان فاتبعثاني . فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فتلقانا شطر من خلقهم كأحسن ماأنت راء . وشطر كأقبح ماأنت راء ، قال لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم . فصاروا في أحسن صورة ، قال لى : هذه جنة عدن . وهذا منزلك . قال : وأما القوم الذين كانوا شطرا

منهم حسن . وشطرا منهم قبيح . فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقد تجاوز الله عنهم» ولاشك أن هذا تمثيل في الرؤيا لتجميل العمل الصالح للنفس ، وتشويه العمل القبيح لها ، ولتطهيرها بالتوبة وصالح العمل حتى تكون كلها جميلة وأهلاً للكرامة بعد أن تبعث كلها في الصورة التي كانت عليها قبل التوبة * وتذييل الآية بالمغفرة والرحمة يفيد إنجاز الوعد *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ الله إمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ والله عَليمٌ حَكيمٌ** ﴾ في الواحدي : نزلت في كعب بن مالك : ومرارة بن الربيع أحد بني عمر بن عوف . وهلال من بني واقف تخلفوا عن غزوة تبوك . وهم الذين ذكروا في قوله : ﴿ **وعلى الثلاثة الّذينَ خُلِّفُوا ..** ﴾ الآية * وكذا في الخازن . وفي المراغي : قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة : هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة . وهم مرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، وهلال بن أمية . قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلاً وميلاً إلى الدعة والتمتح بطيب الثمار والتفيؤ بالظلال لا شكاً ولا نفاقاً ، وكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري ، كما فعل أبو لبابة وأصحابه ، وطائفة لم يفعلوا ذلك ، وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون . فنزلت توبة الأولين قبل توبة هؤلاء ، وأرجئت توبة هؤلاء ، حتى نزلت آية التوبة : ﴿ **لَقَدْ تَابَ الله علَى النبيّ والمهاجرين ..** ﴾ والقصة مشهورة . وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك أمر أصحابه أن لا يسلّموا عليهم ولا يكلموهم ، ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري . وإظهار الجزع والغم ، فلما علموا أن أحداً لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله تعالى . وأخلصوا لَهُ نياتهم . ونصحت توبتهم فرحمهم الله * وأنزل : ﴿ **لَقَدْ تَابَ الله علَى النبيّ والمهاجرينَ والأنْصَارِ الّذينَ اتّبَعُوهُ فِي سَاعةِ الْعُسْرةِ مِنْ بَعْدِ مٰا كادَ يَزيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عليهم ليَتُوبُوا إنَّهُ بهم رؤف رحيمٌ** ﴾ قال الزمخشري في قوله : ﴿ **تَابَ الله علَى النبيّ** ﴾ كقوله : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ الله مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذنْبِكَ ومٰا تأخّرَ** ﴾ ..* وهو حثُ للمؤمنين على التوبة ، وأنه مامن مؤمن إلا وهو يحتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والأنصار . وقيل : تاب الله عن إذنه للمنافقين في التخلف عنه . وقوله في الآية هنا : ﴿ **في سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ أي

الشدة وضيق الحال . وقال جابر : عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة المال . قال مجاهد وغيره ـــ كما تقدم ـــ نزلت هذه الآية في غزوة تبوك . وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة الحر في سنة مجدبة ، وعسر من الزاد والماء . وقال قتادة : ذكر أن الرجلين كانا يقتسمان التمرة بينهما . وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها . فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم ﴿ **مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزيغُ** ﴾ أن تميل قلوب فريق منهم عن الحق وتشك في دين رسول الله ﷺ بالذي نالهم من المشقة والشدة : ﴿ **ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ** ﴾ أي رزقهم الله الإنابة إليه والرجوع إلى الثبات على دينه ﴿ **إنَّهُ** ﴾ أي إنّ الله ﴿ **بهم رَؤُفٌ رَحيمٌ** ﴾ أخرج البخاري عن ابن شهاب قال : أخبرني عبد الرحمن بن كعبٍ . قال : أخبرني عبد الله بن كعب ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمى ، قال سمعت كعب بن مالك في حديثه : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » قال في آخر حديثه «إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ : أمسك بعض مالك . فهو خير لك» قلت : وأبناء كعب بن مالك ثلاثة وهم عبد الله ، وعبد الرحمن وعبيد الله . وكلهم رووا عن أبيهم * أما التفسير : ﴿ **وآخرون مُرْجَونَ لأمر الله** ﴾ أي ومن المتخلفين ناس آخرون مؤخرون لحكم الله في أمرهم ﴿ **إمَّا أنْ يُعذِّبَهُمْ وإمَّا يتُوب عليهم** ﴾ أي إن أمرهم دائر بين هذين : التعذيب والتوبة . أي إما أن يعذبهم بأن يميتهم بلا توبة . وهذا نوع من الترديد بالنظر لاعتقادنا فيهم ، وإلا فالله تعالى عالم يقين ماهو فاعله بهم . ﴿ **والله عليمٌ** ﴾ بخلقه ﴿ **حكيمٌ** ﴾ في صنعه بهم . وهم الثلاثة المذكورون *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وكُفْراً وتفريقاً بَيْنَ الْمُؤْمنينَ وإرْصَاداً لِمَنْ حَاربَ الله ورسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إنْ أردْنا إلّا الحُسْنَى والله يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكَاذبُونَ** ﴾ في الواحدي : قال المفسرون : إن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم ، فأتاهم فصلى فيه ، فحسدهم إخوتهم بنو عمرو ، وقالوا : نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلى فيه كما يصلى في مسجد إخواننا . وليصل فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام . وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح ، وأنكر دين الحنيفة لما قدم رسول

الله ﷺ المدينة ، وعاداه ، وسماه النبي ﷺ أبا عامر الفاسق ، وخرج إلى الشام ، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح . وابنوا إلى مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر فآتى بجند الروم . فأخرج محمداً وأصحابه ، فبنوا مسجداً إلى مسجد قباء ، وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً . حزام بن خالد . ومن داره أخرج إلى المسجد . وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأرعد ، وعباد بن حنيف ، وحارثة وجارية وابناه : مجمع الزوائد ، ونبتل بن حارث ، ولحاد بن عثمان ، ووديعة بن ثابت . فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية . وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه . فدعا بقميصه ليلبسه فيأتيهم ، فنزل عليه القرآن ، وأخبر الله عز وجل خبر مسجد الضرار ، وماهموا به . فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعين بن عدى وعامر بن شكر ، والوحشي قاتل حمزة . وقال لهم : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وأحرقوه ، فخرجوا فانطلق مالك وأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه النار ، ثم دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه ، وتفرق عنه أهله ، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ، ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً * وكذا في الخازن . ولم يذكر آخر القصة في متن واحد . بل ذكرها مفرقة في تفسير الآية .

قلت : وأبو عامر الراهب هو والد حنظلة غسيل الملائكة وعبارة الخازن : فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك . فقالوا يارسول الله : إنا قد بيننا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا ، وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة . فقال رسول الله ﷺ : إني على جناح سفر ، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه . فلما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك راجعاً ، نزل بذي أوان — وهو قريب من المدينة — فأتاه المنافقون . وسألوه أن يأتي مسجدهم . فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية . وأخبره خبر مسجد الضرار ، وماهموا به فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ... الخ ... ماذكره الواحدي * وقال ابن كثير : سبب نزول هذه الآيات الكريمات . أن كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج يقال له : أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وقرأ علم

أهل الكتاب . وكان فيه عبادة في الجاهلية . وله شرف في الخزرج كبير . فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة . واجتمع المسلمون عليه . وصارت للإسلام كلمة عالية . وأظهرهم الله يوم بدر . شرق اللعين أبو عامر بريقة وبارز بالعداوة . وظاهر بها ، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ . فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب . وقدموا عام أحد . فكان من أمر المسلمين ما كان . وامتحنهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين . وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين ، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ . وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى ، وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار . فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته ، فلما عرفوا كلامه . قالوا : لاأنعم الله بك عيناً يافاسق . ياعدو الله . ونالوا منه فسبوه . فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومي بعدي شر . وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره . وقرأ عليه من القرآن ، فأبى أن يسلم وتمرد . فدعا رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً ، فنالته هذه الدعوة ، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ، ورأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع وظهور ، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه ، وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أن سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ . ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه . ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء . فبنوه وأحكموه ، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك ، وجاؤا فسألوه رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته . وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء ... الخ .. ماتقدم ذكره في نفس السياق والمعنى . وهكذا بقية الأقوال في التفاسير ﴿ وَ ﴾ منهم ﴿ **الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً** ﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين كانوا يصلون في مسجد قباء ، فبنوا ذلك المسجد ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى اختلاف الكلمة بدليل قوله : ﴿ **ضِراراً** ﴾ أي مضارة لأهل مسجد قباء . وعلى القول بمصدرية ضراراً يكون المعنى . اتخذوه مضارين لإخوانهم

﴿ وكُفْراً ﴾ لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له . يقدم فيه من يأتي من عنده . وكان قد ذهب إلى الروم بالشام ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ كما علمت : ﴿ وتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم . ﴿ وإرْصَاداً ﴾ ترقباً ﴿ لِمَنْ حَارَبَ الله ورسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي قبل بنائه . وهو أبو عامر المذكور ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إنْ ﴾ ما ﴿ أرَدْنا ﴾ ببنائه ﴿ إلَّا ﴾ الفعلة ﴿ الْحُسْنَى ﴾ أي الخصلة الحسنى . لأن الحسنى صفة الموصوف محذوف . قال الزمخشري : ماأردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى . أو الإرادة الحسنى . وهي الصلاة * أي ماقصدوا ببنائه لشيء من الأشياء إلا الارادة الحسنى ، وذلك من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين . وقد وقفت على عبارة الخازن في هذا قبل قليل : ﴿ والله يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في ذلك ، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلى فيه فنزلت : ﴿ لاتَقُمْ ﴾ تصل ﴿ فيهِ أبداً ﴾ فامتثل وأرسل جماعة لهدمه وتحريقه ، وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف . ثم مدح الله مسجد قباء بقوله : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى ﴾ أي أنه رسول الله ﷺ ، وصلى فيه أيام مقامه بقباء ، وهو يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس من مقدمة مهاجراً من مكة . وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة . هذا على القول بأنه أقام هناك أربعة أيام . وقيل : أقام أربعة عشر . وقيل اثنين وعشرين . ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة ، وهو مسجد قباء كما في البخاري . وقيل : هو مسجد المدينة . وعبارة الكرخي : والتحقيق أنّ رواية نزوله في مسجد قباء لاتعارض تنصيصه صلى الله عليه وسلم على أنّه مسجد المدينة . فإنها لاتدل على اختصاص أهل قباء بذلك * والحق أنه لامنافاة بين الآية ، وبين الحديث الصحيح أنه مسجد المدينة . لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم من هجرة رسول الله ﷺ مع عدم إقامته الدائمة في قباء ، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى . وقوله : ﴿ أحقُّ أن تقوم فيه ﴾ أي تصلي فيه . ﴿ فيهِ رِجَالٌ ﴾ هم الأنصار من بنى عامر بن عوف الذي بنوه ﴿ يُحبُّونَ أنْ يتطهَّرُوا ﴾ أي من الأحداث والجنابات وسائر النجاسات . وهذا قول أكثر المفسرين . قال الإمام فخر الدين الرازي : المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب

والمعاصي . وعلل بعد ذلك بعدة وجوه .. ﴿ والله يحبُّ الْمُتَطهِّرِينَ ﴾ أي يثيبهم . وأنت ترى أن الآية نزلت في مسجد قباء لعدة قرائن قد وقفت عليها * فقد كان أهل قباء يجمعون الحجارة والماء في غسل أدبارهم من الغائط ، فاستحقوا المدح بذلك . فالدين نظيف لا تليق به إلا النظافة . أما القذارة فمن الشيطان عدو الرحمن *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ بأنَّ لَهُمُ الْجنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وعْداً عَلَيْهِ حقاً فِي التَّوْرَاةِ والإنْجيلِ والْقرْآنِ ومَنْ أوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فاسْتَبْشِرُوا ببيْعِكُمُ الّذي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ في الواحدي : قال محمد بن كعب القرظبي : لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً ، قال عبد الله بن رواحة يارسول الله : اشترط لربك ونفسك ماشئت : فقال : أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة . قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ، فنزلت هذه الآية * وكذا رواه ابن جرير عن عبد الله بن رواحة * وأخرج ابن سعد في طبقاته عن عباد بن الوليد بن عبادة بن الصامت . أن سعد بن زراره أخذ بيد رسول الله ﷺ ليلة العقبة ، فقال ياأيها الناس : هل تدرون علام تبايعون محمداً ؟ إنكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب والعجم والجن والإنس كافة ؟ فقالوا : نحن حرب لمن حارب وسلم لمن سالم . فقال يارسول الله : اشترط عليّ فقال : «تبايعوني على أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة ، والسمع والطاعة . ولا تنازعوا الأمر أهله . وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم» : قالوا : نعم . قال : قائل الأنصار : نعم هذا لك يارسول الله . فما لنا ؟ قال : «الجنة والنصر» . ونحوه في الخازن والكشاف وابن كثير وغيرها من التفاسير . قوله : ﴿ إنَّ الله اشْترى مِنَ الْمُؤْمنِينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوالَهم ﴾ بأن يبذلوها في طاعته وعبارة أبي السعود : ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه ، وقد بولغ في ذلك على وجه مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها بالجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية ، ثم جعل المبيع

الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم . وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ، ولم يجعل الأمر على العكس . بأن يقال : إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصود في العقد هو الجنة . وما بذله المؤمنون في مقابلتها وسيلة إليها إيذانا بكمال العناية بهم وبأموالهم . ثم إنه لم يقل بالجنة . بل قال : بأن لهم الجنة مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم ، واختصاصه بهم كأنه قيل : بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم * وقوله : ﴿ **بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ** ﴾ متعلق باشترى . وقرأ عمر بن الخطاب . إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بالجنة . وقوله : ﴿ **يُقَاتِلُون فِي سَبِيلِ الله** ﴾ في أبي السعود : يقاتلون في سبيل الله . استئناف لكن لا لبيان نفس الاشتراء لأن قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأموالهم بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور . كأنه قيل كيف يبيعونها بالجنة ؟ فقيل يقاتلون ..الخ ﴿ **فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** ﴾ أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي لأنه لا يمكن اجتماع الأمرين في الشخص الواحد بل يتحقق الفضل العظيم ، وإن لم يوجد واحد من الوصفين كما إذا وجدت المضاربة من غير قتل ، بل يتحقق الجهاد بمجرد العزم وتكثير السَّواد . وقوله : ﴿ **وعْداً عليه حَقاً** ﴾ أي تحقق وثبت ﴿ **في التَّوراةِ والإنْجيلِ والقرآن** ﴾ وفي هذا دلالة على أن الوعد بالجنة لهذه الأمة مذكور في كتب الله المنزلة . ﴿ **وَمَنْ أوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ الله** ﴾ أي لا أحد أوفى منه . فإن اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره منهم فكيف بجانب الخالق أكرم الأكرمين ؟ ﴿ **فاسْتَبْشِرُوا** ﴾ الاستبشار إظهار السرور ، والسين هنا ليست للطلب فهي للمطاوعة كاستوقد . والفاء ليست للتعصب بل للترتيب أي لترتيب الاستبشار على ما قبله وما بعده وهو ﴿ **بَيْعِكُمْ الّذي بَايَعْتُمْ به** ﴾ رسول الله ﷺ ﴿ **وذَلِكَ** ﴾ البيع ﴿ **هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ بالجنة والنعيم المقيم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ للنَّبيّ والَّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ ماتبيَّنَ لَهُمْ أنهم أصحابُ الْجَحِيمِ** ﴾ في الواحدي : حدث سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ . وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية . فقال : أي عم . قل معى لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل ، وابن أبي أمية : ياأبا طالب ،

أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة أبي طالب . فقال النبي ﷺ : لأستغفرن لك مالم أنه عنه . نزلت : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ رواه البخاري عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرازق عن معمر ، عن الزهري . ورواه مسلم عن حرملة عن ابن وهب عن يونس كلاهما عن الزهري * وفي اللباب : وأخرج الترمذي وحسنه الحاكم عن علي قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك . فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ** ﴾ الآية : وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود قال : خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى المقابر فجلس إلى قبر منها . فناجاهُ طويلاً . ثم بكى فبكيت لبكائه . فقال : إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي ، وإني استأذنت في الدعاء لها فلم يأذن لي . فأنزل الله : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ** ﴾ الآية * قال الحافظ ابن حجر : يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب متقدمة وهو أمر أبي طالب . ومتأخر وهو أمر آمنة وقصة عليّ . وجمع غيره بتعدد النزول * وفي رواية مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله ﷺ ينظر إلى المقابر ، وخرجنا معه فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه مناجاة طويلاً ، ثم ارتفع ، وجئنا رسول الله ﷺ فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ، ثم إنه أقبل إلينا ، فتلقاه عمر بن الخطاب ، فقال يا رسول الله : ما الذي أبكاك ، فقد أبكيتنا وأفزعتنا ؟ فجاء فجلس إلينا فقال : أفزعكم بكائي ؟ فقلنا : نعم ، فقال : إن القبر الذي رأيتموني أناجي فهو قبر آمنة بنت وهب . وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيها ، واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه — ونزل — ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ** ... ﴾ حتى ختم الآية : ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ** ﴾ فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة ، فذلك الذي أبكاني * وليس في التفاسير زائد على ما ذكر . أما التفسير : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ أي ما ينبغي ولا يجوز للنبي والمؤمنين ﴿ **أَنْ يَسْتَغْفِرُوا**

لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ كآزر وأبي طالب ﴿ **وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى** ﴾ ذوى قرابة كالآباء والأمهات والأعمام والعمات﴿ **مِنْ بَعْدِ ماتبيَّنَ لَهُمْ** ﴾ بأن ماتوا على الكفر ﴿ **أنهم أصحابُ الْجَحِيمِ** ﴾ النار لموتهم على الكفر بعد أن أنذرهم النذير . وقوله : ﴿ **وما كانَ اسْتِغْفَارُ ابْراهيم لأبيه إلّا عن موْعِدَةٍ وعدها إيَّاهُ** ﴾بقوله : سأستغفر لك ربي رجاء أن يسلم . قال الكرخي : وجه تعلق هذه الآية بما قبلها إنه تعالى لما بالغ في وجوب الانقطاع عن المشركين الأحياء والأموات بيّن أن هذا الحكم غير مختص بدين محمد ﷺ . بل هو مشروع أيضا في دين ابراهيم عليه السلام . فتكون المبالغة في وجوب الانقطاع أكمل وأقوى * وقوله : ﴿ **فَلَمَّا تَبينَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله** ﴾ بموته على الكفر ﴿ **تَبَرَّأَ مِنْهُ** ﴾ تحلل من الاستغفار له . ﴿ **إنَّ إبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ** ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿ **حَلِيمٌ** ﴾ صبور على الأذى . في أبي السعود : ﴿ **إنّ إبراهيم ...** ﴾ استئناف مسوق لبيان الحامل على الاستغفار قبل التبين . فليس لغيره أن يقتدي به فيه ، إذ ليس لغيره ماله من الرأفة والرحمة ، فلابد أن يكون غيره أكثر اجتنابا وتبريا * والتأوه أن يقول الرجل عند الشكاية والتوجع آه . والأواه الكثير التأوه . قال ابن مسعود : هو المؤمن التواب * وقال الحسن وقتادة : الأواه الرحيم بعباد الله * وقال مجاهد : الأواه الموقن . (الخازن) *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النبيِّ والْمُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ماكَادَ يَزيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمّ تَابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ...** ﴾ قد تقدم ما رواه البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال : لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدراً حتى كانت غزوة تبوك ، وهي آخر غزوة غزاها . وآذن الناس بالرحيل . فذكر الحديث بطوله . وفيه . فأنزل الله توبتنا . ﴿ **لَقَدْ تَابَ الله على النبيّ والمهاجرينَ ..** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إنَّ الله هو التَّوابُ الرحيمُ** ﴾ قال : وفينا أنزل أيضاً : ﴿ **اتَّقُوا الله وكونُوا مع الصَّادقينَ** ﴾ *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما كانَ الْمُؤْمِنونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائفَةٌ لِيَتفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ في الواحدي : روى الكلبي عن ابن عباس قال : لما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد ، قال المؤمنون : والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول

الله ﷺ . ولا سرية أبداً . فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعاً . وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : لما نزلت : ﴿ **إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾ وقد كان قد تخلف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم . فقال المنافقون : قد بقي ناس في البوادي . هلك أصحاب البوادي . فنزلت هذه الآية : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً** ... ﴾ وكذا في الخازن وابن كثير ، وعبارته عن مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب النبي ﷺ خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفاً ومن الخصب ما ينتفعون به . ودعَوا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرجا . وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي ﷺ فقال الله عز وجل : ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ** ﴾ وليستمعوا ما في الناس ، وما أنزل الله فعذرهم * وفي ابن كثير أيضا عن ابن عباس : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً** ﴾ إنها ليست في الجهاد . ولكن لما دعا رسول الله ﷺ على مضر بالسنين أجدبت بلادهم . وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يُحلُّوا بالمدينة من الجهد . ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون . فضيقوا على أصحاب رسول الله ﷺ . وأجهدوهم . فأنزل الله تعالى يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردهم رسول الله ﷺ إلى عشائرهم ، وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم . فذلك قوله : ﴿ **وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ الآية . وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية . كان ينطلق من كل حيّ من العرب عصابة ، فيأتون النبي ﷺ فيسألونه عما يريد من أمر دينهم ، ويتفقهون في دينهم . ويقولون للنبي ﷺ ما تأمرنا أن نفعله ؟ وأخبرنا بما نأمر به عشائرنا إذا قدمنا عليهم . قال : فيأمرهم نبى الله ﷺ بطاعة الله . وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا قومهم ، قالوا : إن من أسلم فهو منا ، وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه ، وكان النبي ﷺ يخبرهم وينذر قومهم فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة * فهذه ثلاثة روايات عن ابن عباس في الآية مختلفة في الألفاظ والمعاني . والظاهر قد تعددت الأسباب فنزلت الآية عامة في الجميع . وقد روى

الطبراني الروايات كلها . وقال : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : تأويله : وماكان المؤمنون لينفروا جميعاً ، ويتركوا رسول الله وحده وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين أن يخرجوا في غزو وجهاد ، وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله ﷺ وحيداً ، ولكن عليهم إذا أسرى رسول الله ﷺ سرية أن ينفر معه فرقة من كل قبيلة من قبائل العرب . الفرقة : الطائفة * وعبارته هنا غير مستقيمة . ولم تؤد المفهوم المراد . ﴿ **وماكانَ الْمُؤْمِنون لِيَنْفِرُوا** ﴾ إلى الغزو ﴿ **كافَّةً** ﴾ جميعاً ﴿ **فَلَوْلَا** ﴾ هلا ﴿ **نَفَرَ مِنْ كُلّ فِرْقَةٍ** ﴾ قبيلة ﴿ **مِنهُمْ طَائِفَةٌ** ﴾ جماعة ومكث الباقي ﴿ **ليتفقَّهُوا** ﴾ أي الماكثون ﴿ **في الدّين** ﴾ يتعلموا أحكامه وشرائعه ﴿ **وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ** ﴾ من الغزو بتعليمهم ماعلموه من الأحكام ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه . قال الزمخشري : ووجه آخر . وهو أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثاً بعد غزوة تبوك ، وبعد ماأنزل في المتخلفين من الآيات الشداد ، استبق المؤمنون من آخرهم إلى النفير ، وانقطعوا جميعاً عن استماع الوحي ، والتفقه في الدين ، فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ، ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر ، لأن الجدال بالحجة أعظم أثراً من الجلاد بالسيف * وقوله : ليتفقهوا : الضمير فيه للفرق الباقيةبعد الطوائف النافرة من بينهم : ﴿ **ولينذرُوا قومهم** ﴾ ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين * وقال الخازن : وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال إنها من بقية أحكام الجهاد ، ويمكن أن يقال إنها كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد ، فعلى الاحتمال الأول ، فقد قيل : إن النبي ﷺ كان إذا خرج إلى الغزو لم يتخلف عنه إلا منافق . أو صاحب عذر ، فلما بلغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون : والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله ﷺ ، ولا عن سرية يبعثها ، فلما قدم المدينة ، وبعث السرايا نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو وتركوا رسول الله ﷺ وحده فنزلت هذه الآية . فيكون المعنى ما ينبغي للمؤمنين . ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم إلى الجهاد ، ويتركوا رسول الله ﷺ . بل يجب أن ينقسموا قسمين ، فطائفة يكونون مع رسول الله ﷺ . وطائفة ينفرون إلى الجهاد . لأن ذلك الوقت كانت الحاجة داعية إلى انقسام أصحاب رسول الله

ﷺ إلى قسمين : قسم للجهاد . وقسم لتعلم العلم ، والتفقه في الدين لأن الأحكام والشرائع كانت تتجدد شيئاً بعد شيء . فالملازمون لرسول الله ﷺ يحفظون ما نزل من الأحكام وماتجدد من الشرائع . فإذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك * في الآية إشارة إلى وجوب التفقه في الدين ، والاستعداد لتعليمه في مواطن الاقامة . وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذي تصلح به حالهم فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن أن يتعرفها *

سورة يونس وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ منهم أن أَنْذِرِ النَّاسَ وَبشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولاً أنكرت الكفار . وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي لباب السيوطي وأنزل : **﴿ وماأرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالاً ... ﴾** الآية ، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا : وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة **﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا القرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْن عظيم ﴾** يقولون : أشرف من محمد . يعنون الوليد بن المغيرة من مكة . ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف ، فأنزل عليهم : **﴿ أهم يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّك ... ﴾** الآية * ونحوه في الطبري والخازن وغيرهما : أما التفسير : **﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ ﴾** أي أهل مكة وهو استفهام انكاري **﴿ عَجَباً ﴾** أي أن يتعجبوا من إرسال هذا الرسول لهم ، فهذا رد عليهم في قولهم : العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب ، وهو من فرط حماقتهم . وقصر نظرهم على الأمور العاجلة . وجهلهم بحقيقة الوحي مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يقصر عن عظائهم فيما يعتبرونه إلا في المال . مع أن خفة المال أليق بحاله ﷺ ، وما هو بصدده ، ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم السلام قبله كذلك .

والعجب : حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة ، ومجيء الرسول عليه الصلاة والسلام موافقاً لها : وما من أمة إلا خلا فيها نذير . وعبارة ابن كثير ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً ﴾ الآية . يقول تعالى منكراً على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر كما أخبر تعالى عن القرون الماضين من قولهم : ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنا ﴾ وقال هود وصالح لقومهما ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُم ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُم عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾ وقال تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَذا لشيء عُجَابٌ ﴾ ثم أورد السبب الذي ساقه الواحدي : وقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾ إي إيحاؤنا بواسطة جبريل ﴿ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ﴾ محمد ﷺ . فيكفيهم شرفاً نسبة محمد ﷺ إليهم لو كانوا يعقلون وقوله : ﴿ أن أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ أي خوف الكافرين بالعذاب المنتظر إذا لم يؤمنوا (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ ربّهم) أي أجراً حسناً بما قدموا من الأعمال الصالحة المقرونة بالإيمان . وقدم صدق . من إضافة الموصوف إلى الصفة لمسجد الجامع . وحب الحصيد ، وفائدة هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ، ومدح القدم لأن كل شيء أضيف إلى الصدق فهو ممدوح . وفي الخازن : واختلفت عبارات المفسرين . وأهل اللغة في معنى قدم صدق . فقال ابن عباس : أجراً حعناً بما قدموه من أعمالهم * وقال الضحاك : ثواب صدق * وقال مجاهد : الأعمال الصالحة : صلاتهم وصومهم وصدقهم وتسبيحهم * إلى آخر ماذكر من أقوال . وقوله : ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذا ﴾ القرآن المشتمل على التوحيد والأحكام والمعاد والوعد والوعيد ﴿ لَسِحْرٌ مبينٌ ﴾ بين . وفي قراءة : لَسَاحِرٌ . والمشار إليه النبي ﷺ . والسحر ليس في شيء منها إذ هو طلاسيم الأولين جاء الإسلام للتنفير منه بتكفير متعاطيه إذ هو لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله ، وإن كانوا يعنون سحر بلاغته ، وأسره للقلوب فهو حجة بينة على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ * فتبين كذب مايدعون *

سورة هود وبيان مافيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ

أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ في الواحدي : نزلت في الأخنس بن شريق ، وكان رجلاً حلو الكلام . حلو المنظر . يلقى رسول الله ﷺ بما يحب ويطوي بقلبه مايكره * وقال الكلبي : كان يجالس النبي ﷺ يظهر له أمراً يسره . ويضمر في قلبه خلاف مايظهر . فأنزل الله تعالى : ﴿ **ألا إنهم يثنون صدورهم** ﴾ يقول : يكتمون ما في صدورهم من العدواة لمحمد ﷺ * وفي لباب السيوطي : روى البخاري عن ابن عباس في قوله : ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ يثنونَ صدورهم** ﴾ قال : كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء ، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء . فنزل ذلك فيهم * قلت : وقد فسر البخاري قوله ﴿ **يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ** ﴾ شك وامتراء في الحق ليستخفوا منه : من الله إن استطاعوا * قال الزمخشري : يزورون عن الحق ، وينحرفون عنه . لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ، ومن ازور عنه وانحرف ثنى عن صدره وطوى عن كشحه * وقيل نزلت في بعض المنافقين . وقيل في بعض المشركين كان النبي عليه السلام إذا مر عليه يثنى صدره ، ويطأطيء رأسه كيلا يراه . فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام بما ينطوي عليه صدورهم . ويثنون : يكتمون ما فيها من العداوة . وقوله : ﴿**لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ** ﴾ أي من الله . وقيل من الرسول . وهو من القرآن . قلت : وأخرج البخاري عن ابن عباس أنه قرأ : ألا إنهم يثنون صدورهم . قلت : أي القائل محمد بن عباد بن جعفر – ياأبا العباس : مايثنون صدورهم ؟ قال كان الرجل يجامع امرأته فيستحى أو يتخلى فيستحى . فنزلت : ﴿ **أَلَا إنهم يثنونَ صدورهم** ﴾ وفيه . عن ابن عباس : ﴿ **يَسْتَغْشُون** ﴾ يغطون رؤسهم . وتفسير ذلك ماوفقت عليه في رواية أبي أسامة . في عمدة القارىء : كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تَغَشَّوْا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء . فنزل ذلك . أي قوله : ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ يثنون ..** ﴾ الآية . وهذا ماأوضحه ابن كثير في رواية ابن عباس قال رضى الله عنه : كانوا يكرهون أن يستقبلوا السماء بفروجهم . وحال وقاعهم . فأنزل الله هذه الآية . وروى عن مجاهد والحسن وغيرهما . أي أنهم كانوا يثنون صدورهم إذا قالوا شيئاً أو عملوه فيظنون أنهم يستخفون من الله بذلك . فأخبرهم الله تعالى أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل

﴿ **يَعْلَمُ مايُسّرون** ﴾ من القول ﴿ **وما يُعْلِنُون * إنَّهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ** ﴾ أي يعلم ماتكن صدورهم من النيات والضمائر والسرائر *.. وبقية الأقوال نحو ماذكر . أما التفسير : ﴿ **ألَا إنّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ** ﴾ يزورون عن الحق ، وينحرفون عنه ﴿ **لَيستَخْفُوا مِنهُ** ﴾ يعني من رسول الله ﷺ ذكره الخازن . وقال مجاهد : من الله عز وجل . وهو الصحيح لأن ماقبله أي الضمير ﴿ **إلى الله مرجعكم وهو على كُلّ شيء قدير * ألَا إنَّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه** ﴾ أي ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على أزوارهم ﴿ **ألَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ** ﴾ يتغطون بها بقصد الاستخفاء . ومن الجائز كراهة الاستماع لكلام الله كقول نوح عليه السلام في صفة قومه : جَعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا * على الكفر ومما يؤيد كون مرجع الضمير إلى الله تعالى قوله : ﴿ **يَعْلَمُ مايُسِرُّون وَمَا يُعْلِنون** ﴾ أي لاتفاوت في علمه تعالى بين إسرارهم واعلانهم . فلا وجه لتوصلهم إلى مايريدون من الاستخفاء ، والله مطلع على ثنيهم صدورهم ، واستغشاهم ثيابهم ونفاقهم غير نافع عنده ، قيل نزلت في المنافقين . وهو الصحيح . ولذا قال ابن جرير : واختلف قارئوا ذلك كذلك في تأويله . فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين . كان إذا مر رسول الله ﷺ غطى وجهه وثنى ظهره وأسنده إلى عبد الله بن شداد قال : كان المنافقون إذا مروا به ثنى أحدهم صدره . ويطأطيء رأسه فقال الله : ﴿ **ألَا إنّهم يثنون صدورهم** ﴾ وسياق الآية يدل عليه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ أَخَّرنا عَنهُمُ العَذابَ إلَى أُمَّةٍ مَعْدُودةٍ ليقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ألَا يَوْمَ يأتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنهُمْ وحَاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يستهزِؤنَ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : لما نزل : ﴿ **اقْتربَ للنّاسِ حِسَابَهُمْ** ﴾ قال ناس : إنَّ الساعة قد اقتربت فتناهوا ، فتناهى القوم قليلاً ، ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء ، فأنزل الله : ﴿ **ولَئِنَ أخَّرنا عَنهُمْ إلَى أُمّةٍ مَعْدُودةٍ ..** ﴾ الآية ، ولم أجد مايعضد هذا القول فيما تحت يدى من التفاسير . أما التفسير : ﴿ **وَلَئِنْ أخّرْنا عَنهُمُ العذابَ إلَى امّةٍ مَعْدُودةٍ** ﴾ أي ولئن أخرنا عنهم عذاب الآخرة ، أو عذاب يوم

بدر إلى جماعة من الأوقات معدودة : معلومة ، أو قلائل . والمعنى إلى حين معلوم في علمنا وهو مقتضي سننا في خلقنا ، وبيناه في كتابنا بقولنا : ﴿ **لكل أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾ ﴿ **لَيَقُولُنَّ** ﴾ استهزاءً ﴿ **مايَحْبِسُهُ** ﴾ ؟ أي أيُّ شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقاً . ثم توعدهم بنزوله فقال : ﴿ **ألَا يَوْمَ يأتيهِمْ** ﴾ في الوقت المعلوم لنا ﴿ **لَيْسَ مصْروفاً** ﴾ العذاب ﴿ **عَنْهُمْ** ﴾ إلى غيرهم . فلا يصرفه عنهم صارف ولا يحبسه عنهم حابس ﴿ **وحاقَ بِهِمْ ماكانُوا بِهِ يسْتَهْزِؤن** ﴾ أي وسيحيط بهم العذاب من كل جانب . وهو ملاقيهم أينما كانوا . ولا منجى منه ولا مهرب ، ويقال لهم : ذوقوا ما كنتم به تستعجلون *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللّيْلِ إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذَلِكَ ذِكْرىٰ لِلذَّاكِرِينَ * واصْبِرْ فإنّ الله لا يُضيعُ أجْرَ المحسنينَ** ﴾ في الواجدي : عن عبد الله ابن مسعود قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : إني عالجت امرأة في أقصى المدينة . وإنى أصبت منها دون أن آتيها ، وأنا هذا فاقض في ما شئت قال : فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك ، فلم يرد عليه النبي ﷺ . فانطلق الرجل ، فاتبعه رجل ودعاه فتلا عليه هذه الآية . فقال رجل يارسول الله : هذا له خاصة ؟ قال : لا . بل للناس كافة * رواه مسلم عن يحى ، ورواه البخاري عن طريق يزيد بن زريع ، وفي رواية أنه أصاب منها قبلة ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له . وفي رواية موسى بن طلحة أن كنية الرجل . أبو اليسر بن عمرو . قال أبو اليسر : أتتني امرأة وزوجها بعثه النبي ﷺ في بعث . فقالت : بعنى بدرهم تمراً ، قال : فأعجبتني . فقلت : إن في البيت تمراً هو أطيب من هذا فالحقيني ، فغمزتها وقبلتها ، فأتيت النبي ﷺ

فقصصتُ عليه الأمر، فقال: خنتَ رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بهذا، وأطرق عنى، فظننت أنى من أهل النار، وأن الله لا يغفر لى أبداً، وأنزل الله تعالى: «**وأَقِمِ الصَّلاة طرفَى النَّهارِ..**» الآية. فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه * قلت: والحديث أخرجه ابن أبى خيثمة. لكن قال: إن رجلاً من الأنصار يقال له:

معتب. وقيل: اسمه نبهان التّمار. وقيل: عمرو بن غزيّة. وقيل: عامر بن قيس. وقيل: عباد بن عمرو بن داود بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي. والله أعلم. وحديث نبهان التمار أخرجه الثعلبي وغيره من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس. أن نبهان التّمار أتته امرأة حسناء جميلة تبتاع منه تمراً فضرب على عجيزتها، ثم ندم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إياك أن تكون امرأة غاز في سبيل الله. فذهب يبكي و يصوم و يقوم فأنزل الله: **«والّذينَ إذا فَعَلُوا فَاحِشَةً أو ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله»** فأخبره، فحمد الله وقال يارسول الله: هذه توبتي قبلت، فكيف لي بأن يتقبل شكري فنزلت: **«وأَقِمِ الصَّلاة طَرَفَي النَّهار..»** الآية * قيل: إن ثبت هذا حمل على واقعة أخرى لما بيْن السياقين من المغايرة وفي رواية أحمد والطبراني من حديث ابن عبّاس، فقال يا رسول الله: إليَّ خاصة، أم للناس عامّة؟ فضرب عمر رضي الله عنه صدره، وقال: لاَ، ولا نعمة عيْن بل للناس عامّة، فقال صلى الله عليه وسلم: صدق عمر. قال هيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني في الكبير وقال فيه: فرفع عمر يده فضرب صدره فقال: لا، والله ولا كرامة، ولكن للناس عامّة، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: صدق عمر. وقال: وعن ابن عباس أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان تحته امرأة، فأستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة، فأذن له، فانطلق في يوم مطير، فإذا بالمرأة على غدير ماء تغتسل، فلمّا جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يحرّك ذكره، فإذا هو هدبة، فقام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صل أربع ركعات. فأنزل الله تبارك وتعالى: **«وأقِمِ الصَّلاة طرفَي النَّهارِ وزُلَفاً مِنَ الليْلِ إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيآتِ»** الآية * قال الهيثمي: رواه البزار. ورجاله رجال الصحيح. وهكذا بقيّة الأقوال لا تخرج عما ذكرت.

أما التفسير: **«وأقِمِ الصَّلاةَ»** داوم على إقامتها وأدها على الوجه القوم **«طَرَفَى النّهارِ»** من كل يوم والمراد: الغداة والعشيّ. أي صلاة الصبح والظهر والعصر. **«وزُلَفاً»** جمع زلفة، أي طائفه **«من اللّيْلِ»** المغرب والعشاء **«إنَّ الْحَسَنَاتِ»** كالصلوات الخمس الواجبة والمندوبة **«يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ»** الذنوب الصغائر، وقد علمت أنها نزلت فيمن غمز أو قبلّ امرأة أجنبيّة: **«ذَلِكَ»** المذكور من الأمر بالاستقامة

في قوله قبل هذه الآية: «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ...» وما بعده «ذكرى للذاكرين» عظة للمتعظين. ولا يظننّ أحد أن الشارع قد تهاون بمثل تلك الذنوب الصغيرة بتكفيرها بالصلوات ليتخذ ذلك ذريعة إلى العبث في أعراض الناس من غمز واحتكاك وقبلة، فإن الإصرار عليها كبيرة واجتناب الكبائر واجب. ثم أمر بالصبر على التكاليف المذكورة أمراً ونهياً. ونصّ على أن الإتيان بها إحسان وأن جزاءه سيحصل لا محالة فقال: «واصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين» أي ووطّن نفسك على احتمال المشقة في سبيل ما أُمرت به، وما نهيت عنه، فإنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً بل يوفيه ثواب عمله من غير بخس له، وفي الآية إيماء إلى أن الصّبر من باب الإحسان.

سورة يوسف وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ»

في الواحدي: قال سعد بن أبي وقاص في قوله عزّ وجلّ: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاهُ عليهم زماناً، فقالوا يا رسول الله: لو قصصت فأنزل الله تعالى: «الر * تلك آياتُ الكتاب المبين» إلى قوله: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» الآية فتلاه عليهم زماناً، فقالوا يا رسول الله: لو حدّثتنا، فأنزل الله تعالى:

﴿ الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ كِتَاباً متشابهاً ﴾ قال: كل ذلك ليؤمنوا بالقرآن * رواه الحاكم أبو عبيد الله في صحيحه عن أبي بكر العنبري. وقال عوف بن عبد الله: مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة. فقالوا يا رسول الله: حدثنا، فأنزلنا الله تعالى: ﴿ الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث .. ﴾ الآية قال: ثم إنهم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله: فوق الحديث ودون القرآن. يعنون القصص. فأنزل الله تعالى: ﴿ نحن نقصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث. وأرادوا القصص. فدلهم على أحسن القصص * والتفسير واضح. وجميع الأقوال في التفاسير نحو ما ذكر.

سورة الرعد وبيان مافيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فيصيبُ بهَا مَنْ يَشاءُ وهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شديدُ الْمِحَالِ** ﴾ في الواحدي : قال أنس بن مالك : إن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب . فقال : اذهب فادعه لي ، فقال يارسول الله : إنه أعتى من ذلك . قال : اذهب فادعه لي . قال : فذهب إليه ، فقال : يدعوك رسول الله . قال : وماالله ؟ أمن ذهب هو ؟ أو من فضة ؟ أو من نحاس ؟ قال : فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره وقال : وقد أخبرتك أنه أعتى من ذلك ، فقال : كذا وكذا . فقال : ارجع إليه الثانية فادعه ، فرجع إليه ، فعاد عليه مثل الكلام الأول . فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره . فقال : ارجع إليه . فرجع الثالثة . فأعاد عليه ذلك الكلام . فبينما هو يكلمه إذ بعثت إليه سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة ، فذهبت بقحف رأسه . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فيصيبُ بهَا مَنْ يَشاءُ وهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شديدُ الْمِحَالِ** ﴾ وقال ابن عباس في رواية أبي صالح وابن جرير وابن زيد : نزلت هذه الآية والتي تليها أي ﴿ **سواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أسرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ به** ﴾ نزلت في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة . وذلك أنهما أقبلا يريدان رسول الله ﷺ ، فقال رجل من أصحابه يارسول الله : هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك ، فقال : دعه فإن يرد الله به خيراً يهده . فأقبل حتى قام عليه . فقال يا محمد : مالي إن أسلمت ؟ قال : لك ماللمسلمين وعليك ماعليهم . قال : تجعل لى الأمر بعدك . قال : لا ، ليس ذلك إليّ ، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء . قال : فتجعلني على الوبر ، وأنت على المدر . قال : لا . قال : فماذا تجعل لي ؟ قال : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها . قال : أو ليس ذلك إلى اليوم ؟ وكان أوصى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه . فدار أربد خلف النبي ﷺ ليضربه ، فاخترط من سيفه شبراً ، ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله . وجعل عامر يومىء إليه ، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد

ومايصنع بسيفه ، فقال : اللهّم اكفنيهما بما شئت . فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته . وولى عمر هارباً . وقال يامحمد : دعوت ربك فقتل أربد . والله لأملأنها عليك خيلاً جُرداً وفتيا مرداً . فقال رسول الله ﷺ : يمنعك الله تعالى من ذلك . وابنا قيلة . يريد الأوس والخزرج ، فنزل عامر بيت امرأة سلولية ، فلما أصبح ضم عليه سلاحه فخرج وهو يقول : واللات لئن أصحر محمد إلى وصاحبه — يعني ملك الموت لأنفذهما برمحي . فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكاً فلطمه بجناحيه فأذراه في التراب ، وخرجت على ركبته غدة في الوقت كغدة البعير ، ومات في بيت السلولية . ثم مات على ظهر فرسه . وأنزل الله تعالى فيه هذه القصة . ﴿ **سَوَاءٌ مِنْكُمْ منْ أسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَر بِهِ** ﴾ الآية . حتى بلغ : ﴿ **ومادُعَاءُ الكافِرِينَ إلَّا في ضلالٍ** ﴾ * وفي اللباب نحو قطعة منه وهو في الطبراني وفي الأوسط والكبير ذكروا الرواتين . ورواه أبو يعلي والبزار بنحوه ورجال البزار — رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة . وكذا بقية الأقوال في التفاسير . أما التفسير : ﴿ **وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ** ﴾ هي نار تتولد من السحاب وتنزل بقوة شديدة فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان قال صاحب الغرائب : ووجه الاستلال بها على الصانع أن النار حارة يابسة ، وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للأجزاء المائية فيه ، وحصول الضد من الضد لايكون بالطبع ، وإنما بتدبير القادر المختار وتسخيره * وقوله : ﴿ **فيصيبُ بهَا مَنْ يَشاءُ** ﴾ اصابته بها فيهلكه . ﴿ **وهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ** ﴾ أي يجادلون في شأنه تعالى ، وفيما وصفه به الرسول من كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية . وإعادة الناس للجزاء على أعمالهم يوم العرض والحساب . ﴿ **وَهُوَ شديدُ الْمِحَالِ** ﴾ أي وهو سبحانه لا يغالب ، فهو شديد البطش والكيد لأعدائه ﴿ **له دعْوَةَ الْحَقِ** ﴾ أي له تعالى الدعاء والتضريع الواقع حيث ينبغي أن يكون ، والمجاب حين وقوعه . أي إن إجابة ذلك له تعالى دون غيره .

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجبَالُ أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأمْرُ جميعاً أَفَلَمْ يَيْأسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ الله لَهَدى النَّاسَ جميعاً ولَا يَزالُ الَّذِينَ كفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قارِعةٌ أوْ تَحُلُّ قَرِيباً من**

دَارِهِمْ حَتَّى يأْتِىَ وَعْدُ الله إنَّ الله لايُخْلِفُ الْميعَادَ ﴾ فى الواحدى : أخرج الطبرانى وغيره عن ابن عباس قال : قالوا للنبي ﷺ : إن كان كما تقول فأرنا أشياخنا الأول نكلم من الموتى . وافسح لنا هذه الجبال حيال مكة التي قد زاحمتنا . فنزلت الآية * وأخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن عطية العوفي قال : قالوا للنبي ﷺ : لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع ، فنحرث فيها . أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح . أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحى الموتى لقومه فأنزل الله الآية * وكذا في ابن كثير ومجمع الزوائد والطبري وفيه ألفاظ مختلفة وفي المعنى متقاربة أن كفار قريش طلبوا من محمد ﷺ دلالة على صدق نبوته أن يسيّر لهم الجبالَ لتتسع لهم أرض مكة ، أو يقرب لهم بلاد الشام لأنهم يتجرون إليها ، أو يحى لهم آباءهم ليكلّموهم فنزلت الآية .

أما التفسير «ولَوْ أنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ» عن أماكنها وأزيلت عن مستقرّها إلى مكان آخر. هذا طلب أوّل ، والثاني «أوْ قُطِّعتْ بِهِ الأرض» أي شقّت فجعلت أنهاراً وعيوناً من خشية الله عند قراءته . والثالث «أوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» بأن يَحْيُوا بقراءته فتكلم معهم بعد لَمَا آمنوا . فردَّ الله عليهم بقوله : «بَلْ لله الأمْرُ جميعاً» أي مرجع الأمور كلها بيد الله . فهو القادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات ، لكنَّ الإرادة لم تتعلّق بذلك لعلمه أن قلوبهم لا تلين ، ولا يجدى هذا فائدة في إيمانهم . ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوه طمعاً في إيمانهم «أفَلَمْ ييْأسِ» يعلم «الَّذِينَ آمَنُوا أن لَوْيَشَاءُ الله لَهَدى النَّاسَ جميعاً» ؟ إلى الإيمان من غير آية ، ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم ، وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره ، والمعنى أنّه تعالى لم يهد جميع الناس لعدم مشيئته ذلك «ولاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا» من أهل مكّة «تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا» بصنعهم ، أي كفرهم ، ومعلوم أنَّ الباء هنا سببيّة ، وما مصدريّة «قارِعَةٌ» داهية تقرعُهُم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب «أوْ تَحُلُّ» يا محمد بجيْشك «قَريباً مِنْ دارِهِمْ» مكّة ، وقد حلّ بالحديبية في السنة السادسة ، ومنعوه من دخول مكة ، وصالحوه على أن يمكّنوه من الدخول في السّنة التى بعدها ... «حَتَّى يأتِىَ وَعْدُ الله» بالنصر عليهم ، وقد جاء بحمد الله بفتح مكة «إذا جَاءَ نَصْرُ الله والفتح» «إنَّ الله لا يُخْلِفُ الميعَادَ» لما وعد ، وكان وعد الله مأتيا .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى: «**يَمْحُوا اللهُ ما يَشَاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**»

في اللباب: أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل «**وما كَانَ لنبيٍّ أنْ يأتي بآية إلاَّ بإِذْنِ اللهِ**» ما نراك يا محمد تملك من شيء لقد فرغ من الأمر. فأنزل الله «**يَمْحُوا اللهُ ما يَشَاءُ ويُثْبِتُ**» * وفي ابن كثير: فأنزلت هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم: إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا * وفي الخازن: «**يَمْحُوا اللهُ ما يشَاءُ ويثبتُ**» وذلك أنهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غداً، وما سبب ذلك إلا أنه يقول من تلقاء نفسه. فأجاب الله عن هذا الإعتراض بقوله: «**يَمْحُوا اللهُ ما يَشَاءُ ويثبت**» وقال: جواب لشبهة أخرى من طرفهم. حاصلها أنهم قالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر كاستقبال بيت المقدس ثم يأمرهم غداً بخلافه، كاستقبال الكعبة، وما ذلك إلا لكونه يقولُه من تلقاء نفسه، فأجابهم الله بقوله: «**يَمْحُوا اللهُ ما يشَاءُ..**» * قوله: «**وعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**» أصله الذي لا يتغيّر منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل. والأم الأصل * وفي الكرخي عن ابن عباس: الكتاب اثنان: كتاب يمحو الله ما يشاء فيه، وكتاب لا يغيّر، وهو علم الله، والقضاء المبرم * وأما نحو خبر: صلة الرحم تزيد في العمر. فمحمول على زيادة البركة، أو على زيادة ما في اللوح المحفوظ لا ما في أم الكتاب * وقد أثر عن أئمة السلف في: «**يَمْحُوا اللهُ ما يشاء ويُثْبِتُ**» أقوال منها قول الحسن: يمحو الله من جاء أجله ويثبت من بقي أجله * ومنها قول عِكْرمة: يمحو الله القمر ويثبتُ الشمس * ومنها قول الربيع: يقبض الله الأرواح حين النوم فيميت من يشاء ويمحوه، ويرجع من يشاء فيثبته * ومنها قول السّدى: مثل قول عكرمة، ومنها قول سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدّله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله * ومنها قول ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت الأرزاق والأجل والسعادة، والشقاوة، ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصوّرها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال يارب: أذكر أم أنثى؟

فيقضي ربك ما يشاء، فيكتب الملك، ثم يقول يارب: أجله؟ فيقول ربّك ما يشاء، ويكتب الملك، ثم يقول الملك يارب، رزقه؟ فيقول ربك: ما يشاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك الصحيفة، فلا يزيد على أمر ولا ينقص) أخرجه مسلم * وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (أن خلق أحدكم يجمع في بطن أُمّه نطفة أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقيّ أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بنيه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها) وهذه يستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقّياً أو الشقيّ سعيداً

زيادة إيضاح لمعنى قوله: يَمْحُوا اللهُ ما يشَاءُ

يجب الاعتقاد بأن الله عز وجلّ عالم بالآجال والأرزاق والسعادة والشقاوة وحقيقة العلم: معرفة المعلوم على ما هو عليه. ومثال ذلك: فإذا علم الله أن فلان من الناس سيموت في وقت كذا فهنا يستحيل أن يموت قبله أو بعده لقوله تعالى: «**فإذا جاءَ أجَلُهُمْ لا يَسْتأخِرونَ سَاعةً ولاَ يَسْتَقْدِمونَ**» إذاً الآجال لا تزيد ولا نتقص أما زيادة العمر بصلة الرحم يجاب عنها:

١ - إما أن تكون زيادة بالبركة في عمره بالتوفيق لعمل الطاعات وعمارة وقته بما ينفعه في دنياه وآخرته.

٢ - وإمّا أن تظهر الملائكة على اللوح المحفوظ فيروه أن عمره مثلاً سبعون سنة إلاَّ أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له عشر سنين. وقد علم الله في الأزل ما سيقع من ذلك، وهو معنى قوله: «**يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ ويثبتُ**». ذلك بالنسبة لما يظهر

من تصور الزيادة. ونحو هذا المفهوم من انقلاب الشقى سعيداً وبالعكس فيتصور في واقع الحال لأن الكافر الشقي قد يسلم.

فينقلب من الشقى الأبدي إلى السعادة الأبدية . ومثله العاصي فقد يتوب ويحسن العمل فينقلب من الشقاوة إلى السعادة ، وبالعكس . فقد ينقلبون ـــ والعياذ بالله ـــ من السعادة إلى الشقاوة . فيرتد المسلم ويموت مرتداً ، ويفتن الطائع في المعاصي ويموت على معصيته وذلك انقلاب من السعادة إلى الشقاوة . والأصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت . ومايختم الله به له . وهو المراد من علم الله الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل .

أقوال العلماء في معني المحو والإثبات

القول الأول : وهو حمل الآية على ظاهرها . وهي عامة في كل شيء : فيزيد الله ما يشاء في الرزق والأجل الخ ... وهو قول عمر وابن مسعود رضي الله عنهما . قالا : يمحو السعادة والشقاوة . ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء . روى أن عمر رضي الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول : اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها . وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة ، فامحني منها . وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة . فإنك تمحو ماتشاء وتثبت ، وعندك أم الكتاب . وروى مثله عن ابن مسعود ، ورد في بعض الآثار عنه أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمتد إلى ثلاثين سنة ذكره البغوي بدون سند . وروى بسنده عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره . فيمحو ما يشاءُ ويثبت *

القول الثاني : حمل بعض العلماء معنى الآية على الخصوص في بعض الأشياء دون بعض . فقالوا : المراد بالمحو والإثبات . نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم *

القول الثالث : إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحوا الله ما يشاء من ديوان الحفظة مما ليس فيه ثواب ولا عقاب . مثل قول القائل أكلت وشربت الخ .. وهو

قول الضحاك . وقال الكلبي يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب *

القول الرابع : لابن عباس رضي الله عنه . هو الرجل يعمل بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله ، فهو الذي يمحو ، والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ، ثم يموت وهو في طاعته ، فهو الذي يثبت *

القول الخامس : للحسن رضي الله عنه : يمحو الله ما يشاء . يعني من جاء أجله فيذهبه . ويثبت من لم يجيء أجله .

القول السادس : لسعيد بن حبير : يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها . ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها *

القول السابع : لعكرمة : يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ، ويثبت بدل الذنوب حسنات *

القول الثامن : للسدى : يمحو الله ما يشاء يعني القمر ، ويثبت الشمس *

القول التاسع : للربيع . هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم . فمن أراد موته محاه وأمسكه . ومن أراد بقاءه أثبته وردّه إلى صاحبه *

القول العاشر : إن الله يثبت في أول كل سنة حكمها فإذا مضت السنة محاه وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة *

القول الحادي عشر : هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ، ثم يمحوها الدعاء والصدقة * قلت : والذي تسكن إليه النفس هو قول من قال نسخ للأحكام الشرعية كمحو استقبال بيت المقدس في الصلاة إلى استقبال الكعبة ، ومحو حكم العدة من الحول إلى أربعة أشهر وعشر . ومحو التخفيف في القتال . ونحو ذلك . فيكون المعنى : يمحو الله ما يشاء أي ينسخ ما يشاء نسخه من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت . ويثبت بدله ما فيه المصلحة أو يبقيه على حاله غير منسوخ . والله أعلم .

سورة إبراهيم وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أجد فيها إلا ذكر سبب نزول آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ أخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال : نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر . أي من المشركين * وفي ابن كثير : وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : هو جَبَلَةُ بن الأيهم . والذين اتبعوه من العرب . فلحقوا بالروم . وذكر عطاء أنه سمع ابن عباس ﴿ ألم تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْراً ﴾ قال : هم كفار أهل مكة . قال ابن كثير : وهو الصحيح . وإن كان المعنى يعم جميع الكفار . فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين . ونعمة للناس فمن قبلها . وقام بشكرها دخل الجنة . ومن ردها وكفر دخل النار * وفيه أن ابن الكواء سأل عليًّا عن الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومه دار البوار : قال : هم كفار قريش يوم بدر . وفي رواية عنه قال : منافقوا قريش .. وفي قول عنه . مشركو قريش أتتهم نعمة الله بالإيمان فبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار . وفي رواية عنه قال : هم الأفجران من قريش : بنو أمية ، وبنو المغيرة ، فأما بنو المغيرة . فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر . أوما بنو أمية فأحلوا قومهم دار ا لبوار يوم أحد . وكان أبو جهل يوم بدر . وأبو سفيان . يوم أحد . وأما دار البوار . فهي جهنم وأما التفسير فواضح .

سورة الحجر وبيان ما فيها أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : كانت تصلي خلف النبي ﷺ امرأة حسناء في آخر النساء ، وكان بعضهم يتقدم إلى الصف الأول لئلا يراها . وكان بعضهم يتأخر في الصف الآخر . فإذا ركع قال هكذا ونظر من تحت إبطه ، فنزلت : ﴿ ولَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ قلت : ورواه الترمذي والنسائي : والحاكم وغيرهم زاد الحاكم في مستدركه : وجاء في يديه * أي ينظر من تحت

إبطه . قال الحاكم : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي . وفي الواحدي أيضا : وقال الربيع بن أنس : حرّض رسول الله ﷺ على الصف في الصلاة ، فازدحم الناس عليه ، وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد ، فقالوا : نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب : وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح أنه سأل سهل بن حنيف الأنصاري : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ** ﴾ أنزلت هذه الآية في سبيل الله ؟ قال : لا ، ولكنها في صفوف الشام * وقد اعتبر ابن كثير أن حديث ابن عباس في الآية . فيه نكارة شديدة رغم رواية مسلم له والحاكم وغيرهما من أصحاب السنن . ونقل عن محمد بن كعب في ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ** ﴾ الميت والمقتول . ﴿ **والْمُسْتَأْخِرِينَ** ﴾ من يخلق بعد * قلت : ولعله ربط الآية التي سبقتها فيها وهي قوله : ﴿ **وإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ ونَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ** ﴾ أي من تقدم من الخلق بالموت من لدن آدم ﴿ **ولَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخرِينَ** ﴾ من يخلق ويقدم إلى يوم القيامة ، وهو توجيه سديد لأن الآية الثانية كالبيان للأولى لأنه لا يبقى أحد سواه . فيزول ملك كل مالك . ويبقى جميع المالكين المستقدمين والمستأخرين لنا . والتفسير واضح *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى : ﴿ **وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُم أَجْمَعِينَ** ﴾ فر ثلاثة هارباً من الحزن لا يعقل ، فجيء به للنبي ﷺ ، فسأله : فقال يا رسول الله : أنزلت هذه الآية : ﴿ **وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُم أَجْمَعِينَ** ﴾ فوالذي بعثك بالحق ، لقد قطعت قلبي . فأنزل الله : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ** ﴾ ولم أجد غير هذا القول في التفاسير . بل لم أجد فيها ما يعضده . أما التفسير ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وعُيُونٍ** ﴾ أي مستقرون فيها خالدون لكل واحد جنة وعين . أو لكل منهم عدة منها . كقوله تعالى : ﴿ **وَلِمنَ خَافَ مقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ قال ابن عباس : المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك بالله سبحانه والكفر به * قال جمهور الصحابة والتابعين وهو الصحيح لأن المتقي هو الآتي بالتقوى ، ولو مرّة واحدة . كما أن الضارب هو الآتي بالضرب ولو مرة واحدة . والقاتل هو الآتي بالقتل ولو مرة واحدة . فكما أنه

ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضارباً وقاتلاً أن يكون آتياً بجميع أنواع الضرب والقتل . فكذلك ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقياً أن يكون آتياً . بجميع أنواع التقوى لأن الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يكون آتياً بالتقوى ، لأن كل فرد من أفراد الماهية يحسب كونه مشتملاً عل تلك الماهية . وبهذا التحقيق استدلوا على أن الأمر لا يفيد التكرار . وإذا ثبت ذلك فأجمعت الأمة على أن التقوى عن الكفر شرط في حصول الحكم بدخول الجنة . وقال الجبائي وجمهور المعتزلة : هم الذين اتقوا جميع المعاصي . قالوا : لأنه اسم مدح لا يتناول إلا من كان كذلك . (الكرخي) *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ونَزَعْنَا مٰافِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً على سُرُرٍ مُتَقَابِلينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فيهَا نَصَبٌ ومٰاهُمْ بِمُخْرَجِينَ** ﴾ في الواحدي : حدث عليّ بن هشام عن كثير النوا . قال : قلت لأبي جعفر إن فلاناً حدثني عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعليّ رضي الله عنهم — ﴿ **ونَزَعْنَا مٰافِي صُدُورِهِمْ ...** ﴾ الآية ؟ قال : والله إنها لفيهم نزلت . وفيهم نزلت الآية . قلت : وأي غل هو ؟ قال : غل الجاهلية : إن بنى تيم وعدى وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة . فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا . فأخذت أبو بكر الخاصرة فجعل عليّ يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر . فنزلت الآية * وروى الطبري عن أبي موسى أنه سمع الحسن البصري يقول : قال عليٌّ : فينا نزلت والله أهل بدر : ﴿ **ونَزَعْنَا مٰافِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً على سُرُرٍ مُتَقَابِلينَ** ﴾ ولم أعثر على غير ما ذكر . أما التفسير : ﴿ **ونَزَعْنَا مٰافِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ** ﴾ الغل الحقد الكامن في القلب ، ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء . والحقد والحسد . فكل هذه الخصال المذمومة داخل في الغل لأنها كامنة في القلب . روى أن المؤمنين يقفون على باب الجنة وقفة بعضهم من بعض . ثم يؤمر بهم إلى الجنة . وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد . حال كونهم ﴿ **إِخْواناً على سُرُرٍ مُتَقَابِلينَ** ﴾ أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم . والسرير مشتق من السرور . فهو مجلس رفيع عال موطأ للسرور . قال ابن عباس : أي على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت ، والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية ﴿ **لَا يَمَسُّهُمْ فيهَا نَصَبٌ** ﴾تعب من كثرة التنزه

والسهر ، وليس هناك ليل ولا نهار . ﴿ وماهُمْ بِمُخْرَجِينَ ﴾ أبداً *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **نَبِّيء عِبَادِي أَنّي أنا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ في الواحدي : روى ابن المبارك باسناده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه قال : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي دخل منه بنو شيبة . ونحن نضحك . فقال : لا أراكم تضحكون . ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر ، رجع إلينا القهقرى ، فقال : إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد : يقول الله تعالى عز وجل : لِمَ تقنّطْ عبادي ؟ ﴿ **نبّيء عبادِي أَنّي أنا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وأنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ** ﴾ * جلَّ جلاله ماألطفه وأرحمه بعباده !!! وفي لباب السيوطي : أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال : مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون . فقال : أتضحكون ؟ وذكر الجنة والنار بين أيديكم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ **نَبِيءْ عِبَادِي أَنّي أنا الْغِفُورُ الرَّحِيمُ . وأنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** ﴾ * أضاف الله عباده المؤمنين إليه تشريفاً لهم . فاللهم اجعلنا منهم لننال هذا الشرف العظيم . ألا ترى أنه قال لنبيه محمد ﷺ : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » ولما ذكر تعالى الرحمة والمغفرة بالغ في

التأكيدات بألفاظ ثلاثة أولها قوله : أني . وثانيها : أنا . وثالثها : إدخالها الألف واللام على قوله : الغفور الرحيم . ولما ذكر العذاب لم يقل إني أنا المعذب وماوصف نفسه بذلك قال : « وأن عذابي هو العذاب الأليم » . ولما أمر رسول الله ﷺ بإبلاغهم ذلك . فكأنه أشهد على نفسه في التزام المغفرة والرحمة . ولما قال : نبيء عبادي . أي أخبر عبادي . أي كل من كان معترفاً بعبوديتى وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك يدخل فيه المؤمن العاصي . فكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة بعباده من الله تعالى .*

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَاتَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَامَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَاتَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ في الواحدي : قال الحسين بن الفضل : إن سبع قوافل وافت من بصري وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر ـــ بالفتح نوع

من الثياب ــ وأوعية الطيب والجواهر . وأمتعة البحر . فقال المسلمون : لو كانت هذه الأموال لنا لتوقينا بها . فأنفقناها في سبيل الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال : لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل * ويدل على صحة هذا القول : ﴿ **لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ** .. ﴾ الآية . وكذا في الخازن . وفي ابن كثير . عن أبي رافع : صاحب النبي ﷺ قال : ضاف النبي ﷺ ضيف ، ولم يكن عند النبي ﷺ أمر يصلحه ، فأرسل إلى رجل من اليهود يقول لك محمد رسول الله : أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب ، قال : لا إلَّا بِرَهْنٍ ، فأتيت النبي ﷺ ، فأخبرته ، فقال : أما والله إني لأمين من في السماء . وأمين من في الأرض ، ولئن أسلفني أو باعني لأودين إليه . فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية : ﴿ **لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ** .. ﴾ الآية . كأنه يعزيه عن الدنيا * وهكذا بقية الأقوال : أما التفسير : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب : ﴿ **الحمدُ لله ربّ الْعَالمين** .. ﴾ ، وهو قول عمر ، وعليٍّ وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة والربيع والكلبي ، ويروى ذلك مرفوعاً أخرج البخاري عن أبي سعيد بن المعلي . قال : مربي النبي ﷺ وأنا أصلي ودعاني فلم آته حتى صليت ، ثم أتيت . فقال « مامنعك أن تأتي » ؟ فقلت كنت أصلي ، فقال « ألم يقل الله : ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسوله » ثم قال : « ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد » ؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكرته . فقال : « الحمد لله رب العالمين : هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » . وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم » أم القرآن : الفاتحة . وإنا سميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى . ومن التعبد بالأمر والنهي ، ومن الوعد والوعيد . ولما فيها من الأصول الثلاثة : المبدأ والمعاش ، والمعاد . والقرآن العظيم عطف على أم القرآن ، وماورد في مجمع الزوائد عن واثلة بن الأسقع « ولقد آتيناك سبع من المثاني » أن رسول الله ﷺ قال : أعطيت مكان التوراة السبع الطوال .. » قال الهيثمي : رواه أحمد وفيه عمران القطان . وثقة ابن حبان ، وغيره وضعفه النسائي وغيره * قال : وعن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ**

الْمَثَانِي ﴾ قال : هي السبع الطوال ..، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح * قلت : ويعني بالسبع الطوال . السبع السور من القرآن . البقرة ومابعدها . فعن ابن عباس قال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف قال اسرائيل وذكر السابعة فنسيتها * وعن سعيد بن جبير قال : هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس * فهن الفرائض والحدود * وسئل : ماالمثاني ؟ قال : يثنى فيهن القضاء والقصص . وقال الطبري : حدثني سعيد بن يحى الأموي قال : ثنى أبي . قال ثنا ابن جريج . قال : أخبرنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : في قوله تعالى ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني** ﴾ قال هي فاتحة الكتاب فقرأها عليّ ستاً ، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم . الآية السابعة . وقال : قد أخرجها الله لكم وماأخرجها لأحد قبلكم * قلت ومارواه البخاري هو الصحيح لأنه نص صحيح صريح في أن الفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم . ولكن لاينافي غيرها من السبع الطوال لما فيها من هذه الصفة . كما لاينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً لقوله تعالى : ﴿ **الله نَزَّلَ أحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهَا مثَاني** ﴾ فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه . وهو القرآن العظيم * أما التفسير : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي** ﴾ قد علمت قوله عليه الصلاة والسلام أنها الفاتحة رواه الشيخان . وأخرج الحاكم في مستدركه عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «السبع المثاني فاتحة الكتاب» قال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم . ولم يخرجاه . قلت : وقد رواه مسلم أيضاً مرفوعاً عن أُبيّ بن كعب به . وأخرج الحاكم أيضاً عن ابن عباس قال : أُوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني والطوال .وأوتى موسى ستاً . قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي * وروايته هنا ليست تفسيراً للسبع المثاني بل هي إخبار عن الإيتاء . وقد تقدم قبل قليل التوفيق بين الأقوال . وقوله : ﴿ **والْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ أي وآتيناك جميع القرآن العظيم . وهو من عطف الكل على البعض إن أريد بالقرآن المجموع الشخصي . أو من عطف العام على الخاص إن أريد به القدر المشترك الصادق على الكل والبعض . وقوله : ﴿ **لَاتَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ** ﴾أي لاتطمح ببصرك طموح راغب ﴿ **إلَى مَامَتَّعْنَا بِهِ أزْواجاً مِنْهُمْ** ﴾ أي أصنافا من الكفار فإنه مستحقر بالإضافة

إلى ما أوتيته من السبع المثاني والقرآن العظيم . فإنه كمال مطلوب بالذات مفضٍ إلى دوام اللذات . وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : من أوتي القرآن فرأى أنّ أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغَّر عظيماً . وعظَّم صغيراً ، قوله ﴿ **ولَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ** ﴾ لأجل عدم إيمانهم ﴿ **واخْفِضْ جَنَاحَكَ** ﴾ ألن جانبك كناية عن الرفق بهم ، وحسن التدبير ، والشفقة من خفض الطائر جناحه على الفروخ وضمها إليه . ﴿ **وقُلْ إنّي أنَا النَّذيرُ الْمُبينَ** ﴾ من عذاب الله أن ينزل بكم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزئينَ** ﴾ وفي اللباب أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك . قال : مر النبي ﷺ على أناس بمكة . فجعلوا يغمزون في قفاه . ويقولون : هذا الذي يزعم أنه نبي ، ومعه جبريل ، فغمز جبريل بأصبعه . فوقع مثل الظفر في أجسادهم . فصارت قروحاً حتى نتنوا ، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم ، فأنزل الله : ﴿ **إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزئينَ** ﴾ * وكذا في ابن كثير . وفي الخازن ﴿ **إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزئينَ** ﴾ كانوا خمسة نفر من رؤساء قريش . كانوا يستهزؤن بالنبي ﷺ وبالقرآن. وهم الوليد بن المغيرة المخزومي . وكان رأسهم . والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة . وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه . فقال : اللهم أعم بصره ، واثكله بولده . والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . والحرث بن قيس بن عيطلة . كذا ذكره البغوي . وقال ابن الجوزي . الحرث بن قيس بن عيطلة . وقال الزهري : عيطلة أمه . وقيس أبوه . فهو منسوب إلى أبيه وأمه . قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ . والمستهزؤن يطوفون بالبيت ، فقام جبريل ، وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فمر به الوليد بن المغيرة ، فقال جبريل يا محمد : كيف تجد هذا ؟ قال : بئس عبد الله فقال : قد كفيته . وأومأ إلى ساق الوليد . فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبلا له ، وعليه برد يماني ، وهو يجر إزراره ، فتعلقت شظية من النبل بإزار الوليد ، فمنعه الكبر أن يطاطىء رأسه . فينزعها وجعلت تضربه في ساقه ، فخدشته ، فمرض منها فمات ، ومر بهما العاص بن وائل السهمي . فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد ؟ فقال : بئس عبد الله فأشار جبريل إلى أخمص قدمه . وقال :

قد كفيته ، فخرج العاصى على راحلة يتنزه ، ومعه ابناه ، فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطىء شبرقة ، فدخل منها شوكة في أخمص رجله . فقال : لدغت لدغت ، فطلبوا فلم يجدوا شيئا ، وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير ، فمات مكانه ، ومر بهما الأسود بن عبد المطلب ، فقال جبريل : كيف تجد هذا يا محمد ؟ فقال : عبد سوء ، فأشار جبريل بيده إلى عينيه ، وقال : كفيته فعمى . قال ابن عباس : رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ، ووجعت عينه ، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك . وفي رواية الكلبي . قال : أتاه جبريل ، وهو قاعد في أصل شجرة . ومعه غلام له . وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة ، ويضرب وجهه بالشوك . فاستغاث بغلامه . فقال له غلامه : ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً غيرك . فمات وهو يقول : قتلني محمد ، ومر بهما الأسود بن عبد يغوث . فقال جبريل : كيف تجد هذا يا محمد :؟ فقال : بئس عبد الله على أنه خالي . فقال جبريل : قد كفيته ، وأشار إلى بطنه . فاستسقى بطنه فمات ، وفي رواية الكلبي : أنه خرج من أهله فأصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشياً ، فأتى أهله فلم يعرفوه ، وأغلقوا دونه الباب ، فمات وهو يقول : قتلني رب محمد . ومر بهما الحرث بن قيس . فقال جبريل : كيف تجد هذا يا محمد ؟ فقال : عبد سوء ، فأومأ جبريل إلى رأسه ، وقال : قد كفيته . فامتخط قيحا فقتله . وقال ابن عباس : إنه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش . فلم يزل يشرب الماء حتى أنقد بطنه فمات . فذلك قوله : ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾ أما التفسير فواضح *

سورة النحل وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : لما أنزل الله تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ قال الكفار بعضهم لبعض : إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت ، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن . فلما رأوا أنه لا ينزل شيء . قالوا : ما نرى شيئاً فأنزل الله تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَ للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾ فأشفقوا

وانتظروا قرب الساعة . فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد : ما نرى شيئاً مما تخوفنا به : فأنزل الله : ﴿ **أتى أمْرُ الله** ﴾ فوثب النبي ﷺ . ورفع الناس رؤسهم . فنزلت : ﴿ **فلا تستعجلُوه** ﴾ فاطمأنوا . فلما نزلت هذه الآية : قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين . وأشار بأصبعه إن كادت لتسبقني » وقال الآخرون : الأمر هاهنا : العذاب بالسيف . وهنا جواب للنضر بن الحارث حين قال : اللهم إن كانا هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء» يستعجل العذاب . فأنزل الله تعالى هذه الآية * ونحوه في الخازن وغيره . والتفسير واضح *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ الله مَنْ يَمُوتُ بلَى وعْداً عليْهِ حقًّا ولٰكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ في الواحدي : قال الربيع بن أنس عن أبي العالية : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين . فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به : والذي أرجوه بعد الموت . فقال المشرك : وإنك لتزعم أنك لتبعث بعد الموت ، فأقسم بالله لا يبعث الله من يموت . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وكذا رواه الخازن . وفيه قاله أبو العالية . وكذا رواه الطبري عن أبي العالية . أما التفسير : ﴿ **وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِمْ** ﴾ أقسموا حلفوا . أي غاية اجتهادهم ، وسمى الحلف قسماً لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق ومكذب ﴿ **لَا يَبْعَثُ الله مَنْ يَمُوتُ** ﴾ قال الخازن : تقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت أن الإنسان ليس إلا هو هذه البنية المخصوصة . فإذا مات وتفرقت أجزاؤه ، وبلى امتنع عوده بعينه لأن الشيء إذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ، ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه . فهذا هو أصل شبهتهم ، ومعتقدهم في إنكار البعث بعد الموت . فذلك قوله تعالى : ﴿ **وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ الله مَنْ يَمُوتُ** ﴾ فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى : ﴿ **بلَى** ﴾ يعني بلى يبعثهم بعد الموت لأن لفظ بلى اثبات لما بعد النفي . والجواب عن شبهتهم . أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأوجده من العدم ، ولم يك شيئاً فالذي أوجده بقدرته ، ثم أعدمه ، قادر على ايجاده بعد اعدامه ، لأن النشأة الثانية أهون من الأولى * وقوله : ﴿ **وعْداً عليْهِ حقًّا** ﴾ مصدران مؤكدان

منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وعداً ، وحق حقاً . أي ثبت ثبوتاً . لأن الحق بمعنى ثبت ووجب . والتقدير : بلى يبعثهم وعد بذلك وعداً وحقاً لا خلف فيه : ﴿ **ولٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ** ﴾ أي لا يفهمون كيف يكون ذلك العود ، والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذِينَ هَاجَرُوا في الله من بعد ما ظُلِمُوا لنبوئنَّهُمْ في الدُّنْيا حَسَنَةً ولَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الّذِينَ صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتوكَّلُون** ﴾ في الواحدي : نزلت في أصحاب النبي ﷺ بمكة . بلال وصهيب ، وخباب وعامر وجندل بن صهيب . أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم . فبوأهم الله تعالى بعد ذلك المدينة * وكذا في الخازن قال ابن كثير : يحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ليتمكنوا من عبادة ربهم . ومن أشرافهم عثمان بن عفان ، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ . وجعفر بن أبي طالب بن عم الرسول . وأبو سلمة بن عبد الأسود في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صديق وصديقه رضي الله عنهم وأرضاهم * أما التفسير : ﴿ **والّذِينَ هَاجَرُوا في الله** ﴾ لاقامة دينه ﴿ **من بعد ما ظُلِمُوا** ﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿ **لَنبَوِّئَنَّهُمْ** ﴾ ننزلنهم ﴿ **في الدُّنْيا** ﴾ داراً ﴿ **حَسَنَةً** ﴾ هي المدينة ﴿ **ولَأَجْرُ الآخِرَةِ** ﴾ أي الجنة ﴿ **أَكْبَرُ** ﴾ أعظم ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ أي الكفار ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم . هم ﴿ **الّذِينَ صَبَرُوا** ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿ **وعَلَى رَبِّهِمْ يَتوكَّلُونَ** ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون . (الجلال) روى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له : خذ هذا بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله في الدنيا ، وما ادخر لك في الآخرة أفضل ، ثم يقول : هذه الآية أي يقرأ هذه الآية *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ** ﴾ في الواحدي : نزلت في مشركي مكة . انكروا نبوة محمد ﷺ . وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً . فهلا بعثت إلينا

ملكاً ؟ فأنزل الله الآية * وكذا في الخازن وابن كثير والطبري والنهر . أما التفسير : ﴿ وما أرسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلَّا رِجَالًا نُوحِي إلَيْهِمْ ﴾ لا ملائكة. ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ الخطاب لكفار مكة . والمراد بأهل الذكر العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه. وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ . ذلك أن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم بالكتب القديمة ، وقد أرسل الله إليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهما من الرسل . وكانوا بشراً مثلهم ، فإذا سألوهم فلابد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً ، فإذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم . والمعنى إذا أخبركم أهل الكتاب عن حاله ، وأخبركم المؤمنون عن حاله كنتم إلى تصديق أهل الكتاب أقرب لاشتراكهم معهم في الكفر ، فبينكم وبينهم رباطة . فاسألوهم عن حاله المقرر في كتبهم . وعن كل الرسل السابقين بشراً وملائكة وغير ذلك *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ الله مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَىءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجهْراً هَلْ يَسْتَوونَ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في هشام بن عمرو . وهو الذي ينفق ماله سرًّا وجهراً ، ومولاه أبو الجوزاء الذي كان ينهاه فنزلت . ﴿ وضَرَبَ الله مَثَلاً رجلَين .. ﴾ فالأبكم منها الكل — على مولاه — هذا السيد أسد بن العيص ، والذي يأمر بالعدل ، وهو على صراط مستقيم . وهو عثمان بن عفان . وذكر السيوطي في قوله : ﴿ رَجُلَيْن أحدهما أبكم ﴾ قال : نزلت في عثمان ومولى له كان يكره الإسلام ويأباه . وينهاه عن الصدقة والمعروف . فنزلت فيهما : وفي الخازن وقال عطاء في قوله : ﴿ عَبْداً مَمْلُوكاً ﴾ هو أبو جهل بن هشام ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً ﴾ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه * وكذا في الطبري والغرائب وغيرهما نحوه . أما التفسير : ﴿ ضَرَبَ الله مَثَلاً ﴾ أي ذكر وبين ووضح مثلا للدلالة على وحدانيته ونفى الشريك ﴿ عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَىءٍ ﴾ من التصرفات لعدم ملكه ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجهْراً ﴾ أي يتصرف فيه كيف يشاء . والأول المملوك . مثل الأصنام . والثاني مثله تعالى . ومغزاه أن العبد

المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فماظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين ولنا . قال : ﴿ **هَلْ يَسْتَوونَ** ﴾ في التعظيم والاجلال. الجواب . لا . ﴿ **الْحَمْدُ لله** ﴾ وحده ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ** ﴾ أي أهل مكة ﴿ **لَايَعْلَمُونَ** ﴾ مايصيرون إليه من العذاب . وحمد الله نفسه لأنه المستحق لجميع المحامد . لأنه المنعم المتفضل على عباده . وهو الخالق الرازق . لاهذه الأصنام التي عبدها هؤلاء ، فإنها لاتستحق الحمد لأنها جمادات عاجزة لايدلها على أحد ولامعروف فتحمد عليه . إنما الحمد الكامل لله تعالى لالغيره ، فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لأنه أهل الحمد والثناء الحسن *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنْكِرُونَها وأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُون** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله : فقرأ عليه : ﴿ **والله جَعَلَ لكُمْ منْ بُيُوتِكُمْ سكناً** ﴾ قال الأعرابيُّ : نعم ، ثم قرأ عليه ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ من جُلُودِ الأَنْعَام بيوتاً تَسْتَخِفُّونَها يوْمَ ظَعنِكُمْ ويوْمَ إقَامَتِكُمْ** ﴾ قال : نعم . ثم قرأ عليه كل ذلك يقول نعم ، حتى بلغ ﴿ **كذلك يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** ﴾ فولى الأعرابي فأنزل الله : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله ثُمَّ يُنْكِرُونَها وأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُون** ﴾ * ولم أجد غير هذا القول فيما تحت يدى من تفاسير : أما التفسير : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ الله** ﴾ أي يقرون بأنها من عنده ﴿ **ثُمَّ يُنْكِرُونَها** ﴾ بإشراكهم قال السدى : نعمة الله يعني محمداً ﷺ أنكروه وكذبوه . وقيل : نعمة الله هي الإسلام . وهي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ، ثم إن كفار مكة أنكروه وجحدوه * وقال مجاهد وقتادة : نعمة الله ماعدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بأنها من عند الله ، ثم قيل صدقوا وامتثلوا أمر الله فيها ينكرونها . ويقولون : ورثناها عن آبائنا . وقال الكلبي : لما ذكر الله هذه النعم قالوا : هذه النعم كلها من الله لكنها بشفاعة آلهتنا * والمعنى : لايشكرونها بالتوحيد . وجيء بثم في قوله : ثم ينكرونها للدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن من عرف النعمة حقه أن يعترف لاأن ينكرها . ﴿ **وأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُون** ﴾ بالتوحيد والنعم . أو وأقلهم الجاهلون بأنها أي النعمة منه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الله يَأْمُرُ بالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالساً إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر ــ هكذا في جميع الروايات ــ إلى رسول الله ﷺ : ألا تجلس ؟ فقال : بلى . قال : فجلس رسول الله ﷺ مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء . فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض ، فتحرف رسول الله ﷺ عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره ، فأخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه مايقال له ، وابن مظعون ينظر . فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصره رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى إلى السماء . فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال يا محمد : فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة ؟ فقال : «وما رأيتني فعلت» ؟ قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعه على يمينك ، فتحرفت إليه وتركتني ، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك . قال : «وفطنت لذلك» ؟ فقال عثمان : نعم ، قال رسول الله ﷺ : «أتاني رسول الله ــ أي جبريل عليه السلام ــ آنفاً وأنت جالس» قال : رسول الله ؟ قال : «نعم» قال : فما قال لك ؟ قال : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» الآية . قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي . وأحببت محمداً ﷺ * وهو باللفظ والحرف في ابن كثير : اسناده جيد متصل حسن قد بين فيه السماع المتصل ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً * قلت : وقد وقفت على معنى الكشر في الحديث : وهو ظهور الأسنان للضحك وكاشره : إذا ضحك في وجهه وباسطه . والحديث رواه أحمد والطبراني . وفي مجمع الزوائد وابن كثير وعن عمرو بن أبي العاص ، قال : كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذا شخص ببصره ، ثم صوبه حتى كاد أن يلزق بالأرض قال : وشخص ببصره قال : أتاني جبريل . فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة : ﴿ **إنَّ الله يَأْمُرُ بالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ رواه أحمد واسناده حسن . أما التفسير : ﴿ **إنَّ الله**

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ أي التوحيد أو الإنصاف . وعبارة البيضاوي : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ** ﴾ أي بالتوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك . والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر ، وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ، وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير * ﴿ **والإِحْسَانِ** ﴾ أداء الفرائض . أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث ﴿ **وإِيتَاءِ** ﴾ إعطاء ﴿ **ذِي الْقُرْبَى** ﴾ أي التصدق على ذي القربى . فإن ايتاءهم صلة وصدقة قال عليه الصلاة والسلام : « إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم » ﴿ **وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ** ﴾ الزنا ﴿ **والْمُنْكَرِ** ﴾ قال : اجتمع مسروق وشتير بن شكل في المسجد ، فقال مسروق : هل سمعت عبد الله بن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن حلال وحرام . وأمر ونهى ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغِي** ﴾ إلى آخر الآية ؟ قال : نعم . وأناقد سمعته . رواه الطبراني . وقوله : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ تتعظون . أو تتنبهون . وليس مقصودا منه الترجي والتمني . فإن ذلك محال على الله تعالى فوجب أن يكون معناه أنه تعالى يعظكم لارادة أن تذكروا طاعته *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يقُولُونَ إنّما يُعلِّمُه بشَرٌ لِسَانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلِيْهِ أعْجَمِيٌّ وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مبينٌ** ﴾ في الواحدي : حدث حصين عن عبيد الله بن مسلم قال : كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر : اسم أحدهما يسار والآخر خير ، وكانا يقرآن كتباً لهم بلسانهم . وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما . وكان المشركون يقولون يتكلم منهم . فأنزل الله تعالى فأكذبهم ــ ﴿ **ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يقُولُونَ إنّما يُعلِّمُه بشَرٌ لِسَانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إلِيْهِ أعْجَمِيٌّ وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مبينٌ** ﴾ وفي اللباب : أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعلم فيّناً بمكة اسمه بلعام . وكان أعجمي اللسان . وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا : إنما يعلمه بلعام . فأنزل الله : ﴿ **ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يقُولُونَ إنّما يُعلِّمُه بشَرٌ ...** ﴾ وفيه أيضاً . وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال : كان لنا

عبدان : أحدهما يقال له يسار والآخر جبر ، وكان صقليين ، فكانا يقرآن كتابهما ، ويعلمان علمهما ، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما . فقالوا : إنما يتعلم منهما : فنزلت * قوله : جَبْرٌ ــ بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة . وفي البيضاوي : وهو غلام عامر بن الحضرمي ، وقيل يعنون جبراً ويساراً كانا يصنعان السيوف بمكة . ويقرآن التوراة والإنجيل . وكان الرسول ﷺ يمر عليهما .ويسمع مايقرآنه . وقيل : يعنون عائشاً غلام وهو حويطب بن عبد العزى قد أسلم . وكان صاحب كتب . وقيل : يعنون سلمان الفارسي * وكذا في ابن كثير والطبري . وفي ابن كثير : وقال الزهري عن سعيد بن المسيب : الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فارتد بعد ذلك عن الإسلام . وافترى هذه المقالة قبحّة الله * وفي الخازن : وقال عكرمة : وكان رسول الله ﷺ يقرىء غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش ، فكان يقرأ الكتب ، فقالت قريش : إنما يعلمه يعيش * وذكر عدة أقوال لا تخرج عما ذكر ثم قال : والحاصل أنّ الكفار تهموا رسول الله ﷺ . وقالوا : إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ، ثم إنه يضيفهما لنفسه . ويزعم أنه وحي من الله عز وجل ، وهو كاذب في ذلك ، فأجاب الله عنه . وأنزل هذه الآية تكذيباً لهم فيما رموا به رسول الله ﷺ من الكذب * أما التفسير : ﴿ **وَلَقَدْ** ﴾ للتحقيق أي حقيق ﴿ **نَعْلَمُ** ﴾ علماً مستمراً ﴿ **أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إنّما يُعلِّمُه** ﴾ القرآن ﴿ **بشَرٌ** ﴾ إنما أداة حصر : أي لا يعلم محمداً القرآن إلا بشر أي لا جبريل كما يدعى فأكذبهم تعالى بقوله : ﴿ **لِسَانُ** ﴾ لغة ﴿ **الّذِي يُلْحِدُونَ** ﴾ يميلون ﴿ **إليْهِ** ﴾ أي يضيفونه وينسبون إليه أنه يعلمه ﴿ **أعْجَميٌّ** ﴾ الأعجمي الذي لم يتكلم بالعربية . وقال الراغب الأعجم من في لسانه عجمة عربيا كان أو غير عربي اعتباراً بقلة فهمه والأعجمي منسوب إليه ﴿ **وهذا** ﴾ القرآن الذي جاءكم به رسول الله ﷺ ﴿ **لِسَانٌ عَرَبيٌّ مبينٌ** ﴾ ذو بيان وفصاحة . والأعجمي تمنعه عجمته من الاتيان بفصيح الكلام . ومحمد ﷺ جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه . وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة ، فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله . وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون إليه . فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد ﷺ وحي أوحاه الله إليه ، وليس هو من تعليم الذي تشيرون إليه . ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل . ويروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه . (الخازن) *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلَّا منْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ ولكنْ مَنْ شَرَحَ بالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ** ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : نزلت في عمار بن ياسر ، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً ، وأن سمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً . فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجىء قبلها بحربة ، وقيل لها : إنك أسلمت من أجل الرّجال ، فقتلت ، وقتل زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام ، وأما عمار فإنه أعطاهم ماأرادوا بلسانه مكرها . فأخبر النبي ﷺ بأن عماراً كفر . فقال : كلا ، إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه ، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ، وقال : إن عادوا لك فعد لهم بما قلت : فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة أخذ المشركون بلالاً وخباباً وعمار بن ياسر . فأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقيةً ، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدثه ، فقال : كيف كان قلبك حين قلت ؟ أكان منشرحاً بالذي قلت ؟ قال : لا . فأنزل الله : ﴿ **إلَّا منْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ ...** ﴾ الآية * وفي الواحدي والسيوطي : وأخرج عن مجاهد قال : نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا . فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا ، فخرجوا يريدون المدينة ، فأدركتهم قريش بالطريق . ففتنوهم . فكفروا مكرهين . ففيهم نزلت هذه الآية * وعبارة الخازن : نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر . وذلك أن الكفار أخذوه وأباه ، وهو ياسر وأمه ، وهي سمية ، وأخذوا أيضاً صهيباً وبلالاً وخباباً فعذبوهم ليرجعوا عن الإيمان . فأما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين ، وضربها أبو جهل بحربة في فرجها ، وقتل زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين في الإسلام ، وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ماأرادوا بلسانه مكرهاً . فإنهم قالوا له : اكفر بمحمد . فبايعهم على ذلك ، وقلبه كاره . فأخبر النبي ﷺ أن عماراً كفر . فقال : كلا ، إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه ، فأتى عمار وهو يبكي . فقال : رسول الله ﷺ : ماوراءك ؟ قال : شر يارسول الله نلت منك ماذكرت ، فقال : وكيف وجدت قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان . فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه . وقال : إن عادوا لك فقل لهم ماقلت . فنزلت هذه الآية * وفي

البيضاوى : وفيما فعله عمار دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه . وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه اعزازاً للدين كما فعله أبواه ولما روى أن مسيلمة أخذ رجلين . فقال : لأحدهما : ماتقول في محمد ؟ قال رسول الله . قال : ماتقول فيَّ قال أنت أيضاً . فخلاه ، وقال للآخر : ماتقول في محمد ؟ قال رسول الله . قال : ماتقول فيَّ ؟ قال : أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً . فأعاد جوابه فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ . فقال : أما الأول فقد أخذ برخصة الله . وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له * وتفسير الشق الأول من الآية واضح . وقوله : ﴿ **ولكِن مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صدْراً** ﴾ له . أي فتحه ، ووسعه بمعنى طابت به نفسه ﴿ **فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ في الآخرة *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغفُورٌ رحيمٌ** ﴾ الآية متصلة بما قبلها : في الواحدي : قال قتادة : ذكر لنا أنه لما أنزل الله تعالى قبل هذه الآية أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلامهم حتى يهاجروا ، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة ، فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت : ﴿ **الٓمٓ * أحسب الناس أنْ يُتْركُوا أنْ يقُولُوا آمنَّا وهُمْ لايُفْتَنُونَ** ﴾ فكتبوا بها إليهم . فبايعوا بينهم على أن يخرجوا ، فإن لحقهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله . فأدركهم المشركون . فقاتلوهم فمنهم من قتل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وصَبَرُوا ...** ﴾ الآية . وفي الخازن : نزلت هذه الآية في عباس بن ربيعة ، وكان أخا أبى جهل من الرضاعة ، وقيل كان أخاه من أمه ، وفي أبي جندل بن سهل بن عمرو . والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام ، وعبد الله بن أوس الثقفي . فتنهم المشركون وعذبوهم . فأعطوهم بعض ماأرادوا ليسلموا من شرهم ، ثم إنهم بعد ذلك هاجروا . وجاهدوا * وقال الحسن وعكرمة نزلت في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم ، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستنزله الشيطان فارتد ، ولحق بدار الحرب ، فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بقتله . فاستجاره عثمان . وكان أخاه لأمه . فأجاره رسول الله ﷺ . فأتى به فأسلم وحسن إسلامه . قال : وهذا القول الصحيح إنما يصح إذا قلنا إن هذه الآية مدنية نزلت

بالمدينة . فتكون من الآيات المدنيات في السور المكيات . والله أعلم بحقيقة ذلك *
قلت : وقال قتادة : إن هذه السورة مكية إلا خمس آيات وهي قوله : ﴿ **والّذِينَ هَاجَرُوا فِي الله بَعْدَ مٰاظلمُوا ...** ﴾ وقوله : ﴿ **ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰافُتِنُوا** ﴾ وقوله : ﴿ **وإنْ عَاقبتُم** ﴾ إلى آخر السورة . وزاد مقاتل : ﴿ **مَنْ كَفر بالله مِنْ بَعْدَ إيمانه ..** ﴾ الآية ﴿ **وضَرَبَ الله مَثَلاً قرية كانت آمنة مطمئنة** ﴾ أما التفسير : ﴿ **ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُوا** ﴾ إلى المدينة . ﴿ **مِنْ بَعْدِ مٰافُتِنُوا** ﴾ عذبوا ، وتلفظوا بالكفر . أو فتنوا عن الإيمان كما وقع لبعضهم أن عبده أسلم . فعذبه وعاقبه حتى رده عن الإيمان وأرجعه للكفر ففتنه عن الإيمان . أي رده عنه ﴿ **ثُمَّ جَاهَدُوا وصَبَرُوا** ﴾ على الطاعة ﴿ **إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا** ﴾ أي الفتنة ﴿ **لَغفُورٌ** ﴾ لهم ﴿ **رحِيمٌ** ﴾ بهم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ادْع إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجَادِ لْهُمْ بالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ ربّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضلَّ عَنْ سَبيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بالْمُهْتَدِينَ * وَإنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ لَلصَّابِرِينَ واصْبِرْ ومٰا صَبْرُكَ إلّا بالله ولاتحْزَنْ عَلَيْهِمْ ولاتَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرونَ** ﴾ في الواحدي : حدث مجاهد عن ابن عباس قال : لما انصرف المشركون عن قتلى أحد انصرف رسول الله ﷺ . فرأ منظرا أساءه ، فرأى حمزة قد شق بطنه . واصطلم أنفه ، وجدعت أذناه فقال : لولا أن يحزن النساء أو يكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطير . لأقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم . ثم دعا ببردة فغطى بها وجهه . فخرجت رجلاه ، فجعل على رجليه شيئاً من الاذخر ، ثم قدمه وكبر عليه عشراً ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة ، وكان القتلى سبعين ، فلما دفنوا أو فرغ منهم نزلت هذه الآية ﴿ **ادْع إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...** ﴾ إلى قوله ﴿ **واصْبِرْ ومٰا صَبْرُكَ إلّا بالله ...** ﴾ ولم يمثل بأحد * وفي رواية أبي هريرة : أشرف النبي ﷺ على حمزة فرآه صريعاً . فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه . وقال : والله ، لأقتلن بك سبعين منهم ، فنزلت — ﴿ **وإنْ عاقَبتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مٰاعُوقبتُمْ بِهِ ...** ﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ . بل نصبر يارب *
قال المفسرون : إن المسلمين لما رأوا مافعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون ، وقطع المذاكير ، والمثلة السيئة ، قالوا حين رأوا دلك : لئن ظفرنا الله سبحانه

وتعالى عليهم لنزيدين على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلةً لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط . ولنفعلن ولنفعلن ــ وقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة ، وقد جدعوا أنفه . وقطعوا مذاكيره . وبقروا بطنه . وأخذت هند بنت عقبة قطعة من كبده . فمضغتها ، ثم استرطنتها لتأكلها . فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها ، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فقال : أما إنها لو أكلته لم تدخل النار أبداً ، حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار . فلما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة . نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء كان أوجع لقلبه منه . فقال : « رحمة الله عليك إنك ماعلمت كنت وصولاً للرحم . فعالاً للخيرات ، ولولا حزني من بعدك عليك لسر بي أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى . أما والله لئن أظفرني الله تعالى بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك » . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإنْ عاقبتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقبْتُم به** .. ﴾ الآية . فقال النبي ﷺ : بلى نصبر . وأمسك عما أراد . وكفَّر عن يمينه * وفي البيضاوي : وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني ، وليس له أن يجاوزه * ونحوه في الكرخي وابن كثير وغيرهما أما التفسير : ﴿ **ادْع** ﴾ الناس يا محمد ﴿ **إلى سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾ إلى دين ربك ، وهو دين الإسلام ﴿ **بِالحِكْمَةِ** ﴾ بالقرآن ، وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة ﴿ **والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ يعني وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب بحيث لا يخفي عليهم أنك تناصحهم ، وتقصد ما ينفعهم ﴿ **وجَادِ لْهُمْ بالّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف . وقيل : إن الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام : **القسم الأول** : هم العلماء الكاملون : أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثابتة الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها ، فهؤلاء هم المشار إليهم بقوله : ادع إلى سبل ربك بالحكمة . يعني : ادعهم بالدلائل القطعية النفسية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها حتى ينتفعوا ، وينفعوا الناس . وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم . **القسم الثاني** : وهم أصحاب النظر السليم ، والخلقة الأصلية ، وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ، ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان ، فهم أوسط الأقسام ، وهم المشار إليهم بقوله : ﴿ **والموعظة الحسنة** ﴾ أي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة . **والقسم الثالث** : وهم أصحاب جدال وخصام ومعاندة ، وهؤلاء المشار إليهم بقوله : ﴿ **وجَادِ لْهُمْ بالّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ يعني : حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعوا إليه . ﴿ **إنَّ ربَّكَ هُوَ أَعْلَمُ** ﴾ أي عالم . ﴿ **بِمَنْ ضلَّ عَنْ**

سَبيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بالْمُهْتَدِينَ ﴾ فيجازيهم ، فما عليك إلا البلاغ . وقوله : ﴿ وإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ ﴾ عن الانتقام . أي تركتموه بالكلية ﴿ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرينَ ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه رواه البزار *

سورة بني إسرائيل وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ولَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رسُولاً ﴾ في اللباب : أخرج ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة قالت : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين . فقال : هم من آبائهم ، ثم سألته بعد ذلك فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين . ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام . فنزلت : ﴿ ولَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... ﴾ وقال : هم على الفطرة . أو قال : في الجنة * ولم أجد غير هذا القول في التفاسير : وتفسيرها باختصار : أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، بل كل أحد مختص بذنبه . ولعل قوله عليه الصلاة والسلام : « هم من آبائهم » أي مع آبائهم . أو أن من بمعنى مع . أو قل : لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها . ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم . بل إنما تحمل كل منهما وزرها . وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى : ﴿ وكُلَّ إنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : **﴿ وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ ربِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً ﴾** في اللباب : أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخرساني . قال : جاء ناس من مزينة يستحملون رسول الله ﷺ . فقال : لا أجد ما أحملكم عليه . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً . ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿ وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ ربِّكَ ... ﴾ الآية * وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال : نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ من المساكين * قلت : وهو الصحيح لصلة الآية بما قبلها من قوله : ﴿ وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ والْمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ ولَا تبذِّرْ تَبْذِيراً * إنَّ المُبذِّرِينَ كَانُوا إخْوانَ الشَّيَاطِينِ وكَانَ

الشَّيْطَانُ لِرَبّهِ كفُوراً * **وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ...** ﴾ وهو خطاب للكل ، وليس خاصاً بالرسول عليه الصلاة والسلام . ومنهم من زعم ذلك ، ففي الخازن : نزلت الآية في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين مايحتاجون إليه ولايجد ، فيعرض عنهم حياءً منهم ، ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية . والمعنى : إن تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم ﴿ **ابتغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ ربِّكَ تَرْجُوها** ﴾أي انتظار رزق من الله رجوه أن يأتيك ﴿ **فقُلْ لَهُمْ قَوْلاً ميْسُوراً** ﴾ أي ليناً جميلاً : أي عدهم وعداً طيباً تطيب به قلوبهم . وقيل هو أن يقول : رزقنا الله وإياكم من فضله *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولَاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ ولاتَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً** ﴾ في الواحدي حدث الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال : إن أمي تسألك كذا وكذا ، فقال : ماعندنا اليوم شيء . قال : فتقول لك . أكسني قميصك . قال : فخلع قميصه فدفعه إليه ، وجلس في البيت حاسراً . فأنزل الله تعالى سبحانه وتعالى : ﴿ **ولَاتَجْعَلْ يَدَكَ مغْلُولةً إلى عُنِقكَ ..** ﴾ الآية * وقال جابر بن عبد الله بينما رسول الله ﷺ قاعداً فيما بين أصحابه أتاه صبي . فقال يارسول الله أمي تستكسيك درعاً ولم يكن عند رسول الله ﷺ إلا قميصه ، فقال للصبي : من ساعة إلى ساعة * يعد وقتا آخر . فعاد إلى أمه . فقالت له : أمي تستكسيك القميص الذي عليك ، فدخل رسول الله ﷺ داره ، ونزع قميصه ، وأعطاه وقعد عرياناً ، فأذن بلال للصلاة . فانتظروه فلم يخرج . فشغل قلوب الصحابة . فدخل عليه بعضهم . فرآه عرياناً ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية * وكذا في الخازن . وفي اللباب : وأخرج ابن مردويه عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال لعائشة : أنفقي ماعلى ظهر كتفي ، قالت : إذن لايبقى شيء . فأنزل الله : ﴿ **ولَاتَجْعَلْ يَدَكَ مغْلُولةً إلى عُنِقكَ ..** ﴾ الآية * وأخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال : أتى رسول الله ﷺ بر وكان معطياً كريماً . فقسمه بين الناس ، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولَاتَجْعَلْ يَدَكَ مغْلُولةً إلى عُنِقكَ ..** ﴾ أما التفسير : ﴿ **ولَاتَجْعَلْ يَدَكَ مغْلُولةً إلى عُنِقكَ ..** ﴾ أي مضمومة إليه مجموعة معه في الغل : طوق من حديد يجعل في العنق . هذا معنى اللفظ في اللغة . وقد علمت المراد منه . أي لاتمسكها عن الانفاق كل الامساك ﴿ **ولَاتَبْسُطْهَا** ﴾ في الانفاق

﴿ كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ ملوماً ﴾ أي تصير تلوم نفسك ﴿ مَحْسُوراً ﴾ أي نادماً ، أو منقطعاً بك لا شيء عندك . من حسره السفر إذا بلغ منه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وقُلْ لِعبادِي يَقُولُوا التِّي هيَ أحْسَنُ إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ بَيْنَهُمْ إنَّ الشَّيْطَانَ كانَ للإنْسَانِ عَدُوًّا مبيناً ﴾ في الواحدي : نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك أنّ رجلا من العرب شتمه فأمره الله تعالى بالعفو * وقال الكلبي : كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ . فأنزل الله تعالى هذه الآية * والأخير في الخازن . ولم أجد غيرهما في التفاسير : أما التفسير : ﴿ وقُلْ لِعبادِي ﴾ المؤمنين ﴿ يَقُولُوا ﴾ للكفار الكلمة ﴿ التِّي هيَ أحْسَنُ ﴾ ولا يتخاشنوا معهم في الكلام كان يقولوا لهم : إنكم من أهل النار ، فإنه يهيجهم إلى الشر مع أن عاقبة أمرهم مغيبة عنا ﴿ إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ ﴾ يفسد ﴿ بَيْنَهُمْ إنَّ الشَّيْطَانَ كانَ للإنْسَانِ عَدُوًّا مبيناً ﴾ بين العداوة *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُل ادْعُوا الّذِينَ زَعَمْتُهم مِنْ دُونِه فلَا يمْلِكُونَ كشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ ولَا تَحْويلاً أولئك الّذِينَ يدعُونَ .. ﴾ الآية . خرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال : كان ناس من الإنس يعبدون نفراً من الجن ، فأسلم الجنيون ، واستمسك الآخرون بعبادتهم . فأنزل الله : ﴿ قُل ادْعُوا الّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِه ﴾ الآية . وكذا في ابن كثير . وفيه عن ابن مسعود في قوله : ﴿ أولئك الّذِينَ يدعُونَ .. ﴾ الآية . قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن . فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية . وفي رواية عن ابن مسعود : كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن : فذكره * وفي الخازن : وذلك أن الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف . فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم . فقال الله عز وجل : ﴿ قُل ادْعُوا الّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أنهم آلهة من دونه . ﴿ فلَا يمْلِكُونَ كشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ ﴾ أي الجوع والقحط ﴿ ولَا تَحْويلاً ﴾ إلى غيركم ، أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر . ثم ذكر رواية ابن مسعود سالفة الذكر . أما التفسير : ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ قُل ادْعُوا الّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أنهم آلهة ﴿ مِنْ دُونِه ﴾ لطائفة من الملائكة وكعيسى بن مريم وعزيز وليس المراد بالآلهة هنا ما يشمل الأصنام . با خصوص من له عقل لأجل قوله فيما يأتي :

﴿ أولئك الّذِينَ يدعُونَ .. ﴾ ﴿ فَلا يَمْلكُونَ كشُفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تحويلاً ﴾ له إلى غيركم . ﴿ أولئك الّذِينَ يدعُونَ .. ﴾ أي أولئك الأنبياء الذين يدعونهم المشركون لكشف ضرهم . أو يدعونهم آلهة . أو أولئك الأنبياء الذين يدعون ربهم ، أو الناس إلى الهدى . والمعنى : أن هؤلاء المعبودين لهم مفتقرون إلى الله . وراجون رحمته . وخائفون عذابه ، فلا يصلحون للألوهية لأن الإله يكون غنياً . الغني المطلق . وقوله : ﴿ يبتغون ﴾ يطلبون ﴿ إلَى ربِّهِمُ الْوَسيلة ﴾ التقرب بالطاعة . ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو ﴿ أقْرَبُ ﴾ إليه أي إلى مناجاته ، وهم الملائكة ، فكيف بغير الأقرب كعيسى ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ويَخافُونَ عَذَابَه ﴾ كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة ﴿ إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ أي حقيقياً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ، ونبي مرسل ، فضلا عن غيرهم من الخلائق *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنعَنا أنْ نُرْسِلَ بالْآيَاتِ إلّا أنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وآتَيْنَا ثَمودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ومَا نُرْسِلُ بالْآيَاتِ إلَّا تَخْوِيفاً ﴾ في الواحدي : حدث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً . وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعون . فقيل له . إن شئت أن تستأنى بهم لعلنا نجتبي منهم وإن شئت نعدهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلك من قبلهم ؟ قال : لا . بل أستأني بهم . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا مَنعَنا أنْ نُرْسِلَ بالْآيَاتِ إلّا أنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ... ﴾وروى أحمد والبزار والطبراني عن جابر في الآية : ﴿ وَمَا مَنعَنا أنْ نُرْسِلَ ... ﴾ قال : مر النبي ﷺ بالحجر . قال : لا تسألو الآيات . فقد سألها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفج . فعتوا عن أمر ربهم فعقروها . فأخذتهم صيحة أخمد الله من تحت أدم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله . قيل من هو يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال ــ بالعين وفي رواية ــ بالغين ــ فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه * وعن ابن عباس قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً . وأن ينحي الجبال عنهم ليزرعوا . فقيل له إن شئت أن تستأنى بهم ، وإن شئت نؤتيهم الذي سألوا . فإن كفروا وأهلكوا كما أهلكت من قبلهم . قال : بل أستأني بهم . وأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وَمَا مَنعَنا أنْ نُرْسِلَ بالْآيَاتِ إلّا أنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وآتَيْنَا ثَمودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ . وفي رواية : فدعا .

فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : إن ربك يقرئك السلام . ويقول لك : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً . فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لاأعذبه أحدا من العالمين . وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة . قال : بل باب التوبة والرحمة * قال الهيثمي : ورجال الروايتين رجال الصحيح * ورواه الحاكم في مستدركه إلا أنه قال : لعلنا نستحي منهم . فأنزل الله هذه : ﴿ **وَمَا مَنَعنَا أنْ نُرْسِلَ بالْآيَاتِ** ... ﴾ قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي * أما التفسير : ﴿ **وَمَا مَنَعنَا أنْ نُرْسِلَ بالْآيَاتِ إلَّا أنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ** ﴾ أي لو أظهر تعالى تلك المعجزات التي سألوها ثم لم يؤمنوا بها لكان عذابهم محققا لا محالة كسنة الله تعالى في الأولين . أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس قال : قال الناس لرسول الله ﷺ : «لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبيون ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم . فإن عصيتم هلكتم . فقالوا : لا نريدها . ثم بين تعالى أن الآيات التي التموسها هي مثل آية ثمود . وقد أوتوها واضحة بينة فكفروا بها فاستحقوا العذاب . فكيف يتمنى مثلها هؤلاء على سبيل الاقتراح فقال : ﴿ **وآتَيْنَا ثَمودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا** ﴾ والأمر واضح .. فعقروها . فأبادهم الله ﴿ **ومٰا نُرْسِلُ بالْآيَاتِ إلَّا تَخْوِيفاً** ﴾أي إن الله تعال : يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون فيرجعوا *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذْ قُلْنَا لَكَ إنّ رَبَّكَ أحَاطَ بالنَّاسِ ومٰا جَعَلْنَا الرُّؤيا التي أريْنَاك إلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ والشّجَرَةَ الملْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلَّا طُغْياناً كَبيراً** ﴾ في الواحدي : حدث عكرمة عن ابن عباس قال : لما ذكر الله تعالى الزقوم خوف به هذا الحي من قريش ، فقال أبو جهل : هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد ؟ قالوا : لا ، قال : الثريد بالزبد . أما والله لئن أمكننا منها لنتزقمنها تزقماً ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **والشّجَرَةَ الْملْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ** ... ﴾ يقول : الزقوم . ونخوفهم فما يزيدهم إلا صغياناً كبيراً . وأنزل : ﴿ **إنَّ شَجَرةَ الزَّقُوم طعامُ الْأَثِيم** .. ﴾ * وفي اللباب أخرج أبو يعلي عن أم هانىء أنه ﷺ لما أسرى به أصبح يحدث نفراً من قريش يستهزؤن به . فطلبوا منه آية . فوصف لهم بيت المقدس . وذكر لهم قصة العير ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا ساحر . فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومٰا جَعَلْنَا الرُّؤيا التي أريْنَاك إلَّا فِتْنَةً للنَّاسِ** ﴾ وفي الخازن : الأكثرون من المفسرين

على أن المراد منها ﴿ وما جعلنا الرؤيا .. ﴾ مارأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات . قال ابن عباس : رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة المعراج ، وهي ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . أخرجه البخاري . وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة ، وابن جريج وغيرهم *.. وقيل : أراد بهذه الرؤيا مارأى ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه ، فعجل المسير إلى مكة قبل الأجل ، فصده المشركون ، فرجع إلى المدينة ، فكان رجوعه في ذلك العام بعد ماأخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم ، ثم دخل مكة في العام المقبل . وأنزل الله عز وجل : لقد صدق رسوله الرؤيا بالحق * قال ابن جرير في تفسيره : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى به رؤيا رسول الله ﷺ مارأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسرى به . قال : وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك وإياها عنى الله عز وجل . فإذا كان ذلك كذلك . فتأويل الكلام : وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس إلا فتنة للناس يقول : إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام . وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تمادياً في غيهم ، وكفراً إلى كفرهم * قال . وأما قوله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن . ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيها . فقال بعضهم هي شجرة الزقوم . وأسند هذا القول إلى ابن عباس ومسروق . والحسن . وعبارته : كانوا يأكلون التمر والزبد ويقولون تزقموا هذا الزقوم . قال أبو رجاء حدثني عبد القدوس عن الحسن قال : فوصفها الله لهم في الصافات * وأبي مالك وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم . أنه كان يحلف مايستثنى أن الشجرة الملعونة شجرة الزقوم . وعن قتادة قوله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم ... ﴾ الآية . قال : وهي شجرة الزقوم خوف الله بها عباده ، فاقتتنوا بذلك حتى قال قائلهم : أبو جهل بن هشام ، زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر . وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد ، فتزقموا فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم أعذب بها من شئت من عبادي * وأجاب ابن عباس حين سئل عن الشجرة الملعونة في القرآن . قال : هي هذه الشجرة التي تلوى على الشجرة ،

وتجعل في الماء . يعني الكشوثى * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال عنى بها شجرة الزقوم لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك * ولا حاجة بعد هذا العرض إلى تفسير الآية خشية التكرار *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونك عنِ الّذي أَوْحيْنَا إلْيكَ لِتَفْتَرِي عَليْنَا غَيْرَهُ وإذاً لاتَّخذُوك خليلاً * ولَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاك لَقَدْ كدْتَ تَرْكَنُ إلِيْهِمْ شَيْئاً قليلاً** ﴾ في الواحدي : قال سعد بن جبير : قال المشركون للنبي ﷺ لانكف عنك إلا بأن تلم بآلهتنا ولو بطرف أصبعك . فقال النبي ﷺ : ماعلي لو فعلت . والله يعلم إني بارّ . فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **وإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونك عنِ الّذي أَوْحيْناإلْيكَ** ... ﴾ إلى قوله : ﴿ **نصيراً** ﴾ وقال قتادة : ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ، ويفحمونه ويسودونه ويقاربونه ، فقالوا : إنك تأتي بشيء لايأتي به أحد من الناس . وأنت سيدنا ياسيدنا . ومازالوا حتى كاد يقاربهم في بعض مايريدون ، ثم عصمه الله تعالى عن ذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ **وإنْ كادُوا ليفتنونك** ... ﴾ وفي اللباب : أخرج ابن مردوية . وابن أبي حاتم من طريق اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ابن عباس . قال : خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجاله من قريش . فأتوا رسول الله ﷺ . فقالوا يامحمد : تعال تمسح بآلهتنا وندخل في دينك . وكان يحب إسلام قومه . فرق لهم . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونك عنِ الّذي أَوْحيْنَا إلْيكَ** ﴾ إلى : ﴿ **نصيراً** ﴾ قال السيوطي : هذا أصح ماورد في سبب نزولها ، وهو إسناد جيد ، وله شاهد . أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر . فقالوا : لاندعك تستلم هذا حتى تلثم بآلهتنا ، فقال رسول الله ﷺ : وماعليّ لو فعلت ، والله يعلم في خلافه . فنزلت * وأخرج نحوه عن ابن شهاب . وأخرج عن جبير بن نفير أن قريشاً أتوا النبي ﷺ . فقالوا : إن كنت أرسلت إلينا . فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم ، فنكون نحن أصحابك ، فركن إليهم فنزلت الآية * وفي البيضاوي : نزلت في ثقيف قالوا له : لاندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب . لانعشر ولانحشر ولانجبي في صلاتنا . وكل رباءلنا فهو لنا . وكل ربا علينا فهو موضوع عنا ، وأن تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ مايهدي لها . فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ، وأن

تحرم وادينا كما حرمت مكة . فإن قالت العرب لم فعلت ذلك . فقل إن الله أمرني » *
قولهم : لا نعشر . أي لا يؤخذ منا عشر أموالنا الذي هو الزكاة . وقولهم ولا نحشر . أي الانساق إلى الجهاد . ولا نجبي في صلاتنا من التجبية . وهي وضع اليد على الركبتين أو على الأرض . أو الانكباب على الأرض فهو كناية عن عدم الركوع والسجود ، والمراد لا نُصلي * وعبارة الخازن : قال ابن عباس : قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ ، فقالوا : نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قالوا : لا نجبي في الصلاة . أي لا ننحني . ولا تكسر أصنامنا إلا بأيدينا . وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها . فقال عليه الصلاة والسلام : لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود ، فأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم . وأما الطاغية . يعني اللات والعزى ، فإني غير ممتعكم بها . قالوا يارسول الله : إنا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا ، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا . فقل لهم : الله أمرني بذلك ، فسكت النبي ﷺ ، وطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله : «وإن كادوا » أي هموا « ليفتنونك ..» والغريب أن ابن كثير لم يذكر حتى ولا قولاً واحداً من هذه الأقوال . أما التفسير : ﴿ **وإنْ كادُوا** ﴾ قاربوا ﴿ **لَيَفْتِنُونَك** ﴾ أي يطلبون نزولك ﴿ **عنِ الّذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ** ﴾ أي عن الحكم الذي أوحيناه إليك من الأمر والنهي ، والوعد والوعيد بأن تحكم لهم بغيره ، وهو تحريم واديهم الذي طلبوه ﴿ **لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ** ﴾ أي لتتقول وتكذب علينا غيره . أي غير الذي أوحينا إليك ﴿ **وإذاً** ﴾ لو فعلت ذلك ﴿ **لاتَّخَذُوكَ خليلاً** ﴾ أن والوك ووافوك وصافوك ﴿ **ولَوْلَا أنْ ثَبَّتْنَاكَ** ﴾ على الحق بعصمتنا إياك ﴿ **لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ** ﴾ تميل ﴿ **إلَيْهِمْ شَيْئاً قليلاً** ﴾ أي قريب من الفعل ﴿ **إذًا** ﴾ لو ركنت إليهم وتركت حكمنا . ﴿ **لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحياةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ** ﴾ . أي ضعف عذاب الحياة ... أي ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة . ﴿ **ثُمَّ لاتَجِدُ لكَ عَلَيْنَا نَصيراً** ﴾ أي ناصراً يمنعك من عذابنا *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإنْ كادُواليَسْتِفَزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وإذاً لَايَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلَّا قليلاً** ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : حسدت اليهود مقام النبي ﷺ بالمدينة . فقالوا : إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام . فإن كنت نبياً فالحق بها ، فإنك إن خرجت إليها صدقناك ، وآمنا بك ، فوقع ذلك في قلبه لما يحب

من الإسلام ، فرحل من المدينة على مرحلة . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وروى عن عثمان أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام . فإن الشام أرض المحشر والمنشر ، وأرض الأنبياء ، فصدق ماقالوا وغزا غزوة تبوك لا يريد بذلك إلا الشام . فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى : ﴿ **وإنْ كادُوا ليسْتِفَزُّونكَ مِنَ الأرْضِ** ... ﴾ وقال مجاهد وقتادة والحسن : هم أهل مكة بإخراج رسول الله ﷺ من مكة . وأمره الله تعالى بالخروج . وأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب : ذكر رواية عثمان وساقها إلى قوله : فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني اسرائيل : ﴿ **وإنْ كادُوالَيسْتِفَزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ** ... ﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة . وقال له جبريل عليه السلام : سل ربك فإن لكل نبي مسألة . فقال : ماتأمرني أن أسأل ؟ قال رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً * وضعف هذه الرواية . وذكر شاهدا لها مارواه الواحدى : عن سعيد بن جبير عند أبي حاتم ولفظه . قالت المشركون للنبي ﷺ : كانت الأنبياء تسكن الشام فمالك والمدينة ، فهمَّ أن يشخص فنزلت * وقد علمت أن اليهود قالوا له ذلك * وهو الصحيح . قال الخازن : قيل هذه الآية مدنية . وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة ، وذلك حسداً ، فأتوه فقالوا ياأبا القاسم : لقد علمت ما هذه برأض الأنبياء ، وإن أرض الأنبياء بالشام . وهي الأرض المقدسة . وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام . فإن كنت نبياً مثلهم فائت الشام . وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم . وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله . فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة * وفي رواية إلى ذي الحليفة حين يجتمع إليه أصحابه فيخرج . فأنزل الله هذه الآية * وقال : فالأرض هنا أرض المدينة ، وقيل الأرض أرض مكة ، والآية مكية . والمعنى : همَّ المشركون أن يخرجوه منها ، فكفَّهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية . لأن ماقبلها خبر عن أهل مكة . والسورة مكية ، وقيل : هم المشركون كلهم ، وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه ، فمنع الله رسوله ، ولم ينالوا منه ماأملوه قال : والاستفزاز : الازعاج * وقد ضعف ابن كثير قول من قال نزلت في اليهود إذ شاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام . قال : لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك . وقيل إنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر .

ثم ذكر رواية اليهود وخروجه إلى تبوك الخ .. وفي البيضاوي .. ولما قالت اليهود هذا القول وقع في نفسه ﷺ فخرج متوجها إلى الشام حتى قطع مرحلة ، فنزلت هذه الآية ، فرجع . ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلى بني النضير بعد زمن قليل * أما التفسير : ﴿ وإنْ كادُوا ليَسْتفزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ ﴾ أرض المدينة ﴿ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ إلى الشام بدعوى أنها أرض الأنبياء ﴿ وإذاً ﴾لو أخرجوك ﴿ لا يَلْبثُونَ خِلافَكَ ﴾ بعدك فيها ﴿ إلَّا قليلاً ﴾ ثم يهلكون . وقد علمت ماذكره البيضاوي من قتله بني قريظة ...» *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وقُلْ رَبِّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصيراً ﴾ في الواحدي : قال الحسن : إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبي ﷺ ويخرجوه من مكة . وخرج مهاجراً إلى المدينة أنزل قوله تعالى : ﴿ وقُلْ رَبِّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ .* وهذا يقضي أن الآية مكية مع أنها آخر الثمان المدنيات . وقد ذكر البيضاوي أن السورة كلها مكية ، فلا إشكال . وفي الخازن : قال إبن عباس : معناه . أدخلني مدخل صدق المدينة ، وأخرجني مخرج صدق من مكة * نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بالهجرة * وكذا رواه ابن كثير : وقال الترمذي : حسن صحيح وفيه وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله ﷺ ليقتلوه . أو يطردوه ، أو يوثقوه ، فأراد الله قتال أهل مكة أمره أن يخرج إلى المدينة ، فهو الذي قال الله عز وجل ﴿ وقُلْ رَبِّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الآية ... واختار صحة القول الأول . أما التفسير فواضح * وعبارة الخازن في قوله : ﴿ واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصيراً ﴾ أي حجة بينة ، وقيل : ملكاً قوياً تنصرني به على من عاداني أو عزاً ظاهراً أقيم به دينك ، فوعده الله تعالى لينزعن ملك فارس والروم . وغيرهما ، ويجعله له . وأجاب دعاءه . وقال له : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ وقال : ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَيسْألُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ منْ أمْرِ رَبِّي وَما أوتيتُم مِنَ الْعِلْمِ إلَّا قليلاً ﴾ في الواحدي : روى علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : إني مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة . وهو متكىء على عسيب . فمر بنا ناس من اليهود . فقالوا : سلوه عن الروح . فقال بعضهم : لا تسألوه فيستقبلكم بما

تكرهون . فأتاه نفر منهم فقالوا ياأبا القاسم : ماتقول في الروح ؟ فأنزل الله عليه : ﴿ **وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ منْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أوتيتُم مِنَ الْعِلْمِ إلَّا قليلاً** ﴾ رواه البخاري ومسلم جميعاً عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش * وفي عمدة القاري : وعن ابن عباس : قالت اليهود للنبي ﷺ : أخبرنا عن الروح . وكيف يعذب ؟ وإنما هي من الله ؟ ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يجر إليهم جواباً ، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية * وقال المفسرون : إن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد وحاله : سلوا محمداً عن الروح . وعن فتية فقدوا في أول الزمان ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ، فإن أصاب في ذلك كله فليس نبي ، وإن لم يجد في ذلك فليس نبياً وإن أجاب في بعض ذلك . وأمسك عن بعضه فهو نبي ، فسألوه عنها . فأنزل الله في شأن الفتية ــ أم حسبت أن أصحاب الكهف ــ إلى آخر القصة . ونزل في الروح قوله تعالى : ﴿ **وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ** ﴾ الآية * وكذا في الخطيب وأبى السعود والخازن : قال ابن كثير يجمع بين الحديثين بتعدد النزول . وكذا قال الحافظ بن حجر . ومن شاء الوقوف على حقيقة الروح وأقوال العلماء فيها قديماً وحديثاً فليرجع إلى كتابي ــ سبعون برهاناً علمياً على وجود الذات الإلهية ــ الجزء الأول ــ فهو بحث مهمٌ يجب على كل مسلم الوقوف عليه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ على أَنْ يأتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يأتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظهيراً** ﴾ في اللباب : اخرج ابن اسحاق وابن جرير من طريق سعيد ، أو عكرمة عن ابن عباس قال : أتى النبي ﷺ سلام بن مشكم في عامة من يهود سماهم . فقالوا : كيف نتبعك ، وقد تركت قبلتنا وإن هذا الذي جئت به لا نراه مناسقاً كما تناسق التوراة . فأنزل علينا كتاباً نعرفه ، وإلا جئناك بمثل ماتأتي به . فأنزل الله : ﴿ **قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ** ... ﴾ الآية * وقال الجلال : نزل . أي قوله : ﴿ **لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ** .. ﴾ الخ ... ردا لقولهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا » وهو صريح الخازن : فكذبهم الله عز وجل ، فالقرآن معجز في النظم والتأليف والأخبار عن الغيوب . وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة ، لا يشبه كلام الخلق لأنه كلام الخالق . وهو غير مخلوق . ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله * أما التفسير : ﴿ **قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ** ﴾ وكذا الملائكة .

وإنما لم يذكروا لأن التحدي ليس معهم . والتصدي لمعارضته لا يليق بشأنهم * ﴿ **على أنْ يأتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ** ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿ **لا يأتُونَ بِمِثْلِهِ ولَو كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظهيراً** ﴾ معيناً في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لنا مِنَ الْأَرضِ يَنْبُوعاً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **بشراً رسُولاً** ﴾ روى عكرمة عن ابن عباس : أنّ عتبة وشيبة وأبا سفيان ، والنضر بن الحرث وأبا البختري ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل وعبد بن أمية ، وأمية بن خلف ورؤساء قريش اجتمعوا على ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا به ، فبعثوا إليه . إنا أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم سريعاً ، وهو يظن أنه بدا أمره بدء . وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم . ويعز عليهم تعنتهم حتى جلس إليهم فقالوا : يا محمد : إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة ، وما بقى أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت أي ما جئت به لتطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا تكون به أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الرأي الذي يأتيك نراه قد غلب عليك ــ وكانوا يسمون التابع من الجن الرأى ــ بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه . أو نعذر فيك . فقال رسول الله ﷺ : ما بي ما تقولون . ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ، ولا للشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله عز وجل بعثني إليكم رسولاً . وأنزل كتاباً . وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً . فبلغتكم رسالة ربي ، ونصحت لكم . فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم . قالوا يا محمد : فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلاداً ، ولا أقل مالاً ، ولا أشد عيشاً منا . سل ربك الذي بعثك بما بعثك ، فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ، ويبسط لنا بلادنا . ويجري فيها أنهاراً كأنها الشام أو العراق ، وأن يبعث من مضى من آبائنا ، وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب . فإنه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عما تقول حق هو . فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلك عند الله . وأنه بعثك رسولاً

كما تقول : فقال رسول الله ﷺ : ما بهذا بعثت . إنما جئتكم من عند الله سبحانه بما بعثني به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به ، فإن تقبلوا فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله . قالوا : فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك . وسله فيجعل لك جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك ، فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش . فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بالذي ليسأل هذا ، وما بعثت بهذا إليكم ولكن الله تعالى بعثني بشيراً ونذيراً . قالوا : فأسقط علينا كسفا من السماء كما زعمت إن شاء فعل ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك إلى الله إن شاء فعل . فقال قائل منهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً . وقال عبد الله بن أمية المخزومي . وهو ابن عاتكة بن عبد المطلب . ابنة عمة النبي ﷺ : لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، وترقى فيه ، وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً بما فاته من متابعة قومه . ولما رأى من مباعدتهم عنه . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لكَ حتَّى تفجر لَنَا من الْأَرْضِ ينبوعاً** ... ﴾ إلى قوله : ﴿ **بشراً رسولاً** ﴾ نقلاً عن الواحدي واللباب للسيوطي * وهو نسخة ما في الخازن وابن كثير . قال ابن كثير : وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي عن ابن اسحاق . حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير ، وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء * وقال ابن كثير : وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له . لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيبوا إليه . ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفراً وعناداً . فقيل لرسول الله ﷺ : إن شئت أعطيناهم ما سألوا . فإن كفروا عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين . وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة . والرحمة فقال : بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة . كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزبير بن العوام عن قوله تعالى : ﴿ **وما مَنَعَنَا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلَّا أنْ كذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ * وآتينا ثمودَ النَّاقة مُبصِرَة فظلمُوا بها وما نُرْسِلُ بالآياتِ إلَّا تخويفاً** ﴾ لا لما يقترحه الناس * فهو من باب التعجيز . وما هم بمعجزين من في الأرض . أما التفسير : ﴿ **وقالُوا** ﴾ عطف على قوله ﴿ **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلَّا كفُوراً** ﴾ جحود للحق وقالوا . ﴿ **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ** ﴾ لما تبين اعجاز القرآن . وانضمت إليه معجزات أخر . وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا : ﴿ **لَنْ نؤمنَ لَكَ حَتَّى تَفْجرَ لَنا مِنَ الأرْضِ ينبُوعاً** ﴾

عيناً لا ينضب ماؤها . أي لا يغور ولا يذهب . ﴿ أَوْ تكونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾بستان ﴿ مِنْ نَخِيلٍ وعِنَبٍ فَتُفجِّر الأنهارَ خلالَها ﴾ وسطها ﴿ تَفْجِيراً ﴾ لسقيه . ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ﴾ أي أو تسقط علينا جرم السماء إسقاطاً مماثلاً لما زعمت في قولك ﴿ أو نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي قطعاً من العذاب ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ والْمَلائِكَةِ قبيلاً ﴾ . حال من الله والملائكة . أي حال كونها متقابلين — بفتح الباء — ومرئيين لنا . وفي البيضاوي : قبيلاً . أي كفيلاً بما تدعيه . أي شاهداً على صحته ضامناً لدركه . أو مقابلاً * ونحو الآية قولهم : ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أو نَرَى رَبَّنا ﴾ ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ ذهب . روى ابن عباس وقتادة وغيرهما ﴿ أَوْ تَرْقَى ﴾ تصعد ﴿ في السَّماءِ ﴾ بسلم فترقى معارجها ﴿ ولَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ لو رقيت فيها ﴿ حتَّى تُنزِّلَ عَلَيْنَا ﴾ منها ﴿ كِتَاباً ﴾ فيه تصديقك ﴿ نَقْرؤُهُ ﴾ بعد إنزاله فيه تصديقك ﴿ قُلْ ﴾ لهم : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ تعجب من اقتراحهم . وتنزيه له تعالى عن إتيانه الذي طلبوه . أو عن أن يتحكم عليه . أو يشاركه أحد في القدرة ، فهو فعال لما يريد . لا كما يريدون ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوٰاتُ والْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هَلْ ﴾ ما ﴿ كُنْتُ إلَّا بَشَراً رَسُولاً ﴾ كسائر الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات . فليس أمر الآيات إليهم إنما هو إلى الله تعالى . واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر . ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات ، وليست بدون ما اقترحوه ، بل هي أعظم مما اقترحوه . والقوم عامتهم كانوا متعنتين . ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ولَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ولَا تُخَافِتْ بِهَا وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سبيلاً ﴾ قال ابن عباس : تهجد رسول الله ﷺ ذات ليلة بمكة ، فجعل يقول في سجودة : يا رحمن يا رحيم . فقال المشركون : كان محمد يدعو إلهاً واحداً فهو الآن يدعو إلهين اثنين : الله والرحمن . ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة . يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله تعالى هذه الآية . كذا في الواحدي وفي اللباب : فقال في دعائه :

﴿ **ياألله يارَحْمٰنُ** ﴾ فقال المشركون : انظروا إلى هذا الصابىء ينهانا أن ندعو إلٰهين . وهو يدعو إلٰهين . فأنزل الله ﴿ **قُلِ ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أيًّا مَاتَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاءُ الْحُسْنَى** ... ﴾ وقال ابن عباس : في سبب نزول قوله : ﴿ **ولَاتَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولَاتُخَافِتْ بِهَا** ﴾ الآية قال : نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة . وكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به . فقال الله لنبيه : ﴿ **ولَاتَجْهَرْ بِصَلاتِكَ** ﴾ أي بقراءتك ، فيسمع المشركون فيسبون القرآن ﴿ **ولَاتُخَافِتْ بِهَا** ﴾ عن أصحابك فلا يسمعون . ﴿ **وابْتَغِ بيْنَ ذَلْكَ سبيلاً** ﴾ رواه البخاري عن مسدد ، ورواه مسلم عن عمرو الناقد ، كلاهما عن هشيم . وأخرج البخاري أيضاً عن عائشة أنها نزلت في الدعاء ... وأخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء . فنزلت الآية . قال ابن حجر : لكن يحتمل الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة * وفي مجمع الزوائد : قوله : ﴿ **ولَاتَجْهَرْ بِصَلاتِكَ** ﴾ عن عائشة في قوله : ﴿ **ولَاتَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولَاتُخَافِتْ بِهَا** ﴾ نزلت في الدعاء * رواه البزار ورجاله الصحيح . ونحو الذي ذكر في بقية التفاسير . أما التفسير : ﴿ **قُلْ** ﴾ لهم ﴿ **ادْعُوا الله أوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ** ﴾ أي سموه بأيهما ، أو نادوه بأن تقولوا : ياالله يارحمن ﴿ **أيًّا** ﴾ شرطية ﴿ **مَا** ﴾ زائدة لتأكيد ما في أي من الابهام . أيْ أيّ هذين ﴿ **تَدْعُوا** ﴾ فهو حسن دل على هذا ﴿ **فَلَهُ** ﴾ أي لمسماهما ﴿ **الأسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ وهذان منهما *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وقُلِ الْحَمْدُ لله الّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يكَنْ لَهُ وَليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي . قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً ، وقالت العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل . فأنزل الله : ﴿ **وقُلِ الْحَمْدُ لله الّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً** ... ﴾ الآية آخر سورة بني اسرائيل كما تسمى . وتمسى بالاسراء . وذكر السبب ابن كثير باللفظ والحرف . ولم أجد غير هذا القول في التفاسير : أما التفسير : ﴿ **وقُلِ الْحَمْدُ لله الّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً** ﴾ أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمده على وحدانيته . وقيل : معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً . وقيل : إن

كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده . وإذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبيده . وقيل : إن الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه ، والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد . ﴿ **ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ** ﴾ في الألوهية : ﴿ **وَلَمْ يكُنْ لَهُ وَلِيٌّ** ﴾ ينصره ﴿ **مِنَ** ﴾ أجل ﴿ **الذُّلِّ** ﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿ **وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً** ﴾ عظمه عظيمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل مالا يليق به . وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته ، وتفرده في صفاته . وروى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول : آية العز . ﴿ **الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ** ﴾ الآية .

سورة الكهف وبيان مافيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

في لباب السيوطي : أخرج ابن جرير من طريق ابن اسحاق ، عن شيخ من أهل مصر ، عن عكرمة عن ابن عباس : قال : بعثت قريش النضر بن الحارث . وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة . فقالوا لهم : سلوهم عن محمد . وصفوا لهم صفته . وأخبروهم بقوله . فإنهم أهل الكتاب الأول . وعندهم ماليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى أتيا المدينة ، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم أمره . وبعض قوله . فقالو لهم : سلوه عن ثلاثة . فإن أخبركم بهن نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ماكان أمرهم ، فإنه كان لهم أمر عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ماكان نبؤه ، وسلوه عن الروح ماهو ؟ فأقبلا حتى قدما على قريش . فقالا : جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد . فجاؤا رسول الله ﷺ فسألوه . فقال : أخبركم غداً بما سألتم عنه ولم يستثن ، فانصرفوا ، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لايحدث الله في ذلك إليه وحياً ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة . وأحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق عليه مايتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف ، وفيها معاتبته إياه على حزنه عليهم . وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف

وقوله : ﴿ ويسألونك عن الرُّوح .. ﴾ وفي حزن رسول الله ﷺ نزل قوله : ﴿ فَلَعَلَكَ بَاخِعٌ نَفَسَكَ عَلَى آثَارِهم ... ﴾ وفي قصة أصحاب الكهف : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أنّ أصْحَابَ الْكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتنا عَجباً .. ﴾ وفي اللباب : وأخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس قال : أنزلت ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثلاثمائة .. ﴾ فقيل يارسول الله : سنين أو شهوراً فأنزل الله ﴿ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ وأخرجه ابن جرير عن الضحاك . وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس : قال : حلف النبي ﷺ على يمين فمضى له أربعون ليلة » فأنزل : ﴿ ولَاتَقُولَنَّ لِشَيءٍ إنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غداً إلَّا أنْ يَشَاءَ الله ﴾ *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالْغَدَاةِ والْعَشِيّ يُرِيدُونَ وجْهَهُ .. ﴾ إلى قوله : ﴿ إنَّا أعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ ناراً ... ﴾ الآية . في الواحدي : قال سلمان الفارسي : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ : عينية بن حصن والأقرع بن حابس ، وذووهم ، فقالوا يارسول الله : إنك لو جلست في صدر المجلس ، ونحيت عنا هؤلاء ، وأرواح جبابهم . يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين . وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها . جلسنا إليك . وحادثناك وأخذنا عنك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ واتْلُ ماأُوحِيَ إلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لامُبِّدلَ لكلماتِهِ ولَنْ تَجِدَ مِنْ دونِهِ مُلْتَحداً * واصْبِرْ نَفْسِكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ .. ﴾ حتى بلغ : ﴿ إنَّا أعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً ... ﴾ يتهددهم بنار ، فقام النبي ﷺ يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى . قال : الحمد ﷺ الذي لم يمتني حتى أمرت أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي . معكم المحيا ومعكم الممات * وكذا في الخازن . وفيه : وقيل نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة . وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لايخرجون إلى تجارة . ولا زرع ولا ضرع . يصلون صلاة وينتظرون أخرى . فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم * ونحو هذا في النسفي وابن كثير وفيه عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر . فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لايجرؤن علينا . قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ، ورجلان نسيت اسميهما ، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء أن يقع ، فحدث نفسه . فأنزل

الله عز وجل : ﴿ وَلَاتطرُدِ الّذِينَ يدعُونَ ربَّهُمْ بالْغداةِ والْعَشيّ يريدون وجْهَهُ ﴾ انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري . وهكذا بقية الأقوال نحو ما ذكر . أما التفسير : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ الصبر حبس النفس عن الجزع . أي احبسها ﴿ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ أي يعبدونه ﴿ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ ﴾ في الصباح والمساء ، والمراد جميع الأوقات : ﴿ يُرِيدُونَ ﴾ بعبادته ﴿ وجْهَهُ .. ﴾ تعالى لاشيئاً من أغراض الدنيا وهم الفقراء الذين تقدم ذكرهم ﴿ ولَاتَعْدُ ﴾ تنصرف ﴿ عيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ إلى غيرهم ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيا ﴾ أي تريد مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا ﴿ ولاتُطعْ مَنْ أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ أي القرآن : هو عيينة بن حصن وأصحابه . وقد أسلم رضي الله عنه وحسن إسلامه . وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم ، فأعطاه النبي ﷺ منها مائة بعير ، وكذلك أعطى الأقرع بن حابس . وأعطى العباس بن مرادس أربعين بعيراً ... ﴿ واتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ في الشرك والتكبر عن مجالسة الفقراء ﴿ وكَانَ أمْرُهُ فُرُطاً ﴾ إسرافاً . أي فرط في أمر ربه ﴿ وقُلْ ﴾ له أي لمن أغفلنا قلبه عن ذكرنا . وهو عيينة بن حصن الفزاري الذي أمرك باجتناب الفقراء . هذا القرآن ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ﴾ به ﴿ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ به تهديداً لهم . ﴿ إنَّا اعْتَدْنَا ﴾ هيئنا ﴿ للظَّالمين ﴾ الكافرين ﴿ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ ماأحاط بها كالخيمة التي تحيط بأهلها ﴿ وإنْ يستغيثُوا ﴾ لطلب الماء ﴿ يُغَاثُوا بِماءٍ كالْمُهْلِ ﴾ كعكر الزيت المغلي . وقيل : العكر ماأذيب من الجواهر كالنحاس والرصاص . ﴿ تَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ من حره . إذا قرب إليها . والشي الانضاج بنار من غير احراق كالشواء للحم ﴿ بِئْسَ الشَّرابُ ﴾ أي قبح الشراب هو ﴿ وسَاءَتْ ﴾ النار ﴿ مُرْتَفَقاً ﴾ تمييز منقول عن الفاعل أي قبح مرتفقها . قال ابن عباس رضي الله عنهما . منزلاً . وقيل مجتمعاً *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كلماتُ رَبِّي ولَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ في الواحدي والخازن . قال ابن عباس : قالت اليهود يامحمد : تزعم أننا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، ثم تقول : وماأوتيتم من العلم إلا قليلا . فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقيل لما نزل وماأوتيتم من العلم إلا قليلاً . قالت اليهود : أوتينا علم

التوراة . وفيها علم كل شيء . فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي** ... ﴾ وعبارة السيوطي : أخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ؟ فقالوا : سلوه عن الروح فسألوه . فنزلت : ﴿ **ويَسْأَلُونَكَ عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ منْ أمْرِ رَبِّي وما أُوتيتُم مِنَ الْعِلْمِ إلَّا قليلاً** ﴾ قال اليهود : أوتينا علما كثيراً : أوتينا التوراة . ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً فنزلت : ﴿ **قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً** ... ﴾ ومابقى من الأقوال في التفاسير نحوها . أما التفسير : ﴿ **قُلْ** ﴾ لليهود ولكل من يسمع هذا الخطاب . ﴿ **لَوْ كانَ الْبَحْرُ** ﴾ أي ماؤه ﴿ **مِداداً** ﴾هو مايكتب به من الحبر ﴿ **لِكَلِمَاتِ رَبِّي** ﴾ الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب بالحبر ﴿ **لَنَفِدَ الْبَحْرُ** ﴾ في كتابتها ﴿ **قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ** ﴾ تفرغ ﴿ **كلماتُ رَبِّي ولَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ** ﴾ أي البحر ﴿ **مَدداً** ﴾ زيادة فيه لنفد ، ولم تفرغ هي . ونحو الآية قوله تعالى : ﴿ **ولَوْ أَنَّ مافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والْبَحْر يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مانَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله** ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إنَّما أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إلَيَّ أنَّما إلٰهُكُمْ إلهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولَا يُشْرِكْ بِعَبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ الآية آخر سورة الكهف . في الواحدي : قال ابن عباس : نزلت في جندب بن زهير الغامدي . وذلك أنه قال : إني أعمل العمل لله . فإذا اطلّع عليه سرني . فقال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولا يقبل ماروئى فيه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال طاوس : قال رجل : يانبي الله : إني أحب الجهاد في سبيل الله . وأحب أن يرى مكاني ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * صحيح على شرط الشيخين * وقال مجاهد : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أتصدق . وأصل الرحم ، ولا أصنع ذلك إلا لله سبحانه وتعالى ، فيذكر ذلك مني ، وأحمد عليه ، فيسرني ذلك . وأعجب به فسكت رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئاً . فأنزل الله تعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ** ... ﴾ الآية * وفي لباب السيوطي : وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق السدى الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : قال جندب بن زهير : إذا صلى الرجل أو صام ، أو تصدق ، فذكر به بخير ارتاح له . فزاد في ذلك لمقالة الناس له . فنزلت في ذلك : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ** ... ﴾ الآية * روى

البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال : ﴿ مَنْ سمَّعَ سَمَّعَ الله به ، ومَنْ يُرائي يُرائي الله به ﴾ أي أن من عمل عملاً مراءاة للناس . وليشتهر به شهر الله به يوم القيامة * وروى مسلم عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله تبارك وتعالى يقول : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه» *

سورة مريم وبيان مافيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومٰا نَتَنَزَّلُ إلَّا بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ مٰا بَيْنَ أيْدِينَا ومٰا خَلْفَنَا وَمٰا بَيْنَ ذَٰلِكَ ومٰا كانَ ربُّكَ نَسيًّا ﴾ في اللباب : حدث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ياجبريل : مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ قال : فنزلت : ﴿ ومٰا نَتَنَزَّلُ إلَّا بأمْرِ رَبِّكَ ... ﴾ الآية قال : كان هذا الجواب لمحمد رسول الله ﷺ . رواه البخاري عن أبي نعيم . عن ذر * وقال عكرمة ومقاتل والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي : احتبس جبريل عليه السلام حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح . فلم يدر مايجيبهم ، ورجا أن يأتيه جبريل عليه السلام بجواب ، فسألوه : فأبطأ عليه فشق رسول الله ﷺ مشقة شديدة ، فلما نزل جبريل عليه السلام ، قال له : أبطأت عليّ حتى ساء ظني . واشتقت إليك . فقال جبريل عليه السلام : إني كنت إليك أشوق . ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت ، وإذا حبست احتبست ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ومٰا نَتَنَزَّلُ إلَّا بأمْرِ رَبِّكَ ... ﴾ وفي اللباب : وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : سأل النبي ﷺ جبريل : أي البقاع أحب إلى الله وأبغض إلى الله ؟ فقال : ماأدري حتى أسأل . فنزل . وكان قد أبطأ عليه . فقال : لقد أبطأت علي حتى ظننت أن قومي علي موجدة ، فقال : ﴿ ومٰا نَتَنَزَّلُ إلَّا بأمْرِ رَبِّكَ ... ﴾ * وفي الخازن أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال ياجبريل : مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت : ﴿ ومٰا نَتَنَزَّلُ إلَّا بأمْرِ رَبِّكَ ... ﴾ الآية قال : فكان هذا جواب جبريل لمحمد ﷺ * ثم روى سؤال اليهود عن الروح ... » أما التفسير : ﴿ ومٰا نَتَنَزَّلُ ﴾ هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى أن يقوله لمحمد ﷺ جواباً لسؤاله المذكور . ﴿ إلَّا بأمْرِ رَبِّكَ ﴾ أي وماتنزل الملائكة

بالوحى على الرسل وقتا بعد وقت إلا بأمر الله على ماتقتضيه حكمته ، وتدعو إليه مصلحة عباده . ويكون فيه الخير لهم في دينهم ودنياهم . ثم علل ذلك جبريل عليه السلام بقوله : ﴿ **لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ أي إنه تعالى هو المدبر لنا في جميع الأزمنة مستقبلها وماضيها وحاضرها . أي فلا ننتقل من مكان إلى مكان ، ولا ننزل في زمان دون زمان إلا بإذنه عز وجل . ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ أي ليست من صفاته تعالى الغفلة والنسيان . أخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه . والطبراني في جماعة آخرين عن أبي الدرداء مرفوعاً قال : «ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية . فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ثم تلا : ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ . والمعنى إن عدم النزول لم يكن إلا لعدم الأمر لحكمة بالغة . ولم يكن لتركه تعالى ذلك كما زعمت الكفرة . قلاك ربك *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَ لَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً** ﴾ في الواحدي : قال الكلبي : نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظماً بالية يفتها بيده ، ويقول : زعم لكم محمداً أنا نبعث بعد مانموت * وسيأتي بسط القول على هذه الآية ــ إن شاء الله تعالى في سورة يٰسٓ عند قوله : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ** .. ﴾ *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً** ﴾ في القرطبي : روى الأئمة واللفظ لمسلم عن خباب قال : كان لي على العاصي بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لي لن أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث ، قال : وإني لمبعوث من بعد الموت ؟! فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد . قال : وكيع : كذا قال الأعمش فنزلت هذه الآية * وفيه : وقال الكلبي ومقاتل : كان خباب قيناً ، فصاغ للعاصي حليا ثم تقاضاه أجرته ، فقال العاصي : ماعندي اليوم ما أقضيك فقال خباب : لست مفارقك حتى تعطيني ، فقال العاصي : ياخباب : مالك ما كنت هكذا ، وإن كنت لحسن القلب . فقال خباب : ذاك أني كنت على دينك ، فأما اليوم . فإني على دين الإسلام . مفارق لدينك . قال : أو لستم تزعمون أن في الجنة ذهباً

وفضة وحريراً ؟ قال خباب : بلى . قال : فأخرني حتى أقضيك في الجنة استهزاء ، فوالله لئن كان ماتقول حقاً . إني لأقضيك فيها . والله لاتكون أنت ياخباب وأصحابك أولى بها مني . فأنزل الله : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا** ... ﴾ * وفي الواحدي نحوه . وفي اللباب أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال : جئت العاصي بن وائل السهمي اتقاضاه حقاً عنده . فقال : لاأعطينك حتى تكفر بمحمد . فقلت : لا حتى تموت وتبعث . قال : فإني لميت ثم لمبعوث ! فقلت نعم ، فقال : إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيك . فنزلت : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ رواه البخاري عن الحميدي عن سفيان . ورواه مسلم عن الأشجع عن وكيع ، كلاهما عن الأعمش . وفي التوضيح : العاص . أما التفسير : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا** ﴾ العاصي بن وائل . وهو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور . كان له قدر في الجاهلية . ولم يوفق للإسلام . وقال الكلبي : كان من حكام قريش . وفي التوضيح : العاص بلا ياء . وليس من العصيان . إنما هو من عصي يعصو إذا ضرب بالسيف * والظاهر أنه من العصيان . وإنما حذفت الياء للتخفيف . ولذا تراه مكتوباً تارة بالياء للتخفيف . . . . وتارة بحذفها . وقوله : ﴿ **وَقَالَ** ﴾ لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت . والمطالب له بمال ﴿ **لَأُوتَيَنَّ** ﴾ على تقدير البعث ﴿ **مَالاً وَوَلَداً** ﴾ فأقضيك حقك . قال هذا استهزاء ونكرا لليوم الآخر . قال تعالى : ﴿ **أَطَّلَعَ الْغَيْبَ** ﴾ أي أعلمه ، وأن يؤتى ماقاله من المال والولد في الآخرة . ولما كان مادعاه لايحصل له العلم به إلا بأحد أمرين ـــ الاطلاع على الغيب أو اتخاذ العهد . ولم يحصل له واحد منهما ، فتكون دعوى لابرهان عليها . وهذا ماعناه سبحانه بقوله : ﴿ **أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً** ﴾ قال تعالى ردا عليه : ﴿ **كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً** ﴾ أي ونعلمه أنا كتبنا أقواله هذه وغيرها . ونزيده عذاباً فوق عذاب كفره بما يقوله * كلا : كلمة ردع ورد على العاصي *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً** ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف : لما هاجر إلى المدينة وجد بنفسه على فراقه أصحابه بمكة ، منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف ، فأنزل الله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ**

الرَّحْمٰنُ وُدًّا ﴾ قال محبة في قلوب المؤمنين * والمعنى : إن الذين آمنوا بالله وصدقوا برسله ، وبما جاؤهم به من عنده ، وعملوا به ، فأحلوه حلاله . وحرموا حرامه . سيجعل الله لهم محبته في قلوب عباده المؤمنين * وهذا من أسرار الله الظاهرة في محبة الناس لأوليائه وعباده الصالحين . أخرج البخاري ومسلم والترمذي في جمع كثير عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أحب الله تعالى عبداً يقول لجبريل : إني قد أحببت فلاناً فأحبه ، فينادي في السماء ، ثم تنزل المحبة في الأرض . فذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ الآية . وأخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء قال : قال رسول الله ﷺ لعلى كرم الله وجهه : «قل اللهم اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي في صدور المؤمنين ودا . فأنزل الله سبحانه الآية * وكان هرم بن حيان يقول : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم * أي من غير اصطناع معروف أو قرابة أو صداقة . بل إقبال الناس عليهم يكون بتحريك قلوبهم بالمودة والرحمة لهم بأمر من الله تعالى . فهنيئاً لأولئك العاملين بمحبة الله والمؤمنين لهم . وقد خصهم الله بهذه الكرامة إجلالاً لمكانهم وعلواً لشأنهم في الدنيا والآخرة . والمفهوم المخالف يعني أنه قذف الرعب في قلوب العصاة من المؤمنين والكافرين منهم فلا ينالوامنهم نيلاً يحط من كرامتهم . وعلى هذ المستوى كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين . فقد أحبهم الناس لصلاحهم . فقد كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار . فأينما توجهوا كانت وجهتهم على خير فدخل الناس في دين الله أفواجاً . ذكر قتادة أن عثمان بن عفان كان يقول : مامن الناس عبد يعمل خيراً ولا شراً إلا كساه الله رداء عمله * أي كالإشارة لإقبال الناس عليه . فأهل الخير يألفون بعضهم بعضاً . وأهل الشر يألفون بعضهم بعضاً . ﴿ قُلْ كُلٌّ يعمل على شاكلته ﴾ * فالمسلم التقى يبغضه الكفار ، والعاصي الفاجر يبغضه الصالحون الأبرار * وتفسير الآية قد توضح جلياً بهذه الأقوال *

سورة طه وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ طٰه : مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ في

الواحدي : قال مقاتل : قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي ﷺ : إنك لتشقى بترك ديننا . وذلك لما رأياه من طول عبادته واجتهاده . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وكذا في الغرائب والطبري عن ابن عباس ، روى البراز عن علي قال : كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت ﴿ **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾ * ولذا قيل أن « طٰه » فعل أمر . وأصله طأها . أي طأ الأرض بقدميك معاً . خوطب به لما كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه ويريح لأخرى من شدة التعب . وطول القيام * وفي القرطبي : وقال مجاهد : كان النبي ﷺ وأصحابه يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام . ثم نسخ ذلك بالفرض ، فنزلت هذه الآية * وفيه . وقال الكلبي : لما نزل على النبي ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة ، واشتدت عبادته ، فجعل يصلي الليل كله زماناً حتى نزلت هذه الآية . فأمر الله أن يخفف عن نفسه . فيصلي وينام . فنسخت هذه الآية قيام الليل . فكان بعد هذه الآية ——— ——— يصلي وينام * والمعنى : نزلت الآية فيما كان ﷺ يتكلفه من السهر والتعب ، وقيام الليل * قال الليث : بلغنا أن موسى عليه الصلاة والسلام لما سمع كلام الرب تعالى استقره الخوف حتى قام على أصابع قدميه خوفاً . فقال عز وجل : ﴿ **طَهَ** ﴾ أي اطمئن * وفي تفسير ابن مردويه : قرأ رجل على ابن مسعود رضي الله عنه : طأها . فقال عبد الله : طَهَ . فقال الرجل ياأبا عبد الله الرحمن . أليس إنما أمر أن يطأ قدمه ؟ قال : فقال عبد الله : طَهَ هكذا أقرأ بنا رسول الله ﷺ وكذا نزل بها جبريل عليه الصلاة والسلام بكسر الطاء والهاء (طِهِ) قال : وكان بعض القراء يقطعها . أما التفسير فواضح *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لَاترى فيها عِوَجاً ولَا أَمْتاً** ﴾ في اللباب : أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : قالت قريش يا محمد : كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة ؟ فنزلت : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ..** ﴾ * والظاهر أن سؤالهم على سبيل الاستهزاء ، فقالوا له : إنك تدعى أن هذه الدنيا تفنى . وأننا نبعث بعد الموت ، وأين تكون هذه الجبال ؟ فنزلت . وفي الخازن عن ابن عباس : سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ . فقال : كيف تكون الجبال يوم القيامة . فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال الخازن :

والنسف هو القطع . أي يقلعها من أصولها ، ولجعلها هباءً منثوراً * وقد فسر البخاري * صفصفاً : بقوله : والصَّفْصَفُ المستوى مِنَ الْأَرْضِ * أي كأنها من استوائها على صفة واحدة . وقيل . هي التي لا أثر للجبال فيها . والتفسير واضح *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن السدى قال : كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظ . فأنزل الله ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالقرآنِ ...** ﴾ الآية * أي بالقراءة ﴿ **مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ** ﴾ من قبل أن يفرع جبريل من الإبلاغ ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ بالقرآن ومعانيه . وقلَّ أن يأمر رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم . وكان ابن مسعود إذ قرأ هذه الآية يقول : اللهم زدني علماً وإيماناً ويقيناً * وفي القرطبي : علم الله تعالى نبيه كيفية تلقى القرآن . قال ابن عباس : كان عليه الصلاة والسلام يبادر جبريل . فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على الوحي ، وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك . وأنزل ولا تعجل بالقرآن . وهذا كقوله : ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** ﴾ وفيه : وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : لا تتله قبل أن تتبينه ، وقيل : ولا تعجل أي لا تسأل إنزاله قبل أن يقضى أن يأتيك وحيه . وقيل المعنى . لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله * والتفسير بين *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ في الواحدي : حدث يزيد بن عبد الله بن فضل عن رافع مولى رسول الله ﷺ في سبب نزول هذه الآية أن ضيفاً نزل برسول الله ﷺ فدعاني . فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاماً يقول لك محمد رسول الله ﷺ . نزل بنا ضيف ، ولم يلق عندنا بعض الذي نصلحه . فبعني كذا وكذا من الدقيق ، أو سلفني إلى هلال رجب ، فقال اليهودي : لا أبيعه ولا أسليفه إلا برهن . قال : فرجعت إليه فأخبرته . قال : والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض . ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه ؛ اذهب بدرعي ، ونزلت هذه الآية . تعزية له عن الدنيا ، وتقدم القول فيها في سورة الحجر . ذكره الخازن وغيره . والمراد بالأزواج . في قوله : أزواجاً . أي أصنافا من البضائع التي كانت تحملها قوافل اليهود . أي ولا تطل

النظر استحساناً ورغبة فيما متع به هؤلاء المترفون من النعيم ، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة نختبرهم بها . ونعلم هل يؤدون شكرها ، أو تكون وبالاً عليهم ، ونكالاً لهم ، ولقد آتاك ربك خيراً مما أتاهم . آتاك السبع المثنى ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ فرضى *

سورة الأنبياء وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ من قريةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يؤمنون** ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن قتادة . قال : قال أهل مكة للنبي ﷺ إن كان ماتقول حقاً ويسرك أن نؤمن . فحول لنا الصف ذهباً . فأتاه جبريل فقال : إن شئت كان الذي يسألك قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا . وإن شئت استأنى بقومك فأنزل الله : ﴿ **مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ من قريةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يؤمنون** ﴾ * وكذا رواه المراغي . والمعنى : أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات ، وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها . فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله . فلو أعطينا هؤلاء مايقترحون لنكثوا أيضاً وهلكوا . وتقدم الكلام عليها *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَ فَهُمُ الخَالِدُونَ** ﴾ في لباب السيوطي : وأخرج ابن المنذر عن ابن جرير . قال : نعى إلى النبي ﷺ نفسه . فقال يارب : فمن لأمتي ؟ فنزلت : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ... ﴾ * بمحمد ريب المنون . نشمت بموته . فنفى الله عنه الشماتة عنه بهذا . والمعنى أن الله تعالى قضى أن لايخلد في الدنيا بشر لاأنت ولا هم فإن مت أنت أفيبقى هؤلاء ؟ قلت وماأحسن قول القائل :

تمنى رجالٌ أنْ أموتَ وإن مت * فتِلْكَ سَبيلٌ لستُ فيها بأوحد
فقُلْ لِلّذي يبغى خلاف الذي مضى * تزوَّدْ لأخرى مثلها فكأن قدِ

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى : أنه ﷺ مر على أبي سفيان . وأبي جهل وهما يتحدثان ، فلما رآه أبو جهل ضحك . وقال : هذا نبي بني عبد مناف ، فغضب أبو

سفيان . وقال : أتنكر أن يكون لعبد مناف نبي ؟ فسمعها النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به ، وخوفه . وقال : ماأراك منتهيا حتى يصبك ماأصاب عمك الوليد بن المغيرة . وقال لأبى سفيان :أما إنك لم تقل ماقلت إلا حمية . فنزلت الآية . كذا رواه المراغي في تفسيره : وفيه قصور عن بيان المعنى المراد ، وسيأتي بيانه عن قريب ، وقوله : ﴿ أَفَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ أي يؤملون أن يعيشوا بعدك . ولا يكون هذا بل الكل إلى الفناء ، ولهذا قال بعد هذه الآية : ﴿ كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ونبلُوكُمْ بالْخيْرِ والشّرِ فِتْنَةً وإلَيْنا تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم . واستدل بعض العلماء من هذه الآية : وما﴿ وَمٰا جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ أن الخضر عليه السلام مات وليس بحى إلى الآن . لأنّه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً . وهو استدلال صحيح إذ لو كان حياً لاستثناه الله تعالى . وعدم استثنائه دليل على موته *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وإذَا رآكَ الّذِينَ كفَرُوا أنْ يتّخذُونَكَ إلّا هُزُواً أَهَذَا الّذِي يَذْكُرُ آلهَتَكُمْ وَهُمْ بِذْكر الرَّحْمٰنِ هُمْ كافِرُونَ ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن السدى قال : مر النبي ﷺ على أبى جهل ، وأبى سفيان . وهما يتحدثان ، فلما رآه أبو جهل ضحك الخ ... ماذكره المراغي . وفي آخره : ماأراك منتهياً حتى يصيبك ماأصاب من غير عهده . فنزلت : ﴿ وإذَا رآكَ الّذِينَ كفَرُوا ... ﴾ الآية . ونحوه في الخازن والنسفي والغرائب . أما التفسير : ﴿ وإذَا رآكَ الّذِينَ كفَرُوا أنْ يتّخذُونَكَ ﴾ أي مايتخذونك ﴿ إلّا هُزُواً ﴾ فسر ذلك بقوله : ﴿ أَهَذَا الّذِي يَذْكُرُ آلهَتَكُمْ ﴾ بتقبيح أمرها وبطلان عبادتها . ثم بين تعالى جهالتهم وتعكيس قضيتهم بقوله : ﴿ وَهُمْ بِذْكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كافِرُونَ ﴾ قدم الجار والمجرور (بذكر) وكرر الضمير ليفيد أنهم عاكفون على ذكر آلهتهم من كونها شفعاء وشهداء .. ولو ذكرها ذاكر بخلاف ذلك ساءهم . وأما ذكر الرحمن الذي منه جلائل النعم . ودقائقها وأصولها وفروعها . فلا يخطر منهم ببال . ولو ذكر الرحمن ذاكراً استهزؤا به حتى إن بعضهم يقولون استهزاءً : مانعرف الرحمن إلا مسيلمة أي الكذاب * وقولهم : « ومٰا الرّحْمن أنسجد لما تأمرنا *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إنَّكُمْ ومٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله حَصَبُ

جَهَنَّم أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ ﴾ في اللباب : أخرج الحاكم عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله ... ﴾ الآية قال ابن الزبعري : عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا فنزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ وفي الواحدي عن ابن عباس قال : آية لا يسألني الناس عنها . ولا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها . أو جهلوها فلا يسألون عنها ؟ قال : وما هي ؟ قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله حَصَبُ جَهَنَّم أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ ﴾ شق على قريش . فقالوا : أيشتم آلهتنا ؟ فجاء ابن الزبعري . فقال : ما لكم ؟ قالوا : يشتم آلهتنا . قال : فما قال ؟ قالوا : قال : ﴿ إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله حَصَبُ جَهَنَّم أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ ﴾ قال : ادعوه لي ، فلما دعي النبي ﷺ قال يا محمد : هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله ؟ قال : بل لكل من عبد من دون الله . فقال ابن الزبعري : خصمت ورب هذه البنية ـــ يعني الكعبة ـــ ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون . وأن عيسى عبد صالح . وهذه بنو مليح يعبدون الملائكة . وهذه النصارى يعبدون عيسى عليه السلام ، وهذه اليهود يعبدون عزيراً . قال : فصاح أهل مكة . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ . أي الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام . أولئك عنها مبعدون * قلت : وابن الزبعرى بكسر الزاى وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء . ومعناه السيء الخلق ، وهو لقب والد عبد الله القرشي ، وقد أسلم بعد هذه القصة ذكره الشهاب أما التفسير : ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله ﴾ أي غيره من الأوثان ، والشمس والقمر ... ﴿ حَصَبُ جَهَنَّم ﴾ أي ما يرمى به إليها وتهيج به ، ولا يقال له حصب إلا وهو في النار . فأما قبل ذلك فحطب وشجر وغير ذلك . وفي المختار : والحصب ما تحصب به النار أي ترمى . وكل ما ألقيته في النار فقد حصبها به . وأخرج البيهقي عن أبي هريرة وصح به الخبر أن الشمس والقمر يكونان ثورين عقيرين في النار . وأصله في البخاري . وقوله : ﴿ أَنْتُمْ لَهَا وارِدُونَ ﴾ أي داخلون فيها ﴿ لَوْ كانَ هَؤُلاءِ ﴾ يعني الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله ﴿ آلِهَةً ﴾ أي على الحقيقة ﴿ ما ورَدُوها ﴾ أي ما دخل الأصنام النار وعابدوها ﴿ وكُلٌّ فِيها خالِدُون ﴾ يعنى العابدون والمعبودين في الخازن قال ابن مسعود في هذه الآية : إذا بقى في النار من يخلد

فيها جعلوا في توابيت من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى ، ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى ، عليها مسامير من نار ، فلا يسمعون ، ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره * وقوله : ﴿ **لَهُمْ فِيها زفيرٌ وهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ** ﴾ شيئاً لشدة غليانها . وقوله : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ منَّا الْحُسْنَى أُوَلئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ** ﴾ تقدم أنها نزلت لما قال ابن الزبعري عبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ماذكر في عموم مافى قوله : ﴿ **إنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله حَصَبُ جَهَنَّم** ﴾ فخص هذا العموم باستخراج الذين سبقت لهم من الله الحسنى . أي الدرجة والرتبة الحسنى وهي السعادة في الدار الآخرة . فهم مبعدون عن عذاب جهنم وآلامها

سورة الحجج وبيان مافيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي الله بِغَيْرِ عِلْمٍ ويتّبع كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي الله** ﴾ قال : نزلت في النضر بن الحارث * وعبارة الخازن : نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدل . وكان يقول : الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، وكان ينكر البعث . وإحياء من صار تراباً * وفي النسفي . وقال : كان يقول الملائكة بنات الله . والقرآن أساطير الأولين . وكان ينكر البعث ، وإحياء من صار تراباً * والمعنى واحد . والآية عامة في كل من تعاطى الجدال فيما لا يجوز على الله . وما لا يجوز من الصفات والأفعال ، ولا يرجع إلى علم فهو يتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات متمرد على الله تعالى متجرد للفساد . والمراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر . وإما إبليس وجنوده *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله علَى حَرْفٍ فإنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمأنَّ به وإنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ علَى وجْهِهِ خسِرَ الدُّنيا والآخِرَةَ ذِلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ في الواحدي : قال المفسرون : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم ، وكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صح بها ونتجت فرسه مهراً حسناً . وولدت امرأته غلاماً . وكثر ماله وماشيته آمن به

واطمأن ، وقال : ماأصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً . وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية . وأجهضت رماكه ــ الرمكة الأنثى من البراذين والجمع رماك ــ المصباح ــ وذهب ماله . وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال : والله ماأصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً ، فينقلب عن دينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومَنَ النَّاسِ مَنْ يعبُدُ الله على حرف** ... ﴾ الآية * وفي لباب السيوطي : أخرج البخاري عن ابن عباس نحوه . قلت : ونص البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ** ﴾ قال : كان الرجل يقدم المدينة . فإن ولدت امرأته غلاماً . ونجبت خيله قال : هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله ، قال هذا دين سوء» وفي اللباب : وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال : أسلم رجل من اليهود ، فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام . فأتى النبي ﷺ ، فقال : اقلني ، فقال : إن الإسلام لايقال . فقال : إني لم أصب في ديني هذا خيراً أذهب بصري ومالي وولدي . فقال : يايهودي ، إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب . قال : ونزلت : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ** ... ﴾ أما التفسير : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ** ﴾ أي شك في عبادته . أي متزلزلاً شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ، والمعنى : أن فيه انحرافاً عن العقيدة ، وعلى طرف من الدين إلا في وسطه وقلبه ﴿ **فإنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ** ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله وولده ﴿ **اطْمأنَّ به** ﴾ أي رضي به وسكن إليه ﴿ **وإنْ أصَابَتْهُ فِتْنَةٌ** ﴾ أي اختبار بما يكرهه الطبع ويثقل على النفس كالجدب والمرض ، وسائر المحن ﴿ **انْقَلَبَ علَى وجْهِهِ** ﴾ رجع إلى الكفر . والعياذ بالله ﴿ **خَسِرَ الدُّنيا** ﴾ بفوات ماأمله منها . .وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه . قال الكرخي : ماأمله منها من العز والكرامة وإصابة الغنيمة ، وأهلية الشهادة ، والإمامة والقضاء * وخَسِرَ ﴿ **الآخِرَةَ** ﴾ بما فيها من النعيم بردته ﴿ **ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾ البين خسران مثله *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فالّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ به مَا فِي بُطُونِهِمْ والجلُودُ ولَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ.كُلَّمَا أرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ**

أعيدُوا فِيهَا وذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ ﴾ في الواحدي : قال قيس بن عبادة : سمعت أبا ذر يقول : أقسم بالله : لنزلت : ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾ في هؤلاء الستة : حمزة وعبيدة ، وعلي بن أبي طالب وعتبة ، وشيبة والوليد بن عتبة . رواه الشيخان عن حجاج بن منهال * وحدث قيس بن عبادة عن عليّ قال : فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا** ... ﴾ إلى قوله : ﴿ **الْحَرِيقِ** ﴾ . أخرجه الشيخان * وقال ابن عباس : هم أهل الكتاب . قالوا للمؤمنين : نحن أولى بالله منكم ، وأقدم منكم كتاباً . ونبينا قبل نبيكم — وقال المؤمنون . نحن أحق بالله . آمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام . وآمنا بنبيكم ، وبما أنزل من كتاب — فأنتم تعرفون نبينا ثم تركتموه ، وكفرتم به حسداً . وكانت هذه خصومتهم . فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية . وهذا قول قتادة * قال الخازن وهو ضعيف وكانت هذه خصومتهم ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر . حمزة وعلي . الخ ...« وفي تذكرة القرطبي : احتجت النار والجنة ، فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين . فقال الله تعالى لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء . وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء . ولكل واحدة منكما ملؤها . وخرجه مسلم والترمذي . وقال حديث حسن صحيح ، ومعنى احتجت النار والجنة . أي حجت كل واحدة منهما صاحبتها وخاصمتها * أما التفسير : ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ** ﴾ أي المؤمنون خصم . والكفار خصم . وهو يطلق على الواحد والجماعة بأي لفظ واحدة وقد يعبر فيه بلفظ الجمع والتثنية . لأن الخصم في الأصل مصدر . ولذلك يوحد ويذكر غالباً وعليه قوله تعالى : ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نبؤ الْخَصْمِ إذ تسوَّروا المحراب** ﴾ ويجوز أن يثنى ويؤنث ، وعليه هذه الآية ، ولما كان كل خصم فريقاً يجمع طوائف قال : ﴿ **اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾ أي في دينهم : بعضهم أثبته وبعضهم أنكره . ﴿ **فالّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ** ﴾ أي قدرت لهم على قدر جثتهم ﴿ **ثِيابٌ مِنْ نَارٍ** ﴾ يلبسونها . أو كناية عن إحاطة النار بهم كما يحيط الثوب بلابسه ، والأول أظهر لأنه لما كان الثوب يغطي الجسد غير الرأس قال تعالى : ﴿ **يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ** ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة ، فمن شدة حرارته أنّه ﴿ **يُصْهَرُ** ﴾ يذاب ﴿ **به مَا في بُطُونِهِمْ** ﴾ من شحوم وغيرها ﴿ **وَ** ﴾ تشوى به الجلود

﴿ الجلُودُ ﴾ بدون إحراقها ، أي كالشواء كما تقدم ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ لضرب رؤسهم . وهي جمع مقمعة بكسر الميم لأنها آلة القمع ، وهي المطرقة . وقيل : السوط . ﴿ كُلَّمَا أرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها ﴾ أي النار ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾ يلحقهم بها والمراد أنها ترفعهم إلى أعلاها . فلا خروج لهم لقوله تعالى : ﴿ ومَاهُمْ بخارجين مِنْهَا ﴾ ولهذا قال : ﴿ أُعيدُوا فِيهَا ﴾ دون إليها . وذكر الإرادة للدلالة على رغبتهم في الخروج منها ﴿ وَ ﴾ قيل لهم : ﴿ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ ﴾ البالغ نهاية الاحراق لأن فعيلا من صيغ المبالغة * هذا الخصم الأول . وقال في المؤمنين : ﴿ إنَّ الله يُدْخِلُ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فيهَا مِنْ أسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤْلؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ...*

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أليِمٍ ﴾ في الواحدي : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين : أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار . فافتخروا في الأنساب ، فغضب عبد الله بن أنيس ، فقتل الأنصاري ، ثم ارتد عن الإسلام . وهرب إلى مكة فنزلت فيه : ﴿ ومَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحَادٍ ... ﴾ الآية . قلت : والآية متصلة بما في أول الآية ﴿ إنَّ الّذِينَ كَفَرُوا ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله والْمَسْجِدِ الْحَرامِ الّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ والباد وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحَادٍ .. ﴾ روى ابن عباس رضي الله عنهما . أن الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية عن المسجد الحرام ، وقد كره عليه الصلاة والسلام أن يقاتلهم ، وكان محرماً بعمرة ، ثم صالحوه على أن يعود في العام المقبل * المراغى . أما التفسير : ﴿ إنَّ الّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بما جاء به نبينا محمد ﷺ ﴿ وَيَصُدُّونَ عن سَبِيلِ الله ﴾ يمنعون المؤمنين من الحج والجهاد والإسلام وهو عام في كفار مكة وغيرهم إلى يوم القيامة للتعبير بالمضارع الدال على التكرير ﴿ وَ ﴾ تصدون عن ﴿ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ الّذي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾ قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً ﴿ سَوَاءً العاكف ﴾ أي المقيم ﴿ فيه ﴾ ويدخل فيه الغريب إذا جاور وأقام به ولزم التعبد فيه ﴿ والْبَادِ ﴾ القادم من البادية لأداء المناسك . ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإلْحَادٍ ﴾ أي عدول عن القصد والاعتدال ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ أي بسببه بأن ارتكب منهياً ، ولو شتم الخادم ﴿ نُذِقْهُ من عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

مؤلم أي بعضه في الدنيا قال السدى : إلا أن يتوب . وروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان له فسطاطان : أحدهما في الحل والآخر في الحرم . فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل . فسئل عن ذلك . فقال : إن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله . وبلى والله *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا ولا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ على مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسنينَ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها . فقال أصحاب النبي ﷺ : « فنحن أحق أن نضمخ » فأنزل الله تعالى : ﴿ **لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا ...** ﴾ * وكذا في الخازن . وفيه : يزعمون أن ذلك قربه إلى الله تعالى . فأنزل الله : ﴿ **لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا ولا دِمَاؤُهَا ...** ﴾ أي لن ترفع إلى الله لحومها ولا دماؤها . ﴿ **وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ** ﴾ أن ترفع إليه الأعمال الصالحة والإخلاص . وهو ما أريد به وجه الله . أي لا يرفع نفس اللحم والدم . والمعنى : أنه لا يثيبكم على لحمها إلا إذا وقع موقعا من وجوه الخير الخالص لوجه الله تعالى . ﴿ **كذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ** ﴾ أي البدن لتأكلوا منها وتركبوها ﴿ **لِتُكَبِّرُوا اللهَ على مَا هَدَاكُمْ** ﴾ وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه . وهو أن يقول : الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا . ﴿ **وبَشِّرِ الْمُحْسنينَ** ﴾ قال ابن عباس الموحدين . والاحسان في اللغة ضد الإساءة . وفسر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل صلوات الله وسلامه عليهما فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ **إنَّ اللهَ يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ . إشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة والمراد به الإخلاص وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معاً . فصح تفسير ابن عباس المحسنين : الموحدين .

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإنَّ اللهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وصلواتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كثيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ في الواحدي : قال

المفسرون : كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ ، فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج ، فشكوهم إلى رسول الله ﷺ ، فقال لهم : اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ . فأنزل الله تعالى هذه الآية * أي الأولى . ولاشك أن الآية الثانية لاتنفك عن الأولى بدليل ماذكره الواحدي . وقال ابن عباس : لما أخرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه : أخرجوا نبيهم ليهلكن . فأنزل الله : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ...** ﴾ قال أبو بكر . فعرفت أنه سيكون قتال * والقول الأول في سبب نزولها في الخازن . وفيه وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة ، فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعوهم من الهجرة بأنهم ظلموا . أي بسبب ماظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء * قلت : وهي أول آية نزلت في القتال بعد مانهي عنه في نيف وسبعين آية . كما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما . أما التفسير : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا** ﴾ أي أبيح لهم قتال المشركين الظالمين ، وذلك بعد الهجرة ، وعلل الإذن لهم بأنهم ظلموا . أي بسبب ظلم الكافرين إياهم ﴿ **وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ وعد لهم بالنصر عن طريق الرمز والكناية كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم . هم ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ** ﴾ مكة ﴿ **بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾ في الإخراج الذي أخرجوه لالذنب ارتكبوه ﴿ **إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ** ﴾ وحده . وهذا ذنب في نظر المشركين . فالتوحيد حق والإخراج به اخراج غير حق ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ** ﴾ أي دفع الله الكافرين ﴿ **بِبَعْضٍ** ﴾ أي ببعض المؤمنين . فكأنه قال تعالى ولولا دفع الله أهل الشرك بالمؤمنين بالإذن لهم في جهادهم ﴿ **لَهُدِّمَتْ** ﴾ أماكن العبادة ﴿ **صَوَامِعُ** ﴾ بيوت الرهبان ﴿ **وَبِيَعٌ** ﴾ كنائس النصارى ﴿ **وصلواتٌ** ﴾ كنائس اليهود ، وأصلها بالعبرانية صلوثا ﴿ **وَمَسَاجِدُ** ﴾ للمسلمين ﴿ **يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً** ﴾ والمعنى : لهدم في شرع كل نبي المكان الذي يصلى فيه ، فلولا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه . وفي زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفي زمن نبينا المساجد ، فعلى هذا إنما دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف وقبل النسخ . وقدمت الصوامع والبيع والصلوات على مساجد المسلمين لأنها أقدم في الوجود . ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ** ﴾ أن ينصر دينه وأولياءه ﴿ **إِنَّ اللهَ**

لَقَوِيٌّ ﴾ على خلقه ﴿ **عَزِيزٌ** ﴾ منيع في سلطانه *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنَ رسُولٍ ولَا نبيٍّ إلّا إذَا تمَنَّى أَلْقىٰ الشيّطَانُ فِي أُمْنِيَّتِه فَيَنْسَخُ الله مٰا يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمّ يُحْكِمُ الله آياتِهِ والله عَليمٌ حكِيمٌ** ﴾ في الواحدي : قال المفسرون : لما رأى رسول الله ﷺ تولى قومه عنه ، وشق عليه مارأى من مباعدتهم عما جاءهم به ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله مايقارب به بينه وبين قومه . وذلك لحرصه على إيمانهم ، فجلس ذات يوم في نادٍ من أندية قريش كثيراً أهله . وأحب يومئذ أن يأتيه من الله تعالى شيء ينفر عنه ، وتمنى ذلك ، فأنزل الله تعالى سورة : ﴿ **والنَّجْمِ إذَا هَوَى** .. ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ : ﴿ **أفرأيْتُمُ اللَّاتَ والْعُزّى . ومَنَاة الثّالِثَةَ الأُخْرَى** ﴾ ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه وتمناه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي فلما سمعت قريش ذلك فرحوا . ومضى رسول الله ﷺ في قراءته . فقرأ السورة كلها ، وسجد في آخر السورة ، فسجد المسلمون بسجوده ، وسجد جميع من في المسجد من المشركين ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبا أحيحه : سعيد بن العاص . فإنهما أخذا حفنة من البطحاء . ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود ، وتفرقت قريش ، وقد سرها ماسمعوا ، وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر ، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ، ويخلق ويرزق لكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فإن جعل لها محمد نصيباً فنحن معه ، فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال : ماذا صنعت ؟ تلوت على الناس مالم آتك به عن الله سبحانه وتعالى . وقلت مالم أقل لك . فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً . وخاف من الله خوفاً كبيراً . فأنزل الله تعالى هذه الآية فقالت قريش : ندم محمد على ماذكر من منزلة آلهتنا عند الله فازدادوا شراً إلى ماكانوا عليه * وقد طعن ابن العربي وعياض في جميع طرق الرواية هذه ، وأنها روايات باطلة لاأصل لها . وذكر السيوطي في اللباب قوله : وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه . وقال : لايروى متصلاً إلا بهذا الإسناد ، وتفرد بوصله أمين بن خالد وهو ثقة مشهور ، وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن جرير من طرق العوفى عن ابن عباس ، وأورده ابن اسحاق

في السيرة عن محمد بن كعب ، وموسى بن عقبة ابن شهاب ، وابن جرير عن محمد بن قيس ، وابن أبي حاتم عن السدى كلهم بمعنى واحد ، وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأول الذي أوردته . وفي فتح الباري كلام طويل لابن حجر أثبت بعض طرقها ، ورد على من قال ذلك في النوم ، وقد ذكر السيوطي القصة في تكعلة الجلال . والحق أنه ينبغي أن يكون للآية سبب آخر لنزولها غير قصة الغرانيق إن كان لها سبب نزول آخر . وماذهب إليه عياض وابن العربي هو الحق إن شاء الله . ويصدق قول القائل أن النبي ﷺ قال ذلك توبيخاً للكفار . وسجد شكراً لله . وهو ماجوزه القاضي عياض والباقلاني . كما يصْدق قول من قال : كان النبي ﷺ يرتل القرآن في سورة النجم . فترصده الشيطان في سكته من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا صوت النبي ﷺ بحيث سمعه من دنا إليه ، فظنها من قول النبي وأشاعها . قال القاضي عياض . وهذا أحسن الوجوه . وهو الذي يظهر ترجيحه ، ويؤيده ماروى عن ابن عباس في تفسير تمنى بتلا . فيكون معنى في أمنيته : في تلاوته . فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه . فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قال لأنه معصوم . وقد صوب هذا المعنى الطبري . قال ابن كثير رضي الله عنه قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق . وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة . ولم أرها مسندة من وجه صحيح * أما التفسير فواضح *

سورة المؤمنون وبيان مافيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون ... ﴾ قال عبد الرحمن بن عبد القاري ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل . مكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه . فقال : اللهم زدنا ولاتنقصنا . وأكرمنا ولاتهنا ، وأعطنا ولاتحرمنا ، وآثرنا ولاتؤثر علينا ، وارض عنا ، ثم قال : لقد أنزلت علينا عشر آيات

من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ قد أفلح المؤمنون — إلى عشر آيات . رواه الحاكم أبو عبيد الله في صحيحه عن أبي بكر القطيعي ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه . عن عبد الرازق . وكذا ذكر ابن كثير لكنه قال : رواه الترمذي في تفسيره والنسائي في الصلاة من حديث عبد الرزاق به . وقال الترمذي منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه . وقال الذهبي عن حديث الحاكم . سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا . فقال : أظنه لا شيء *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ في الواحدي : حدث ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزل : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ * وفي اللباب : فطأطأ رأسه . وفي الكشاف : رقى ببصره نحو مسجده * وفي الطبري : وقيل إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها فنهوا بهذه الآية عن ذلك . وروى البخاري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم . فاشتد قوله في ذلك حتى قال : لينتهين عن ذلك . أو لتخطفن أبصارهم » وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ، فلما نزل : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ رمقوا بأبصارهم إلى مواضع السجود . وقيل : الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روى أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة : فقال : « لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه » ذكره البغوى بغير سند . ومعنى الآية : الذين هم مخبتون لله أذلاء منقادون له . خائفون من عذابه . والخشوع واجب على المرء في الصلاة لوجوه : ١ – التدبر فيما يقرأ ٢ – تذكر لقاء الله والخوف من وعيده ٣ – المصلي يناجي ربه فليحذر من الغفلة . قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبَّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها** ﴾ وقال : ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾ أي لتقف على عجائب أسراره * ومن الخشوع أن يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب . والعبث بجسده وثيابه . والالتفات والتمطي . والتثاؤب والتغميض ، وتغطية الفم والسدل والفرقعة . والتشبيك والاختصار ، وتقليب الحصا ، نظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصا . وهو يقول : اللهم زوجني الحور العين . فقال : بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ في الواحدي : قال أنس بن مالك . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وافقت ربي في أربع . قلت يارسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله تعالى : ﴿ **واتَّخِذُوا مِنْ مقامِ ابراهيمَ مُصَلى** ﴾ وقلت يارسول الله : لو اتخذت على نساءك حجاباً فإنه يدخل عليهن البر والفاجر فأنزل الله تعالى ﴿ **سألتمُوهُنْ مَتاعاً فاسلُوهُنَّ من وراء حجاب** ﴾ وقلت لأزواج النبي ﷺ

لتنتهينّ أو ليبدّلنّه الله سبحانه أزواجاً خيراً منكنّ ، فأنزل الله تعالى : «**عَسى ربُّه إن طلّقكُنَّ أنْ يُبْدِلَهُ أزْواجاً خيْراً منكُنَّ..**» الآية * ونزلت : «**ولقدْ خلَقْنَا الإنسانَ من سلالة من طين**» إلى قوله : «**ثُمَّ أنْشأناهُ خلقاً آخر**» فقلت فتبارك الله أحسنُ الخالقين .

القول في بيان نزول قوله تعالى : «**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بالْعَذابِ فَما استكانُوا لِرَبِّهم وما يتضرَّعُون**»

في الواحدي : عن ابن عباس : قال : جاء أبوسفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد : ننشدك الله والرّحم ، لقد أكلنا العلهز (يعني الوبر بالدم) فأنزل الله تعالى : «**وَلَقَدْ أخَذْنَاهُمْ بالْعَذَابِ فَما اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وما يتضرّعُون**» وكذا في البيضاوى * وفي اللباب : أتى ابن إياز الحنفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وهو أسير فخلّى سبيله ، فلحق باليمامة ، فحال بين أهل مكّة وبين الميرة من يمامة ، وأخذ الله تعالى قريشاً بسنى الجدب حتى أكلوا العلهز ، فجاء أبوسفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أنشدكم الله والرحم إنك تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ، قال : بلى ، فقال : قد قتلت الآباء بالسيف ، والأ بناء بالجوع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية «**وَلَقَدْ أخَذْنَاهُمْ بالعذاب ...**» الآية * وفي الخطيب نحوه . وفيه ، والعلهز أيضاً القراد الضخم . وبقيّة الأقوال نحو ما ذكر.

أما التفسير: «**وَلَقَدْ أخَذْنَاهُمْ بالْعَذَابِ**» الجوع ، وذلك بسبب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بقوله : (اللهمّ اشدد وطأتك على مضر، اللهمّ اجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف)وقد قحطوا كما علمت «**فَمَا استكانُوا**» تواضعُوا «**لربِّهِمْ وما يَتَضَّرعُون**» يرغبون إلى الله بالدعاء.

سورة النور وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الزَّانِي لاَيَنْكِحُ إِلَّا زانيةً أو مُشْرِكةً والزانيةُ لاينْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّمَ ذَلِكَ علَى المؤمنين** ﴾ في الواحدي : قال المفسرون : قدم المهاجرون إلى المدينة ، وفيهم فقراء ليست لهم أموال . وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن . وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ، فرغب فى كسبهن ناس من فقراء المهاجرين . فقالوا : لو أنا تزوجنا منهن ، فعشنا معهن إلى أن يغنينا الله تعالى عنهن . فاستأذنوا النبي ﷺ في ذلك . فنزلت هذه الآية . وحرم فيها نكاح الزانية صيانة للمؤمن عن ذلك * وقال عكرمة : نزلت في نساء بغايا متعالجات بمكة والمدينة ، وكن كثيرات ، ومنهن تسع صواحب رايات . لهن رايات كرايات البيطار يعرفونها : وهن أم مهدون جارية السائب بن أبي السائب المخزومي . وأم غليظ جارية صفوان بن أمية ، وحية القبطية جارية العاص بن وائل ، ومرية جارية ابن مالك بن عثملة بن السياق . وجلاله جارية سهيل بن عمرو . وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي . وشريفة جارية زمعة بن الأسود . وقرينة جارية هشام بن ربيعة . وفتنا جارية هلال بن أنس . وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية المواخير . ولا يدخل عليهن ولا يأتيهن إلا زانٍ من أهل القبلة ، و مشرك من أهل الأوثان ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهم ليتخذوهن مأكلة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . ونهى المؤمنين عن ذلك . وحرمه عليهم * وفي رواية القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر أن امرأة يقال لها أم مهدون كانت تسافح ، وكانت تشترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة . وأن رجلاً من المسلمين أراد أن يتزوجها فذكر

ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية * وفي اللباب : وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مزيد يحمل من الأنبار إلى مكة حتى يأتيهم ، وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق فاستأذن النبي ﷺ أن ينكحها فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت : ﴿ **الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانيةً أو مُشْرِكةً** .. ﴾ الآية . فقال رسول الله ﷺ : يا مزيد : الزاني لا ينكح إلّا زانية أو مشركة . فلا تنكحها * أي أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته . وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة . والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ ولَمْ يكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلَّا أنفسهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَاداتٍ بالله إِنَّهُ مِنَ الصَّادقينَ** .. ﴾ الآيات . في الواحدي : حدث عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **والّذِينَ يرمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمّ لَمْ يأتُوا بأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُهُمْ ثمانينَ جَلْدَةً ولا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أبَداً وأولئك هُمُ الفاسقونَ** ﴾ . قال سعد بن عبادة : وهو سيد الأنصار . أهكذا نزلت يا رسول الله ؟! فقال رسول الله ﷺ : ألا تسمعون يا معشر الأنصار إلى ما يقول سيدكم ؟ قالوا يا رسول الله : إنه رجل غيور . والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته . فقال سعد : والله يا رسول الله !! إني لأعلم أنها حق ، وأنها من عند الله . ولكن قد تعجبت أن لو وجدت لكاع قد تفخدها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله إني لآاتى بهم حتى يقضي حاجته . فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشياً فوجد عند أهله رجلاً ، فرأى بعينه وسمع بأذنه ، فلم يهيجه حتى أصبح ، وغدا إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : إني جئت أهلي عشياً فوجدت عندها رجلاً ، فرأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به ، واشتد عليه ، فقال سعد بن عبادة الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ، ويبطل شهادته في المسلمين . فقال هلال : والله إني لأرجو أن يجعل الله لي مخرجاً . فقال هلال يا رسول الله : قد أرى ما قد اشتد عليك مما جئتك به . والله يعلم إني لصادق . فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن

يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي . وكان إذا نزل عليه عرفوا ذلك في تربد جلده ، فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي ، فنزلت : ﴿ **والّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ ولَمْ يكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إلَّا أنفُسهُمْ** ... ﴾ الآيات كلها . فسرى عن رسول الله ﷺ فقال : أبشر ياهلال ، فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً ، فقال هلال : قد كنت أرجو ذلك من ربيّ * وفي رواية علقمة عن ابن مسعود قال : إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ دخل رجل من الأنصار ، فقال : لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً ، فإن تكلم جلدتموه . وإن قتل قتلموه ، وإن سكت على غيظ ، فقال : اللهم افتح ، وجعل يدعو . فنزلت آية اللعان : ﴿ **والّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ ولَمْ يكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إلَّا أنفُسُهُمْ** ... ﴾ الآية . فابتلى به الرجل من بين الناس فجاء هو وامرأته إلى رسول الله ﷺ . فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . فذهبت لتلتعن . فقال رسول الله ﷺ : مه . فلما أدبرت . قال : لعلها أن تجيء به أسوداً أجعداً . فجاءت به أسود جعداً . رواه مسلم عن أبي خيثمة * وفي لباب السيوطي : وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدي ، فقال : اسأل لي رسول الله ﷺ : أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله أيقتل به ؟ أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ . فعاب رسول الله ﷺ السائل . فلقينه عويمر . فقال : ماصنعت ؟ قال : ماصنعت إنك لم تأتني بخير . سألت رسول الله ﷺ . فعاب السائل ، فقال عويمر : فوالله لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه . فسأله . فقال : إنهأنزل فيك وفي صاحبك ... الحديث * قال الحافظ ابن حجر : اختلف الأئمة في هذه المواضيع ، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال . ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال . وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معاً . وإلى هذا جنح النووي ، وتبعه الخطيب . فقال العلماء : اتفق لهما ذلك في وقت واحد *.. وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : لو رأيته مع أم رومان رجلاً ماكنت فاعلاً به ؟ قال : كنت فاعلاً به شراً . قال : وأنت ياعمر ؟ قال : كنت أقول لعن الله الأعجز وزانة الخبيث . فنزلت . قال ابن حجر : لامانع من تعدد الأسباب * وتفسير الآية باختصار : ﴿ **والّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ** ﴾ بالزنا ﴿ **ولَمْ يكُنْ لَهُمْ**

شُهَداءُ ﴾ عليه ﴿ **إلَّا أنفسهُمْ** ﴾ وقد علمت أين وقع قذف الزوجة بالزنا لجماعة من الصحابة كهلال بن أمية وعويمر العجلاني ، وعاصم بن عدى ، فيتلاعنان وهو ﴿ **فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَاداتٍ باللهِ إنَّهُ لَمِنَ الصَّادقينَ** .. ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا ، ﴿ **والخَامسةُ أنَّ لَعْنَت الله عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكَاذبينَ** ﴾ في ذلك . فيقع الحد عليها ، وتدفعه عن نفسها ﴿ **وَيَدْرأُ عَنْها الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَاداتٍ باللهِ إنَّهُ لَمِنَ الكَاذبينَ** ﴾ فيما رماها به من الزنا . ثم تقول : ﴿ **وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ الله عَلَيْهَا إنْ كانَ من الصَّادِقينَ** ﴾ في ذلك أي فيما رماها به . أي أن تحلف أربعة أيمان أن زوجها الذي رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما قال . والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها صادقاً فيما تهمها به . وخصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله عليها تغليظا عليها لأنها هي سبب الفجور ومنبعه بخديعتها ، وطماعها الرجل في نفسها . ومكان الملاعنة إن كانت بمكة ، فبين الركن والمقام . وإن كانت بالمدينة فعند منبر النبي ﷺ . وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر . وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر . وأما جمع الناس فأقله أربعة . وإن لاعن الحاكم بينهما وحده جاز * وعند الشافعي : يقام الرجل قائماً حتى يشهد ، والمرأة قاعدة . وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد . وعند الشافعي تقع الفرقة بينهما بلعان الزوج ، وتكون في حكم التطليقة البائنة عند أب حنيفة ومحمد رضي الله عنهما . فإذا كذب الرجل نفسه بعد ذلك جاز أن يتزوجها في قول وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هي فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ جَاؤا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شراً لَكُمْ بَلْ هُوَ خيرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظيمٌ * لَوْلَا إذْ سَمِعْتُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بأنفُسِهِمْ خيْراً وَقَالُوا هَذَا إفْكٌ مبينٌ** ﴾ إلى تتمة عشر آيات بعدها . ﴿ **وأَنَّ الله رَؤفٌ رَحِيمٌ** ﴾ الآية نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما رميت به ، وهو إجماع من المفسرين والمحدثين وليس فيها إلا قول واحد . وإليك تفسيرها باختصار . ﴿ **إنَّ الَّذِينَ جَاؤا بالإفْكِ** ﴾ الإفك : ابلغ مايكون من الكذب والافتراء . وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه . والمراد ماأفك به على عائشة رضي الله

عنها في غزوة بني المصطلق . والقصة مشهورة ﴿ **عُصْبَةٌ** ﴾ جماعة منهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة . وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ﴿ **مِنْكُمْ** ﴾ من جماعة المسلمين . وهم ظنوا أن الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين ﴿ **لَا تَحْسَبُوهُ** ﴾ الافك ﴿ **شراً لَكُمْ** ﴾ عند الله ﴿ **بَلْ هُوَ خيرٌ لَكُمْ** ﴾ لأن الله يأجركم عليه ، وأنزل في البراءة ، منه ثماني عشر آية . والخطاب لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة رضوان الله عليهم ومن ساءه ذلك من المؤمنين ﴿ **لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ** ﴾ أي على كل امرىء من العصبة جزاء إثمة مقدار خوضه فيه ﴿ **والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ** ﴾ أي تحمل معظمه ، وهو عبد الله بن أُبي ﴿ **لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ هو النار في الآخرة ﴿ **لَوْلَا** ﴾ هلّا ﴿ **إِذْ** ﴾ حين ﴿ **سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بأَنْفُسِهِمْ** ﴾ أي ظن بعضهم ببعض ﴿ **خيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مبينٌ** ﴾ بين الكذب ﴿ **لَوْلَا** ﴾ هلا ﴿ **جَاؤُا** ﴾ أي العصبة ﴿ **عَلَيْهِ بأَرْبَعَةِ شُهَداءَ** ﴾ شاهدوه ﴿ **فإِذْ لَمْ يأْتُوا بالشُّهَداءِ فأولئك عنْدَ الله** ﴾ أي في حكمه ﴿ **هُمُ الكاذِبُونَ** ﴾ فيه ﴿ **ولَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُم ورَحْمَتُهُ في الدُّنيا والآخرةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ** ﴾ أي خضتم ﴿ **فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ** ﴾ في الآخرة ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بأَلْسِنَتِكُمْ** ﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض ﴿ **وتقُولُونَ بأفْواهِكُمْ مَا لَيْسَ لكُمْ بِهِ عِلْمٌ وتَحْسَبُونَهُ هيِّناً** ﴾ لا إثم فيه ! ﴿ **وهُوَ عِنْدَ الله عَظِيمٌ** ﴾ إثمة كبير عند الله فهو من الكبائر . ﴿ **ولَوْلَا** ﴾ هلا ﴿ **إِذْ** ﴾ حين ﴿ **سَمِعْتُموهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ** ﴾ ماينبغي ﴿ **لَنَا أَنْ نتكلَّم بهذَا سُبْحَانَكَ** ﴾ للتعجب من عظم الأمر ﴿ **هَذَا بُهْتَانٌ** ﴾ كذب ﴿ **عظيمٌ . يَعظُكُمُ الله** ﴾ ينهاكم ﴿ **أَنْ تَعُودُوا لِمثْلِهِ أَبَداً إنْ كنْتُمْ مُؤْمنِينَ** ﴾ يتعظون بذلك ﴿ **ويُبينُ الله لَكُمُ الآيَاتِ** ﴾ في الأمر والنهي ﴿ **والله عَليمٌ** ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ فيه ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُونَ أَنْ تشيعَ الْفَاحِشَةُ** ﴾ باللسان أي شيوع خبرها ﴿ **في الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ بنسبتها إليهم وهما المقذوفين وهما عائشة وصفوان ﴿ **لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الدُّنيا** ﴾ بالحد للقذف . فقد ثبت أن النبي ﷺ حدّ القاذفين وهم الأربعة المذكورين ﴿ **والله يَعْلَمُ** ﴾ انتفاءها عنهم ﴿ **وأَنْتُمْ** ﴾ أيها العصبة ﴿ **لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ وقوعا فيهم . ﴿ **ولَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ** ﴾ أيها العصبة ﴿ **ورحْمَتُهُ وأَنَّ الله رؤف رَحِيمٌ** ﴾ بكم لعاجلكم بالعقوبة *

هذه الآيات نزلت دفعة واحدة في براءة عائشة رضي الله عنها * وإليك قصة الحادثة كما رواها البخاري في صحيحه . قال البخاري : حدثنا يحى بن بكير . حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب . قال أخبرني عروة بن الزبير . وسعد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص . وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ، ماقالوا فبرأها الله مما قالوا . كل حدثني طائفة من الحديث . وبعض حديثهم يصدق بعضاً ، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض الذي حدثني عروة عن عائشة رضي الله عنها . أن عائشة رضي الله عنها : زوج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه . فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه . قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه . فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ، وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع . فالتمست عقدي ، وحبسني ابتغاؤه . وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لِيُ . فاحتملوا هودجي ، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت ، وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم إنما نأكل العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدي بعد مااستمر الجيش ، فجئت منازلهم ، وليس بها داع ولا مجيب . فأممت منزلي الذي كنت به ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمى ، ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأدلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب . فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ماكلمني كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطىء على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك . وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبي ابن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر

بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لاأعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم . ثم يقول . كيف تيكم ، ثم ينصرف ، فذاك الذي يريبني ، ولاأشعر بالشر حتى حرجت بعد مانقهت ، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع ، وهو متبرزنا ، وكنا لانخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العَرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي بنت أبي رهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر : خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة . فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح . فقلت لها : بئس ماقلت : أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟! قالت : أي هنتاه . أو لم تسمعي ماقال ؟ قالت : قلت وماقال ؟ قالت : فأخبرتني بأهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ . تعني سلم . ثم قال : كيف تيكم . فقلت أتأذن لي أن آتي أبوى . قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما . قالت : فأذن لي رسول الله ﷺ ، فجئت أبوى . فقلت لأمي : ياأمتاه : مايتحدث الناس ؟ قالت : يابنتي هوني عليك . فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل محبها ، ولها ضرائر إلا كثرت عليها ، قالت : فقلت : سبحان الله !! ولقد تحدث الناس بهذا !! قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لي دمع ، ولاأكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي ، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب . وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله . وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود ، فقال يارسول الله : أهلك . ومانعلم إلا خيراً . وأما علي بن أبي طالب ، فقال يارسول الله ﷺ : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك . قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة ، فقال : أي بريرة . هل رأيت من شيء يريبك ، قالت : بريرة : لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن . تنام عن عجين أهلها . فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول الله ﷺ . فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبيّ ابن سلول . فقال يارسول الله ﷺ وهو على المنبر . يامعشر المسلمين من

يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ماعلمت أهلى إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ماعلمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال يارسول الله : أنا أعذرك منه . وإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت : فقام سعد بن عبادة . وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحا ، ولكن احتملته الحمية . فقال لسعيد كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله * فقام أسيد بن حضير . وهو ابن عم سعيد ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيان : الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا . ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت . قالت : فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم، قالت : فأصبح أبواى عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ، ولا يرقأ لي دمع ، يظنان أن البكاء فالق كبدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي . وأنا أبكى ، فاستأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي . قالت : فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ، ثم قال : أما بعد ياعائشة : فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه . فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي حتى ماأحس منه قطرة فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ فيما قال : قال والله : ماأدري ماأقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ . قالت : ماأدري ماأقول لرسول الله ﷺ . قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن . إني والله لقد علمت . لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني . والله ماأجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف . قال : فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون . قالت : ثم تحولت . فاضطجعت على فراشي . قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله يبرئني ببراءتي ، ولكن والله

ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله مارام رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذاه ما كان يأخذاه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : ياعائشة : أما الله عز وجل فقد برأك ، فقالت أمي : قومي إليه . قالت : فقلت والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل . وأنزل الله : ﴿ **إنَّ الّذِينَ جَاؤُا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَاتَحْسَبُوه ..** ﴾ العشر الآيات كلها . فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره ــ والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال : فأنزل الله : ﴿ **ولا يأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولى الْقُرْبَى والْمَسَاكِينَ والْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الله ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ والله غَفُورٌ رحيمٌ** ﴾ قال أبو بكر بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه . وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .فقالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري . فقال يازينب : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت يارسول الله : أحمى سمعي وبصري ماعلمت إلا خيراً . قالت : وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك» قلت : وكان مسروق رضي الله عنه إذا حدث عن عائشة يقول : حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ . المبرأة من السماء * وقول حسان في عائشة رضي الله عنهما :

حَصَان رزانٌ مَاتُزَنُّ بِرِيبة * وتُصبح غرثَى مِنْ لُحومِ الْغَوافِلِ

حليلة خير الناس ديناً ومَنْصِباً * نبيّ الهدى والمكرَمات الفَواضل

الحصان : المتعففة . رزان : ثابتة . ماتزن : أي ترمى . ولا تهتم بريبة : أي بأمر يريب الناس . وتصبح غرثى . أي جائعة من لحوم الغوافل . أي لا تغتاب أحداً ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل . وكانت رضي الله عنها تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من

الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة . فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل ...*

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاتَدْخُلوا بُيُوتاً غيْرَ بيوتِكُمْ حَتَّى تَسْأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا على أهْلِهَا ذلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ في الواحدي : حدث أشعث بن سوار عن ابن ثابت قال : جاءت امرأة من الأنصار . فقالت يارسول الله : إني أكون في بيتي على حال لاأحب أن يراني عليها أحد لاوالد ولاولد . فيأتي الأب فيدخل علي ، وإنه لايزال يدخل علي رجل من أهلي . وأنا على تلك الحال فكيف أصنع ؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ **لَاتَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْر بِيُوتِكُمْ ...** ﴾ الآية * قال المفسرون : فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يارسول الله : أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عليكُمْ جُنَاحٌ أنْ تَدْخُلوا بُيُوتاً غَيْر مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتاعٌ لكُمْ ...** ﴾ * وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : لما نزلت آية الاستئذان في البيوت قال أبو بكر يارسول الله : فكيف بتجار قريش الذينَ يختلفون بين مكة والمدينة والشام ، ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون : يسلمون وليس فيها سكان ؟ فنزلت ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة .. الآية * وكذا في القرطبي : وابن كثير وغيرهما : وقال مقاتل في الآية : كان الرجل في الجاهلية إذا لقى صاحبه لايسلم عليه ويقول : حييت صباحاً ، وحييت مساءً ، وكان ذلك تحية القوم بينهم ، وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه ، فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول : قد دخلت ونحو ذلك ، فيشق ذلك على الرجل ، ولعله يكون مع أهله . فغير الله ذلك كله في ستر وعفة ، وجعله نقياً نزها من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لَاتَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ..** ﴾ الآية . وهذا الذي قاله مقاتل حسن .. ولهذا قال تعالى ﴿ **ذَلِكُمْ خَيرٌ لكُمْ** ﴾ أما التفسير : ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا** ﴾ تستأذنوا . من الاستئناس بمعنى الاستعلام من أنس الشيء إذا أبصره ، فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو لايؤذون له ، أو من الاستئناس الذي هو خلاف الايحاش ، فإن المستأذن متوحش خائف أن لايؤذن له ، فإذا أذن له استأنس أوتتعرفوا هل ثم إنسان من الإنس . ﴿ **وتُسَلِّمُوا عَلَى أهْلِهَا** ﴾ أي

لا يدخلوا إلى مالا يحل النظر إليه . قال الخازن : واختلفوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول : أدخل السلام عليكم كما في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام .

وقال الأكثرون : يقدم السلام فيقول : سلام عليكم أأدخل ؟ وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا . وكذا هو في مصحف ابن مسعود ، وروى عن كند بن حنبل قال : دخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن . فقال النبي ﷺ : ارجع فقل السلام عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي . وعن ربعي بن حراش قال : جاء رجل مع بني عامر فاستأذن على رسول الله ﷺ . وهو في البيت . فقال : ألج ؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان . فقل له : السلام عليكم أدخل . فسمع الرجل ذلك من رسول الله ﷺ . فقال : السلام عليكم أأدخل . فأذن له رسول الله ﷺ . أخرجه أبو دادو . وأخرج الشيخان عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي موسى . قال أبو سعيد : كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور . فقال : استأذنت على عمر ثلاثاً . فلم يؤذن لي ، فرحل ، قال : مامنعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثاً ، فلم يؤذن لي ، فرجعت ، وقد قال رسول الله ﷺ : إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع . قال : والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أخر سمعه من النبي ﷺ . قال أبي بن كعب : فوالله لا يقوم معك إلا أصغر القوم ، فكنت أصغر القوم ، فقمت معه ، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك . قال الحسن : الأول إعلام . والثاني مؤامرة ، والثالث استئذان بالرجوع * وعن عبد الله بن بسر قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : السلام عليكم . وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور * أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن . أخرجه أبو دواد * وقيل : إذا وقع بصره على إنسان قدم السلام أو قدم الاستئذان ثم يسلم * وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة : يستأذن على المحارم . يدل عليه ماروى عن عطاء بن يسار أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ . فقال : أستأذن على أمي ؟ قال : نعم ، فقال الرجل : إني معها في البيت . فقال رسول الله ﷺ أستأذن عليها ؟ فقال الرجل : إني خادمها . فقال رسول الله ﷺ استأذن عليها . أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا ، قال : فاستأذن عليها .

أخرجه مالك في الموطأ * وقوله : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذكَّرُونَ** ﴾ هذه الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين ، فهي آداب حسنة نافعة في بقاء الود وحسن العشرة بين المؤمنين *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : بلغنا أن جابر بن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها . فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن . يعني الخلاخل ، وتبدو صدورهن وذوائبهن . فقالت أسماء : ما أقبح هذا . فأنزل الله في ذلك : ﴿ **وقُلْ للمُؤْمِناتِ** .. ﴾ وأخرج ابن جرير عن حضرمي أن امرأة اتخذت صرتين من فضة ، واتخذت جزعا ، فمرت على قوم . فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوت ، فأنزل الله : ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بأرجلهنَّ** ﴾ الآية * وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله : **(وليضربن بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ فاخْتَمَرْنَ** بها مروطهن : جمع مرط وهو الإزار . فاختمرن بها . أي غطين وجوههن بالمروط التي شققنها * وروى عنها قولها : لما نزلت الآية : **وَلْيَضْرِبنَ بِخُمرِهِنَّ عَلَى جيُوبِهِنَّ أَخذْنَ أُزْرَهُنَّ فَشَقَقنها مِنْ قِبَلِ الحواشِي فاخْتَمَرْن بها * وهو طريق آخر في الحديث المذكور عنها . وكذا رواه الحاكم في مستدركه . ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد علمت تخريج البخاري له . هذا ولم أر في التفاسير غير ماذكرت من أقوال في أسباب نزولهما ؟ أما التفسير : ﴿ وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ﴾ عما لا يحل النظر إليه . وهو شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة . والغض إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية روى عن أم سلمة قالت : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحرث إذ أقبل ابن مكتوم .

فدخل عليه . وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب ، فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه . فقلنا يارسول الله : أليس أعمى لا يبصرنا . ولا يعرفنا * فقال : رسول الله ﷺ : أفعميا وان أنتما ، ألستما تبصرانه . أخرجه الترمذي وأبو داود . ﴿ **ولَايُبْدِينَ** ﴾ أي لا يظهرن ﴿ **زِينَتَهُنَّ** ﴾ أي لغير محرم . وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن ، والقلائد في العنق ، فلا يجوز للمرأة اظهارها ، ولا يجوز للأجنبي النظر إليها . والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن * وعبارة السيوطي في الجلال ﴿ **وَلَايُبْدِينَ** ﴾ يظهرن ﴿ **زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَاظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين ، والثاني يحرم لأنه مظنه الفتنة ورجح حسما للباب * أي أن في غض البصر سداً لباب الشر ، ومنها لارتكاب المآثم والذنوب ولله در أحمد شوقي حيث يقول :

نظـرة فابتسـامة فسـلامٌ * فكـلامٌ فمـوعد فلقـاءُ

وفي الصحيح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ إياكم والجلوس على الطرقات . قالوا يارسول الله : لابد لنا من مجالسنا نتحدث فيها ، فقال ﷺ . إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر * وروى مسلم عن عبد الله البجلي قال : سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري * وروى أبو داود أن النبي ﷺ قال لعلي : «ياعلي لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة» وقوله : ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾ أي يسترن الرؤس والأعناق والصدور بالمقانع . وهي مايغطي به الرأس ﴿ **ولَايُبدين زِينَتَهُنَّ** ﴾ الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ، ولا للأجانب ، وهي ماعدا الوجه والكفين ﴿ **إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾ جمع بعل أي زوج . حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها أو الطفل فيجوز لهم نظرة إلا مابين السرة والركبة ، فيحرم نظره لغير الأزواج . وخرج بنسائهن الكافرات . فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن ، وشمل ماملكت أيمانهن العبيد ﴿ **أو التابعين** ﴾ في فضول الطعام . قال ابن عباس : التابع هو الأحمق العنين ، وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن ، وقيل هو المجبوب ، وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته . وقيل : هو المخنث . ﴿ **غَيْرِ أُوْلِى الإِرْبَةِ** ﴾ أي أصحاب الحاجة إلى

النساء ﴿ **مِنَ الرِّجَالِ** ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿ **أَوِ الطِّفْلِ** ﴾ بمعنى الأطفال : ﴿ **الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا** ﴾ لم يطلعوا ﴿ **عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ** ﴾ للجماع ، فيجوز أن يبدين لهم ماعدا مابين السرة والركبة ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ** ﴾ عند مشيهن ليقعقع خلخالهن ﴿ **لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ** ﴾ فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه. وفي قوله وتوبوا تغليب للذكور على الإناث لوقوع النظر من الرجال أكثر من النساء * أخرج أحمد والبخاري والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر أنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «أيها الناس ! توبوا إلى الله ، فإني أتوب إليه كل يوم مائة مرة» * ومن شرط التوبة : الاقلاع عن الذنب ، والندم على مامضى . والعزم على ألا يعودوا إليه . ورد الحقوق إلى أهلها . لا كما يظن الناس الآن أنها كلمة تلاك باللسان دون أن يكون لها أثر في القلب ، ولا عزم على عدم العود . حتى إن كثيراً مما يزعمون أنهم تابوا من الذنب يحكون مافعلوه من الآثام على وجه الفخر والاستلذاذ بذكره . وهذا دليل على أنهم كاذبون في توبتهم مراؤن في أفعالهم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ لنزول هذه الآية سببان الأول في المكاتبة والثاني في إكراه الفتيات على الزنى . وهما : في الواحدي : نزلت في غلام الحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سأل مولاه أن يكاتبه . فأبى عليه . فأنزل الله تعالى هذه الآية . وكاتبه حويطب على مائة دينار ، ووهب له منها عشرين ديناراً ، فأداها . وقتل يوم حنين في الحرب * وفي لباب السيوطي : أخرج ابن المنكدر في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال : كنت مملوكاً لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتابة فنزلت : ﴿ **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ ...** ﴾ الآية . والثاني . أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال : كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له : اذهبي فابغينا شيئاً فأنزل الله ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ...** ﴾ إلى قوله ﴿ **غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾

وأخرج أيضاً من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة ، وأخرى يقال لها أميمة فكان يكرههما على الزنى ، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿ **ولا تُكْرِهُوا فَتياتِكُمْ على الْبِغاءِ ....** ﴾ الآية . وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال : كانت مسيكة لبعض الأنصار ، فقالت إن سيدي يكرهني على البغاء فنزلت : ﴿ **ولا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ علَى الْبِغاء ...** ﴾ الآية . وفي الواحدي : أن معاذة كانت مسلمة . وكان عبد الله بن أبي يستكرهها على البغاء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ على الْبِغاءِ ...** ﴾ وقال المفسرون : نزلت في معاذة ومسكية : جاريتي عبد الله بن أبي المنافق كان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما ، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم . فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة : إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين . فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه ، وإن يك شراً ، فقد آن لنا أن ندعه . فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال مقاتل : نزلت في ست جوار لعبد الله بن أبي كان يكرههن على الزنا . ويأخذ أجورهن . وهن معاذة ومسكية وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة . فجاءت إحداهن ذات يوم بدينار ، وجاءت أخرى بدونه فقال لهما : ارجعا فازنيا . فقالتا : والله لا نفعل قد جاءنا الله بالإسلام . وحرم الزنا ، فأتيا رسول الله ﷺ . وشكتا إليه . فأنزل الله تعالى هذه الآية . وفي رواية معمر عن الزهري أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر ، وكان عند عبد الله بن أبي أسيراً ، وكانت لعبد الله جارية يقال لها معاذة ، وكان القرشي الأسير يراودها عن نفسها ، وكانت تمتنع منه لإسلامها . وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها لأجل أن تحمل من القرشي ، فيطلب فداء ولده ، فقال الله تعالى : ﴿ **ولا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ على الْبِغاءِ ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **غفورٌ رحيمٌ** ﴾ قال : أغفر لهن ما أكرهن عليه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذَا دُعُوا إلى الله ورسُولِهِ ليحكُمَ بيْنَهُمْ إذَا فريقٌ مِنهُمْ مُعْرِضُونَ * وإنْ يَكُنْ لَهُمْ الْحَقُّ يأتُوا إليْهِ مُذْعِنينَ** ﴾ قال المفسرون : هذه الآية والتي بعدها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض ، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما . وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف . ويقول : إن محمداً يحيف علينا ، وقد مضت هذه القصة عند قوله : ﴿ **يريدُون أنْ يتحاكموا إلى الطاغوت** ﴾ (النساء) فلا حاجة لإعادة ذكرها هنا .*

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كمَا اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذي ارْتَضى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونني لايُشْرِكُونَ بِي شيئاً ومَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ في الواحدي : روى الربيع بن أنس عن أبي العالية في هذه الآية قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعد ماأوحى إليه خائفاً هو وأصحابه يدعون إلى الله سبحانه وتعالى سراً وعلانية ، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة . وكانوا بها خائفين يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح فقال رجل من أصحابه يارسول الله : مايأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح . فقال رسول الله ﷺ : لن تلبثوا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محبباً ليست فيهم حديدة . وأنزل الله تعالى : ﴿ **وعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** .. ﴾ الآية . فأظهر الله تعالى نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا ، ثم قبض الله تعالى نبيه ، فكانوا آمنين . كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه ، وكفروا النعم . فأدخل الله عليهم الخوف ، وغيروا فغير الله بهم * وأخرج الحاكم وصححه . والطبراني عن أبي بن كعب قال : لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة ، وآوتهم الأنصار . رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لايبيتون إلا بالسلاح ولايصبحون إلا فيه . فقالوا : ترون أن نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لانخاف إلا الله فنزلت : ﴿ **وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا منكم** ... ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ **وَمَنْ كفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فأولئك هُمْ الفاسقون** ﴾ يعني بالنعم . وكذا بقية الأقوال في التفاسير :

أما التفسير : ﴿ **وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح . وفي الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال في جوابه ﴿ **لَيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ** ﴾ أو القسم محذوف . أي أقسم ليجعلنكم خلفاء في الأرض ﴿ **كمَا اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قبلِهِمْ** ﴾ كما فعل ببني اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة . ما هنا مصدرية . أي استخلافا كاستخلاف الذين من قبلهم . ﴿ **وَلَيُمكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهمُ الّذينَ ارْتَضَى لَهُمْ** ﴾ وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ، ويوسع لهم في البلاد فيملكوها . ﴿ **ولَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خوْفِهِمْ** ﴾ من الكفار ﴿ **أَمْناً** ﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر . وأثنى عليهم بقوله : ﴿ **يعْبُدُونني**

لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ أي يعبدونني موحدين ﴿ **وَمَنْ كفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ** ﴾ الإنعام منهم به ﴿ **فأولئكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ** ﴾ قال االسيوطي : وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً * أي لم يقم بحق هذه النعم من عدم التعرض للفتن * وتلك الأنعام الجسام هي الاستخلاف في الأرض بالتمليك والأمن بعد الخوف .

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتأْذِنْكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ والّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قبل صلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرة ومِنْ بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاء ثلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ ولَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبيِّنُ الله لَكُمْ الآياتِ والله عَليمٌ حكيمٌ** ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس : وجه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه ، فدخل فرأى عمر على حال كرهها فقال يارسول الله : لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الإستئذان . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال مقاتل : نزلت في أسماء بنت مرثدكانلها غلام كبير . فدخل عليها في وقت كرهته . فأتت رسول الله ﷺ فقالت : إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها . فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية * وهل الآية منسوخة أم لا ؟ عبارة الخازن اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل إنها منسوخة : حكى ذلك عن سعيد بن المسيب . وروى عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا لابن عباس : كيف ترى هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد . قول الله عز وجل : ﴿ **يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ... ﴾ الآية . فقال ابن عباس : إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر . وكان الناس ليس لبيوتهم ستور . ولا حجاب فربما دخل الخادم ، أو الولد ، أو يتيم الرجل . والرجل على أهله . فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات ، فجاءهم الله تعالى بالستور والحجب ، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد . أخرجه أبو داود في رواية عنه نحوه . وزاد . فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات * وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة . روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال : سألت الشعبي عن هذه الآيةليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم . أمنسوخة هي ؟ قال : لا والله . قلت : إن الناس لايعملون بها . قال : الله المستعان . قال سعيد بن جبير في هذه الآية إن ناساً يقولون نسخت ، والله مانسخت .

ولكنها مما تهاون بها الناس . قيل : ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية . وقوله : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . والناس يقولون أعظمكم بيتا وإذا حضر القسمة أولى القربى . الآية . أما التفسير : ﴿ **ياأيُّها الّذينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ** ﴾ اللام لام الأمر . وفيه قولان : أحدهما أنه على الندب والاستحباب . والثاني أنه للوجوب وهو الأولى . ﴿ **الّذينَ مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ** ﴾ من العبيد والإماء . إن ظاهر الآية أمر المماليك والأطفال بالاستئذان ، والمقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم في هذه الأوقات ﴿ **والّذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ** ﴾ من الأحرار . وعرفوا أمر النساء . أي حكوا عورات النساء . بأن ميزوا بين الجميلة وغيرها . ليستأذنوا ﴿ **ثلاثَ مَرّاتٍ** ﴾ في ثلاث أوقات ﴿ **مِنْ قبل صلاةِ الْفَجْرِ** ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع ، وطرح ثياب النوم ، ولبس ثياب اليقظة . هذه المرة الأولى . والثانية ﴿ **وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ** ﴾ أي وقت الظهر . أي تصنعونها لأجل القيلولة . والثالثة ﴿ **وِمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ** ﴾ لأنه وقت التجرد عن اللباس والإلتحاق باللحاف . وقوله ﴿ **ثلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ** ﴾ أي هذه الثلاثة أوقات تبدو فيها العورات فأمروهم بالاستئذان فيها عند دخولهم عليكم . ومابعدها : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ ولاَ عَلَيْهِمْ** ﴾ أي المماليك والصبيان ﴿ **جُنَاحٌ** ﴾ في الدخول عليكم بغير إذن ﴿ **بَعْدَهُنَّ** ﴾ أي بعد الأوقات الثلاثة هم ﴿ **طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ** ﴾ للخدمة ﴿ **بَعْضُكُمْ** ﴾ طائف ﴿ **على بَعْضٍ** ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ الآياتِ** ﴾ أي الأحكام ﴿ **والله عَليمٌ** ﴾ بأمور مختلفة ﴿ **حكيمٌ** ﴾ بما دبره لهم *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ولَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ولَا عَلَى المريضِ حَرَجٌ ولَا عَلَى أنْفُسِكُمْ أن تأكُلُوا مِنْ بيوتِكُمْ أو بيُوتِ آبائِكُمْ أوْ بيُوتِ أمَّهَاتِكُمْ أوْ بيُوتِ إخْوانِكُمْ أو بيُوتِ أخَوَاتِكُمْ أو بيُوتِ أعْمَامِكُمْ أو بيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أو بيُوتِ أخْوالِكُمْ أو بيُوتِ خالاَتِكُمْ أوْ ماملَكْتُمْ مَفاتِحَهُ أو صَديقِكُمْ لَيْسَ عَلَيكُمْ جُنَاحٌ أنْ تأكُلُوا جَمِيعاً أو أشْتَاتاً فإذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ تحِيَةً مِنْ عِنْدِ الله مُبارَكةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لكُمُ الآياتِ لعلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ لنزول هذه الآية سببان الأول : في الواحدي : قال ابن عباس : لما أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولاتأكلوا أموالكم بينكُم بالباطل** ﴾ تحرج المسلمون عن مؤاكلة

المرضى والزمني والعرج . وقالوا : الطعام أفضل الأموال . وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل . والأعمى لايبصر موضع الطعام الطيب ، والمريض لا يستوفى الطعام ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وقال سعيد بن جبير والضحاك : كان العرجان والعميان يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم ، وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولاأعرج ولا مريض تقذراً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي اللباب : قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن ابن نجيح عن مجاهد قال : كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض إلى بيت أبيه ، أو بيت أخيه ، أو بيت أخته أو عمته أو بيت عمته أو بيت خالته فكانت الزمني يتحرجون من ذلك . يقولون : إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم . فنزلت هذه الآية رخصة لهم * . وأخرج ابن جرير عن قتادة . قال نزلت في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده ، وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه * وأخرج عن عكرمة وأبي صالح . قالا : كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لايأكلون حتى يأكل الضيف معهم فنزلت رخصة لهم * وفي أبى السعود كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين ، وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه . فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً ، وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح ، وربما كانت معه الإبل الحافلات فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه . فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل * أي فنزلت الآية . وقيل : كان الغني منهم يدخل عليه الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه . فيقول : إني أتحرج أن آكل معك ، وأنا غني وأنت فقير . وفي البيضاوي : وقيل نزلت في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلته * أي فبين أنه لا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين ولا متفرقين . والمقصود كما هو مفهوم ترجمة البخارى له إباحة الأكل جميعاً وإن اختلفت أحوالهم . وهو سنة سيد المرسلين ﷺ . وأكل الجماعة أعظم بركة . وأحسن أخلاقاً . وخير الطعام ماكثرت عليه الأيدى . وقوله : ﴿ **أَوْ صَدِيقِكُمْ** ﴾ وهو من صدقكم في مودته . يجوز الأكل من بيوت من ذكر ، وإن لم يحضروا أي إذا علم رضاهم به . وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ** ﴾ أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وفي القرطبي : اختلف

المتأولون في أي البيوت أراد تعالى * فقال ابراهيم النخعي والحسن : أراد المساجد . والمعنى سلموا على من فيها . فإن لم يكن في المسجد أحدٌ . فالسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقيل المراد بالبيوت المسكونة أي فسلموا على أنفسكم قاله جابر وعبد الله بن عباس أيضاً وعطاء بن أبي رباح . قالوا : ويدخل في ذلك البيوت غير المسكونة . ويسلم المرء فيها على نفسه بأن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . قال ابن العربي : القول بالعموم في البيوت هو الصحيح . ولا دليل على التخصيص . وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه . فإذا دخل بيتا لغيره استأذن كما تقدم . وقوله : ﴿ **تحيَّةً من عنْدِ الله** ﴾ أي ثابتة بأمره مشروعةً من لدنه *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّما الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورسُولِهِ وإذا كانُوا مَعَهُ علَى أمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إنَّ الّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَك أُولٰئِكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللهِ ورسُولِهِ فإذا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شئْتَ مِنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رحِيمٌ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن اسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما ، قال : أقبلت قريش عام الأحزاب ، نزلوا بجمع الأسبال من رومة : بئر بالمدينة . قائدها أبو سفيان ، وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمى إلى جانب أحد . وجاء رسول الله ﷺ الخبر . فضرب الخندق على المدينة ، وعمل المسلمون فيه . وأبطأ رجال من المنافقينَ ، وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل ، فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ . ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة لابد منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ . ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له ، وإذا قضى حاجته رجع ، فأنزل الله في أولئك المؤمنين ﴿ **إنَّما الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورسُولِهِ وإذا كانُوا مَعَهُ علَى أمْرٍ جَامِعٍ ...** ﴾ وفي الجلال : نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي ﷺ في مجالسه وخطبه * قوله : ﴿ **إنَّما الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿ **الّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورسُولِهِ وإذا كانُوا مَعَهُ** ﴾ أي الرسول ﷺ ﴿ **علَى أمْرٍ جَامِعٍ** ﴾ كخطبة الجمعة والأعياد والحروب أو للتشاور في أمر ﴿ **لَمْ يَذْهَبُوا** ﴾ أي يتفرقوا عنه . ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له ﴿ **حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ** ﴾ في الخازن : قال المفسرون : كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة ، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه ، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن

لمن شاء منهم . قال مجاهد : وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده . قال أهل العلم : وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بالإذن . وإذا استأذن الإمام إن شاء أذن له ، وإن شاء لم يأذن . فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكونوا في المسجد فتحيض امرأة منهم ، أو يجنب رجل ، أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان * وتفسير الآية واضح بقوله ﴿ **واستَغْفِرْ لَهُمْ الله** ﴾ أي لما وقع منهم من التقصير في الاستئذان وإن كان جائزاً لكن اغتنام المجالسة أولى من الاستئذان *

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً** ﴾ أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم . فأنزل الله تعالى : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً** ﴾ * قلت : ونحو هذه الآية قوله تعالى : ﴿ **ولَا تَجْهَرُوا لَهُ بالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعضِكُمْ لِبَعْضٍ أنْ تَحْبَط أعْمالكُمْ وأنتم لا تَشْعُرُونَ** ﴾ الحجرات . فقولُوا : يا نبي الله : يا رسول الله : أو المعنى : لا تجعلوا دعاء الرسول لكم كدعاء بعضكم بعضاً . أي في عدم الإجابة . أي لا تقيسوا دعاءه لكم على دعاء بعضكم بعضاً في التباطؤ . بل أجيبوه فوراً وإن كنتم في الصلاة . أو لا تجعلوا دعاء الرسول . أي سخطه عليكم . كدعاء . كغضب بعضكم على بعض * وفي الخازن : قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول إذا أسخطمتوه ، فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره * ورجحه الطبري .

سورة الفرقان وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الّذي إنْ شَاءَ جَعَل لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهَارُ ويجْعَلْ لَكَ قُصُوراً** ﴾ في الواحدي : حدث جوهر عن الضحاك عن ابن عباس قال : لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة ، قالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . حزن رسول الله ﷺ ، فنزل جبريل من عند ربه معزياً له . فقال : السلام عليك يا رسول الله : رب العزة يقرئك

السلام ويقول لك : وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم كانوا ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . أي يبتغون المعاش في الدنيا قال : فبينا جبريل عليه السلام والنبي ﷺ يتحدثان إذ ذاب جبريل حتى صار مثل الهدرة . قيل يارسول الله . وما الهدرة ؟ قال العدسة . فقال رسول الله ﷺ : مالك ذبت حتى صرت مثل الهدرة . قال : قال يامحمد : فتح باب من تعييرهم إياك بالفاقة . وأقبل النبي وجبريل عليهما السلام يبكيان . ثم عاد جبريل إلى حاله . فقال : أبشر يامحمد : هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضا من ربك ، فأقبل رضوان حتى سلم ، ثم قال يامحمد : رب العزة يقرئك السلام — ومعه سفط من نور يتلألأ . ويقول لك ربك . هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع مالا ينقص لك من عنده في الآخرة مثل جناح بعوضة ، فنظر النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستبشر به فضرب جبريل بيده إلى الأرض ، فقال : تواضع لله . فقال يارضوان : لا حاجة لي فيها . الفقر أحب إليّ وأن أكون عبداً صابراً شكوراً . فقال رضوان عليه السلام : أصبت أصاب الله بك . وجاء نداء من السماء فرفع جبريل عليه السلام رأسه ، فإذا السموات قد فتحت أبوابها إلى العرش ، وأوحى الله إلى جنة عدن أن تدلى غصنا من أغصانها عليه عزق ، من زبر جدة خضراء لها سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء فقال جبريل عليه السلام يامحمد : ارفع بصرك ، فرفع فرأى منازل الأنبياء وغرفهم ، فإذا منازلها فوق منازل الأنبياء فضلاً له خاصة ، ومنادٍ ينادى : أرضيت يامحمد ، فقال النبي ﷺ رضيت فاجعل ماأردت أن تعطيني في الدنيا ذخيرة عندك في الشفاعة يوم القيامة . ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ** ... ﴾ الآية وفي لباب السيوطي : أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن جرير وابن أبي حاتم عن خثيمة قال : قيل للنبي ﷺ : إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض . وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة وإن شئت جمعتها لك في الآخرة . قال : بل اجمعها . يعني في الآخرة . فنزلت : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ** ... ﴾ الآية * وهو في الطبري وابن كثير بلفظه وحرفه عن خثيمة * أما التفسير : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ** ﴾ أي من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا . قال ابن عباس : يعني خيراً من المشي في الأسواق والتماس المعاش . ثم بين ذلك الخير . فقال : ﴿ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً** ﴾ أي بيوتاً

مشيدة . في الخازن عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً . قلت : لا يارب . ولكني أشبع يوماً وأجوع يوماً . أو قال ثلاثاً . أو نحو هذا . فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك * عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهبا . جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة . فقال يا محمد : ربك يقرئك السلام ، ويقول إن شئت نبياملكاً . فنظرت إلى جبريل ، فأشار إلى أن ضع نفسك . فقلت : نبياً عبداً . قالت : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً . يقول : أنا عبد آكل كما يأكل العبد . وأجلس كما يجلس العبد ، قال الخازن : ذكر هذين الحديثين البغوي بسنده *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا ليتني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سبيلاً** ﴾ روى عطاء الخرساني عن ابن عباس قوله : كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ ويجالسه . ويستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به . فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك فنزلت هذه الآية * وقال الشعبي : وكان عقبة خليلاً لأمية بن خلف . فأسلم عقبة . فقال أمية : وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً . وكفر وارتد لرضا أمية . فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ** ... ﴾ كذا في الواحدي . وفيه . وقال آخرون : إن أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا متحالفين . لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه . وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ ، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً فدعا الناس ، ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه . فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ : ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . فقال عقبة : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فأكل رسول الله ﷺ من طعامه . وكان أبي بن خلف غائباً ، فلما أخبر بقصته قال : صبأت ياعقبة ؟ . فقال : والله ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له . فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم ، فشهدت فطعم . فقال أبي : ما أنا بالذي راض منك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ عنقه ، ففعل ذلك عقبة . فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه ، فقال رسول الله ﷺ : لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف ، فقتل عقبة يوم بدر ، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد في المبارزة . فأنزل الله تعالى فيها هذه الآية وقال الضحاك : لما

بن عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقة في وجهه فشعب شعبتين ، فأحرق خديه . وكان أثر ذلك فيه حتى الموت * ونحو الذي ذكر في الخازن بلفظه وحرفه ، أما التفسير ﴿ ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ ﴾ المشرك عقبة بن أبي معيط ﴿ على يَدَيْه ﴾ عض الأيدين والأكتف ، وأكل البنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة . قال عطاء : يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ، ثم يأكلهما ، وهكذا كلما نبتت أكلهما على ما فعل تحسراً . ﴿ يقُولُ ياليتني اتَّخذْتُ مَعَ الرَّسُولِ ﴾ محمد ﷺ ﴿ سبيلاً ﴾ طريقا إلى الهدى . أي صاحبته في اتخاذ سبيل الهدى ثم قال تعالى : ﴿ يَاوَيْلَتَى لَيْتنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خلِيلاً . لَقَدْ أضَلّنِي عنِ الذكْرِ ﴾ أي القرآن أو ذكر الله ، أو موعظة الرسول . والنطق بالشهادة ﴿ بَعْد إذْ جاءَنِي وَكَانَ الشَّيطانُ ﴾ أي الخليل المضل أو إبليس ﴿ وكانَ الشَّيطانُ للإنْسانِ ﴾ الكافر ﴿ خذُولاً ﴾ أي يتركه ويتبرأ من البلاء فيترك نصرته بعد الموالاة والمعاونة *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وقال الّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلا يأتُونكَ بِمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بالْحَقِ وأحْسَنَ تفْسيراً ﴾ في لباب السيوطي : وأخرج بن أبي حاتم والحاكم وصححه ، والضياء في المختار عن ابن عباس قال : قال المشركون : إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه ؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة ، ينزل عليه الآية والآيتين فأنزل الله تعالى ﴿ وَقَالَ الّذينَ كفَرُوا لَوْلَا نُزّل عَلَيْهِ الْقُرآنُ جملة واحدةً .. ﴾ الآية وفي الطبري : عن الحسن في قوله : ورتلناه ترتيلاً . قال كان ينزل آية وآيتين وآيات جواباً لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله وجواباً لهم ورداً عن النبي فيما يتكلمون به ، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة . وعن ابن جريج قوله : ورتلناه ترتيلاً . قال : كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره . أنزل عليه لأربعين ومات النبي ﷺ لثنتين أو لثلاث وستين . قلت : والظاهر أن المراد بالكفار هنا اليهود القائلون : هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة كما أنزلت الكتب السالفة على الأنبياء كذلك . وهذا زعم باطل ، ودعوى داحضة ، وفضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته ، لأن أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقاً . وعبارة البيضاوى : وهذا اعتراض منهم لا طائل تحته لأن الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرقاً مع أن للتفريق فوائد . منها : ما أشار إليه

بقوله : « كذلك لنثبت به فؤادك » أي كذلك أنزلناه مفرقاً لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان أميا ، وكانوا يكتبون ، فلو ألقى عليه جملة لعيي بحفظه ، ولعله لم يتهيأ له ، فإن التلقن لا يأتي إلا شيئاً فشيأً ، ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة . وغوص على المعنى ، ولأنه إذا نزل منجماً ، وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك في قوة قلبه ، ولأنه إذا نزل به جبريل حالاً بعد حال ثبت به فؤاده . ومنها : معرفة الناسخ والمنسوخ ، ومنها : انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية ، فإنه يعين على البلاغة . وقوله : ﴿ **وقال الّذينَ كفَرُوا** ﴾ اليهود ﴿ **لَوْلَا** ﴾ هلا ﴿ **نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ كالتوراة والإنجيل والزّبور ... ونزل هنا بمعنى أنزل كخبر بمعنى آخبر . قوله ﴿ **كَذَلِكَ** ﴾ أي أنزل متفرقا ﴿ **لِنُثَبِّتَ بِهَ فُؤَادَكَ** ﴾ نقوى قلبك ﴿ **ورتّلْنَاهُ تَرْتيلاً** ﴾ أي أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة ليتيسر فهمه وحفظه ﴿ **ولَا يأتُونَكَ بِمَثَلٍ** ﴾ في إبطال أمرك . وإنه مثل في البطلان . يريدون به القدح في نبوتك ﴿ **إلَّا جئناكَ بالحقِّ** ﴾ الدافع له . ﴿ **وأحْسَنُ تفْسيراً** ﴾ بيانا وتفصيلا .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالْحَقِّ ولَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أثاماً** ﴾. في الواحدى : حدث سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتو محمداً عليه الصلاة والسلام . فقالوا : إن الذي تقول ، وتدعو إليه لحسن ، لو تخبرنا أنا لما عملنا كفارة : فنزلت – ﴿ **والّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخر ...** ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ **غَفُوراً رحيماً** ﴾ رواه مسلم عن ابراهيم بن دينار عن حجاج . وفي رواية أبي ميسرة عن عبد الله بن مسعود قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الذنب أعظم ؟ . قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك . قال : قلت ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك . فأنزل الله تعالى تصديقاً لذلك : ﴿ **والّذين لايَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ ...** ﴾ إلى : ﴿ **ولَا يقتُلُونَ النَّفْسَ الّتي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ** ﴾ رواه البخاري . الند : بكسر النون وتشديد الدّل . أي نظيراً . وقوله في الحديث : خشية أن يطعم معك . أي لأجل خشية اطعامك . وكانت عادتهم قتل الأولاد لخشيتهم ذلك . وقوله : بحليلة جارك . أي بامرأة

جارك . وسميت حليلة لأنها لا تحل له . وللبخاري روايات في الباب غير ما ذكر . وأخرج بن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال : أتى وحشى إلى النبي ﷺ فقال يا محمد : أتيتك مستجيراً فأجرني حتى أسمع كلام الله . فقال رسول الله ﷺ : قد كنت أحب أن أراك على غير جوار . فإذا أتيتنى مستجيراً فأنت في جوارى حتى تسمع كلام الله . قال : فإني أشركت بالله ، وقتلت النفس التي حرم الله تعالى . وزنيت . هل يقبل الله مني توبة ؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزل ﴿ **والّذينَ لَا يَدْعُون مَعَ الله إلٰهاً آخَرَ ...** ﴾ فتلاها عليه . فقال : أرى شرطاً فلعلى لا أعمل صالحاً أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت : ﴿ **إنَّ الله لَا يَغْفِرُ أنْ يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لمن يشاء ...** ﴾ فدعا به فتلاها عليه . فقال : ولعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله تعالى فنزلت : ﴿ **قُلْ يٰا عِبَادِى الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رحمة الله إنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً** ﴾ فقال : نعم الآن لا أرى شرطاً فأسلم . ونحوه في بقية التفاسير مع بعض اختلاف في التعبير . أما التفسير : ﴿ **والّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إلٰهاً آخَرَ** ﴾ هذا شروع في بيان اجتنابهم للمعاصى بعد بيان اتيانهم بالطاعات . ﴿ **وَلَا يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتى حَرَّمَ الله** ﴾ قتلها ﴿ **إلّا بالْحَقِّ** ﴾ أي لا يقتلونها إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وسمعتها . وفي الحديث : لا يحل دم آمرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث . الثيب الزاني . والتارك لدينه المفارق للجماعة . وقاتل النفس عمداً . وقوله : ﴿ **وَلَا يَزْنُون** ﴾ أي يرتكبون الفاحشة أى استحلال الأعراض على وجه غير مشروع ﴿ **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ** ﴾ أي واحداً من الثلاثة ﴿ **يَلْقَ أثَاماً** ﴾ أي عقوبة . قال ابن عباس : إنما يريد جزاء الاثم . وقيل الآثام وادٍ في جهنم . ويروى في الحديث أن الغى والآثام بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار . ﴿ **يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يوْمَ الْقِيامَةِ** ﴾ قال الخازن : وسبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته * أي أنه يعذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا . فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه . ﴿ **وَيَخْلُدْ فيهِ** ﴾ في العذاب ﴿ **مُهَاناً** ﴾ ذليلاً محتقرا جامعا للعذاب الجماعي والروحاني ثم استثنى بقوله : ﴿ **إلّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وعمل عملاً صالحاً** ﴾ منهم . لأن الاستثناء متصل من الضمير المستتر في يلق . أي إلا من تاب فلا يلق الآثام بل يزاد له في الاكرام المشار إليه ﴿ **فأولئك يُبدِّلُ الله سيِّئَاتِهِمْ** ﴾ المذكورة

وهى الثلاثة ﴿ حَسَنَاتٍ ﴾ في الآخرة ﴿ وكانَ الله غَفُوراً رحيماً ﴾ أي لم يزل منصفاً بذلك ..

سورة الشعراء وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أفَرَأيْتَ إنْ مَتعْناهُمْ سنينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مٰا أغْنَى عَنهُمْ مٰا كَانُوا يُمتّعُونَ ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جهضم : قال : رؤى النبي ﷺ كأنه متحيرا ، فسألوه عن ذلك . فقال : وَلِمَ ؟! ورأيت عدوى يكون من أمتى بعدى . فنزلت : ﴿ أفرأيْتَ إنْ متّعناهم ﴾ إلى ﴿ مٰا كانُوا يُمتّعُون ﴾ فطابت نفسه * ولم أعثر على ما يقصده قوله : ﴿ أفَرأيْتَ ﴾ أخبرني ﴿ إنْ متّعْنَاهُمْ ﴾ المتاع في اللغة كل ما ينتفع به كالطعام والبز وأثاث البيت .. وأصل المتاع ما يتبلغ به من الزاد . وهو اسم متعته بالثقيل إذا أعطيته ذلك . والجمع أمتعة . وقوله ﴿ سِنِينَ ﴾ أي طوالاً . والمخاطبون في ذلك كفار مكة . أي متعناهم في الدنيا ولم نهلكهم كمن سبقهم ﴿ ثُمْ جَاءَهُمْ مٰا كانُوا يوُعَدُون ﴾ به . أي أي شيء أغنى عنهم ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا ؟ والاستفهام انكار . والمعنى : أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا . فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئاً ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قطَ .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وأنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِينَ * واخفِضْ جَنَاحَكَ لمَن اتَّبعكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ في الباب : وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : لما نزلت : ﴿ وأنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبِين ﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلته . فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله : ﴿ واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمنينَ ﴾ * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله ﴿ وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبينَ ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ، ثم نادى يا صباحاه ، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ورجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب . يا بني فهر ، يا بني لؤى ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير

عليكم صدقتمونى ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم . أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله تعالى : ﴿ **تَبَّتْ يَدا أَبَى لَهَبٍ وتَبَّ** ﴾ ... وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ قال يا معشر قريش . أو كلمة نحوها « اشتروا أنفسكم لا أغنى عنك من الله شيئاً . يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً . ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئاً * » وهكذا بقية الأقوال أما التفسير : ﴿ **وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وقد أنذرهم جهاراً كما علمت ﴿ **واخْفِضْ جَناحَكَ** ﴾ ألن جانبك . كناية عن التواضع واللطف بالمؤمنين أي بعد إنذار من آمن منهم تواضع له . ومن خالفك فتبرأ منه ومن عمله وهذا معنى قوله ﴿ **لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ الموحدين * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لَا يَفْعَلُونَ** ... ﴾ في اللباب وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وكان مع كل واحد مهما غواة من قومه ، وهم السفهاء . فأنزل الله تعالى : ﴿ **والشعراء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوون** ... ﴾ الآيات * وفي الخازن : قال أهل التفسير : أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ : منهم عبد الله بن الزبعرى السهيمى ، وهبيرة بن وهب المخزومى ، ومسافح بن عبد مناف ، وأبو عزة : عمرو بن عبد الله الجمحى ، وأمية بن أبي الصلت الثقفى . تكلموا بالكذب والباطل . وقالوا : نحن نقول مثل ما يقول محمد ، وقالوا الشعر ، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه . ويروون عنهم قولهم . فذلك قوله تعالى : ﴿ **يَتَّبِعُهُمُ الغاوون** ﴾ . أي الرواة الذين يروون هجاء المسلمين . وقيل الغاوون هم الشياطين . وقيل : هم السفهاء الضالون * وقوله : ﴿ **أَلَمْ تَر** ﴾ تعلم ﴿ **أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ** ﴾ من أودية الكلام وفنونه . أي

فنون القول وطرقه . وهو تمثيل . وقوله : ﴿ **يَهِيمُون** ﴾ يمضون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء ﴿ **وأنَّهُمْ يقولُون** ﴾ فعلنا ﴿ **ما لا يَفْعَلُونَ** ﴾ أي يكذبون *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا الله كثيراً وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ في اللباب : وأخرج عن عروة قال : لما نزلت : والشعراء .. إلى قوله ما لا يفعلون * قال عبد الله بن رواحة قد علم الله أني منهم ، فأنزل الله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... إلى آخر السورة * وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي الحسن البراد قال : لما نزلت : والشعراء . الآية جاء عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، فقالوا يا رسول الله : والله لقد أنزل الله هذه الآية ، وهو يعلمَ أنا شعراء . هلكنا . فأنزل الله تعالى : ﴿ **إلَّا الّذينَ آمَنُوا ...** ﴾ الآية * وروى ابن جرير عن محمد بن اسحاق « أنه لما نزلت هذه الآية جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون . قالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء » ، فتلا النبي ﷺ ﴿ **إلا الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالحات** ﴾ قال : أنتم ﴿ **وذكرُوا الله كثيراً** ﴾ قال : أنتم ﴿ **وانْتَصَرُوا مَنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا** ﴾ قال : أنتم – أي بالرد على المشركين – ثم قال النبي ﷺ : « انتصروا ولا تقولوا إلا حقا ، ولا تذكروا الآباء والأمهات » فقال حسان لأبي سفيان :

هجوتَ محمّداً فأجبْتُ عنه * وعنْدَ الله في ذاك الْجزاءُ
وإنّ أبى ووالدى وعرضى * لِعِرْض محمّد منكم وِقاء
أتشْمه وَلَسْتَ لَهُ بكفء * فَشَرُّكُما لِخَيْركُما الْفِداءُ
لِسَانِي صارِمٌ لَا عيْبَ فيه * وَبَحْرِي لا تُكَدّرهُ الدِّلاءُ

وقال كعب : يا رسول الله . إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت ، فكيف ترى فيه ؟ فقال النبي ﷺ : « إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » وقال كعب :

جاءت سخينة كي تغالب ربّها * وليُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغلاَّب .

فقال النبي ﷺ : « لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا : وقوله : ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون** ﴾ أي وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم

وأعرضوا عن تدبر هذه الآيات كفراً بها وعناداً أي مرجع يرجعون إلى الله بعد الموت ، وأي معاد يعودون إليه ؟ إنهم ليصيرون إلى نار لا يطفأ سعيرها ، ولا يسكن لهيبها . (المراغى) * والمنقلب : الانتقال إلى ضد ما هو فيه ، والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها ، فصار كل مرجع منقلبا . وليس كل منقلب مرجعاً . ذكره الماوردى . قال ابن عباس : إلى جهنم وبئس المصير * .

سورة القصص وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُون** ﴾

« ملاحظة »

طلباً للاختصار ولبهاظة الطباعة بغلو الأسعار سأكتفى من هنا فصاعداً بذكر الأقوال

في لباب السيوطى : أخرج ابن جرير والطبراني عن رفاعة القرظي قال : نزلت : ﴿ **ولقد وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ** ﴾ في عشرة : أنا أحدهم . وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب : منهم رفاعة يعنى أباه إلى النبي ﷺ فآمنوا . فأوذوا فنزلت ﴿ **الّذِينَ آتيْنَاهم الكتاب** ... ﴾ * وفي المراغي : قال سعيد بن جبير : نزلت هذه الآية في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ . فلما قدموا عليه قرأ عليهم ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾ حتى ختمها ، فجعلوا يبكون وأسلموا * ونحوها في الطبري * وفي الجلال : نزلت في جماعة من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره من النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام * وعبارة الخازن : نزلت في مؤمنى أهل الكتاب : عبد الله بن سلام وأصحابه . وقيل بل هم أهل الانجيل الدين قدموا من الحبشة ، وآمنوا بالنبي ﷺ : وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله : إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين ، فأذن لهم فانصرفوا ، فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين ، فنزلت هذه الآيات إلى قوله : ومما رزقناهم ينفقون * وقال ابن عباس : نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران ، واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام * والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاء** ﴾ فى الواحدى : أخبر سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضر أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية . فقال رسول الله ﷺ يا عم . قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى . فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرض عليه ويعاودانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به : أنا على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : والله لأستغفرن لك ما لم أنه منك فأنزل الله عز وجل – ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى ... الآية . وأنزل فى أبي طالب : ﴿ **إنَّك لا تهدى مَنْ أحْبَبْتَ** ... ﴾ الآية . رواه مسلم عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد * وأجمع المفسرون كما ذكره الزجاج أنها نزلت هذه الآية في أبي طالب . أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعمه : « قل لا إله إلا الله أشهد لك يوم القيامة » . قال : لولا أن تعيرني نساء قريش يقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك . فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنَّكَ لا تهدى مَنْ أحببت ولكن الله يَهْدِى من يشاء** ﴾ . وهكذا بقية الأقوال * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وقالُوا إنْ نَتَّبِع الهُدىَ مَعَك نُتَخطَّفْ مِنْ أرْضِنَا أوَلَمْ نُمكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىَ إلَيْهِ ثمرات كُلِّ شيء رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا ولكنَّ أكْثَرَهُمْ لَا يعلَمُونَ** ﴾ في الواحدى : نزلت في الحارث بن عثمان بن عبد مناف ، وذلك أنه قال للنبي ﷺ : إنا لنعلم أن الذي تقول حق . ولكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لاجماعهم على خلافنا ، ولا طاقة لنا بهم . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفى السيوطى : أن الذى قال ذلك : هو الحارث بن عامر بن نوفل * وكذا في الخازن وغيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ متَّعْنَاهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنيا ثُمَّ هُوَ يَومَ القيَامَةِ مَنْ الْمُحْضَرِينَ** ﴾ في الواحدى : قال مجاهد : نزلت هذه الآية في علي وحمزة وأبي طالب * وقال السديُّ : نزلت في عمار

والوليد بن المغيرة * وقيل نزلت في النبيْ ﷺ وأبي جهل * والمقصود إنكار التساوى بين أهل الدنيا وأهل الآخرة * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يشَاءُ ويختارُ مَا كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ الله وتعالَى عماً يُشْرِكونَ** ﴾ في الواحدي : قال أهل التفسير : نزلت جواباً للوليد بن المغيرة حين قال : فيما أخبر الله تعالى عنه ، أنه لا يبعث الرسل باختياره * وعبارة الخازن ﴿ **وربَك يخلُقُ مَا يشَاءُ ويختار** ﴾ نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي . أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم لأنه المالك المطلق ، وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة * أي وربك يخلق ما يشاء خلقه وهو وحده سبحانه دون غيره يصطفى ما يريد أن يصطفى ويختاره ، فيختار أقواماً لأداء الرسالة وهداية الخلق . ونحو الآية ﴿ **وما كانَ لمؤمن ولَا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسولُه أمْراً أن يكونَ لَهُم الخيرة مَنْ أمْرِهم** ﴾ * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إن الّذِي فرضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لرادُّكَ إلى مَعَادٍ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنَّ الّذي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لرَادُّكَ إلَى مَعَادٍ** ﴾ * وعبارة المراغي : روى مقاتل أنه عليه الصلاة والسلام خرج من الغار – حين الهجرة – وسار في غير الطريق مخافة الطلب ، فلما أمن رجع إلى الطريق ، ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة ، وعرف الطريق إلى مكة ، واشتاق إليها ، وذكر مولده ومولد أبيه ، فنزل جبريل عليه السلام . وقال له : أتشاق إلى بلدك ومولدك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم فقال جبريل : فإن الله يقول : ﴿ **إنّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرآنَ لرَادُّكَ إلى معادٍ** ﴾ * ونحوه في ابن كثير . وفي الخازن : قال ابن عباس : إلى مكة أخرجه البخاري عنه . ثم أورد ما ذكره السيوطى . وكذا في تفسير زاده * .

سورة العنكبوت وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ، ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ في الواحدي : نزلت في أناس كانو بمكة قد أقروا بالاسلام ، فكتب إليهم أصحاب النبي ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم اقرار ولا إسلام حتى تهاجرو ، فخرجوا عامدين إلى المدينة فأتبعهم المشركون فآذوهم ، فنزلت هذه الآية . وكتبوا إليهم أن قد نزلت فيكم آية كذا وكذا . فقالوا : نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه ، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ، فمنهم من قتل ومنهم من نجا ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ **ثُمّ إنَّ رَبك لِلّذينَ هاجَرُوا من بعْدِ ما فُتِنُوا** ... ﴾ الآية ، وقال مقاتل : نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب ، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر . رماه عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، فقال النبي ﷺ : « سيد الشهداء مهجع وهو أول من بدى إلى باب الجنة من هذه الأمة » ، فجزع عليه أبواه وامرأته ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية . وأخبر أنه لابد من البلادء والمشقة في ذات الله تعالى ، وفي لباب السيوطي : وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: أنزلت (**الٓمٓ .أحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْركُوا أن يَقُولُوا آمنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ**) في أناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ فعرض لهم المشركون فرجعوا ، فكتب لهم اخوانهم بما نزل فيهم ، فخرجوا فقتل من قتل ، وخلص من خلص ، فنزل القرآن : ﴿ **والّذِينَ جَاهَدُوا فينا لنهدينّهم سُبُلَنا** ... ﴾ ، وأخرج ابن سعد عن عبيد الله بن عبيد عن ابن عمر قال : نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله : ﴿ **أحَسِبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا** ... ﴾ الآية . وهكذا الأقوال في بقية التفاسير ، .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنا الإنْسَانَ بوالِدَيْهِ حُسْناً وإنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطعهما إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فأنَبِّئكُمْ بِما كنتُم تعْلَمُون** ﴾ في الواحدي : قال المفسرون : نزلت في سعد بن أبي وقاص . وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه جميلة يا سعد : بلغني أنك صبوت ، فوالله لا يظلني سقف بيت من الفح والريح ، ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر . بمحمد ﷺ وترجع إلى ما كنت

عليه . وكان أحب ولدها إليها . فأبى سعد ، فصبرت هي ثلاثة أيام لا تأكل ولم تشرب . ولم تستظل بظل حتى اغشى عليها فأتى سعد النبي ﷺ ، وشكا ذلك إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية في لقمان وفي الأحقاف * وفي مسلم عن أبي خيثمة عن الحسن عن زهير عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ، قال : نزلت هذه الآية فيَّ . قال : حلفت أم سعد لا تكلم أبداً حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب . ومكث ثلاثة أيام حتى غشى عليها من الجهد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإنْسانَ بِوَالديْهِ حُسْنَاً ...** ﴾ أي وأمرناه بتعهدهما والبر بهما والإحسان إليهما كما قال في آية أخرى : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إلا إيَّاهُ وبالوالدَيْنِ إحْسَاناً إمّا يبلغنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أحَدُهُمَا أو كِلاهُما فلا تَقُلْ لَهُمَا أف ولَا تَنْهَرْهُما وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كريماً * واخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ربيَّاني صَغِيراً** ﴾ وفي شطر الآية : ﴿ **وَإنْ جَاهَدَاكَ ...** ﴾ في الواحدي : أخبر داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدي أن سعد بن مالك قال : أنزلت فيَّ هذه الآية : ﴿ **وإنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ ...** ﴾ الآية قال : كنت رجلاً براً بأمي . فلما أسلمت قالت يا سعد : ما هذا الذي قد أحدثت لتدعن دينك هذا . أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي . فيقال : يا قاتل أمه . قلت : لا تفعلي يا أمّهْ ، فإني لا أدع ديني هذا لشيء . قال : فمكثت يوما لا تأكل فأصبحت قد جهدت قال : فمكثت يوما آخر وليلة لا تأكل فأصبحت وقد اشتد جهدها . قال : فلما رأيت ذلك . قلت : تعلمين والله ياأمّهْ لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء . إن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي . فلما رأت ذلك أكلت ، فأنزلت هذه الآية – ﴿ **وإنْ جَاهَدَاكَ ...** ﴾ الآية .. وكذا في القرطبي والخازن .. وفي الحديث : لا طاعة لمخلوق في معصية الله . وفي أبن كثير : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها . فنزلت : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإنسان ...** ﴾ .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِن النَّاس مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ فإذا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ ربِّكَ لَيَقُولُنَّ إنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللهُ بأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** ﴾ في الواحدي : قال مجاهد : نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة فى أنفسهم افتتنوا * وقال

الضحاك : نزلت في أناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون . فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك * وقال عكرمة عن ابن عباس : نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون عن الدين فارتدوا وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ **إنَّ الّذِينَ توفَّاهُم الملائكةُ ظالمي أنفسهم ...** ﴾ الآية وما ذكر في الخازن وغيره * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤمِنُونَ** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمى في مسنده . من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال : جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود . فقال النبي ﷺ كفي بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم . فنزلت : ﴿ **أوَ لَمْ يكْفِهِمْ أنّا أنزلْناه عَلَيْكَ الكتاب يُتلى عليهم ...** ﴾ ولم أجد ما يعضده ، ومعناه موافق لمدلول التنزيل .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَكَأيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا الله يَرزُقُهَا وإيَّاكُمْ وهو السَّمِيعُ العليمُ** ﴾ في الواحدى : حدث عطاء عن ابن عمر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار ، فجعل يلقط من التمر ويأكل . فقال يا عمر : ما لك لا تأكل : فقال لا أشتهيه يا رسول الله . فقال : لكني أشتهيه . وهذه صبيحة رابعة ما ذقت طعاماً . ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل كسرى وقيصر . فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ، ويضعف اليقين ؟ قال : فوالله ما برحنا حتى نزلت : ﴿ **وكَأيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقها الله يرزقها وَإيّاكُم ...** ﴾ الآية * وفي لباب السيوطي في بقية سبب نزولها . فقال رسول الله ﷺ : « إني لم يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهما ولا أخبأ رزقاً لغد » . قال السيوطي : وسنده ضعيف . وعبارة ابن كثير : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإنَّ الحياة بيد الله ، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا أخبأ رزقاً لغدٍ » قال ابن كثير : هذا حديث غريب . وأبو العطوف الجزرى ضعيف * . وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض ، فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أياماً حتى يسود الريش ، فيظل الفرخ فاتحاً فاه يتفقد أبويه ،

فيقيض الله تعالى طيرا صغاراً كالبراغيث فيغشاه ، فتفوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه ، والأبوان يتفقدانه كل وقت ، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه . فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق ولهذا قال الشاعر :

يا رازق النّعاب في عشّه * وجابر العظم الكسير المهيض *

وفي الخازن : وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة ، وقد آذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة ، فقالوا : كيف نخرج إلى المدينة ، وليس لنا بها دار ولا مال ، فمن يطعمنا بها ، ويسقينا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وكَأَيِّنْ مِنْ دابَّةٍ** ... ﴾ * وكذا نحوها بقية الأقوال * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَما آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا يا محمد : ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لتقتلنا ، والأعراب أكثر منا ، فمتى يبلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا فكنا أكلة رأس . فأنزل الله : ﴿ **أَوَ لم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً** .. ﴾ ولم أعثر على غيره * .

سورة الروم وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وهُمْ مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون * فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الْأَمْرُ مَنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ في الواحدي : قال المفسرون : بعث كسرى جيشا إلى الروم ، واستعمل عليهم رجلا يسمى شهريران . فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتلهم وخرب مدائنهم . وقطع زيتونهم . وكان قيصر بعث رجلا يدعى بخين ، فالتقى شهريران بأذرعات في بصرى . وهي أدنى الشام إلى أرض العرب . فغلب فارس الروم ، وبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه بمكة ، فشق ذلك عليهم ، وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح كفار مكة وشمتوا . فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا : إنكم أهل الكتاب ، والنصارى أهل كتاب ونحن

أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، وإنكم وإن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **الٓمٓ * غُلِبَت الرُّوم * في أدْنَى الأرض** ﴾ — إلى آخر الآيات * وفي اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال : بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ ، فيقولون : الروم يشهدون أنهم أهل كتاب ، وقد غلبتهم المجوس ، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذى أنزل على نبيكم ، فكيف غلب المجوس وهم أهل كتاب فسنغلبكم كما غلب فارس الروم . فأنزل الله : ﴿ **الٓمٓ * غُلِبَت الرُّوم * في أدنى الأرض** ... ﴾ وقد أطال المفسرون في سرد هذه القصة مطولة تارة ومختصرة أخرى ، وكلها تدور حول المعنى الذى ذكر . وفي بعضها فلما نزلت هذه الآيات خرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة ، فقال : فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا . فوالله ليظهرن الروم على فارس . أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ ، فقام إليه أبى بن خلف الجمحي . فقال : كذبت . فقال : أنت أكذب يا عدو الله ، فقال : اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه — والمناحبة بالحاء المهملة . القمار . والمراهنة أى أراهنك على عشرة قلائص منى ، وعشر قلائص منك ، فإذا ظهرت فارس على الروم غرمت وإذا ظهرت الروم على فارس غرمت ، ففعلوا ، وجعلوا الأجل ثلاث سنين ، فجاء النبي ﷺ وأخبره بذلك قبل تحريم القمار ، فقال النبي ﷺ ما هكذا إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده فى الخطر وماده في الأجل ، فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين ، فقال : قد فعلت . فلما خشى أبى بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه . وقال : إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي ضامنا كفيلا ، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر . فلما أراد أبى بن خلف أن يخرج إلى أحد . أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال : والله لا أدعك حتى تعطينى كفيلا ، فأعطاه كفيلا ، ثم خرج إلى أحد ، قال : ثم رجع أبى بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التى جرحه النبي ﷺ حين بارزه ، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية . وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم ، وقيل : كان يوم بدر ، وربطت الروم خيولهم بالمدائن . وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية ، فقمر أبو بكر أبياً ، وأخذ مال الخطر من ورثته ، وجاء به للنبي ﷺ . وذلك قبل أن يحرم القمار . فقال النبي ﷺ تصدق به ... * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ولَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السّمٰوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : تعجب الكفار من إحياء الله الموتى . فنزلت ﴿ **وهُوَ الَّذِي يبدأ الْخَلَقَ** ... ﴾ * وكذا في الطبرى ، ولا يوجد غيره * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كذَلِكَ نُفصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يعقلُونَ** ﴾ في اللباب : وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : كان يلبى أهل الشرك : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فأنزل الله : ﴿ **هَلْ لَكُمْ مِمَّا ملكت أيمٰانكُمْ مِنْ شركاءَ فيمٰا رزقْناكُمْ** ... ﴾ * وهذا مثل ضربه الله للمشركين به . العابدين معه غيره .. وخلاصته إن أحدكم يأنف أن يساويه عبيده في التصرف في أمواله فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه ؟! * .

سورة لقمان وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيث لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الله بغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**... ﴾ في الواحدي : قال الكلبي ومقاتل : نزلت في النضر بن الحارث . وذلك أنه كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ، ويقول لهم : إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود . وأنا أحدثكم . بحديث رستم واسفنديار . وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه . ويتركون استماع القرآن . فنزلت فيه هذه الآية * وقال مجاهد : نزلت في شراء القيان والمغنيات . حدث علي بن يزيد عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ، وأثمانهن حرام » . وفي هذا نزلت هذه الآية : ﴿ **وَمِنْ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيث ليضلَّ عَن سَبِيلِ الله** ... ﴾ إلى آخر الآية * وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله تعالى

عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب ، والآخر على هذا المنكب . فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت * وقال ثور بن أبي فاخته عن أبيه عن ابن عباس : نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا * وفي اللباب : وأخرج جوبير عن ابن عباس قال : نزلت في النضر بن الحارث : اشترى قينةً ؟ وكان لا يسمع بأحد يريد الاسلام إلا انطلق إلى قينته فيقول : أطعميه وغنيه ، هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام . وأن تقاتل بين يديه * وهكذا بقية الأقوال * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ مٰا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلام وَالْبَحرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سبعةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ في الواحدي : قال المفسرون : سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الروح . فأنزل الله : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمٰا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، أتاه أحبار اليهود ، فقالوا يا محمد : بلغنا عنك أنك تقول : « ومٰا أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، أفتعنينا أم قومك ؟ فقال : كلاًّ ، قد عنيت . قالوا : ألست تتلو فيما جاءك إنا قد أوتينا التوراة . وفيها علم كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ . هي في علم الله سبحانه قليل . ولقد آتاكم الله تعالى ما إن عملتم به انتفعتم به . فقالوا يا محمد : كيف تزعم هذا وأنت تقول : ﴿ **وَمَنْ يؤتى الحكمة فقد أُوتِيَ خيْراً كثيراً** ﴾ وكيف يجتمع هذا . علم قليل وخير كثير . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ ما في الأَرْضِ مِنْ شجرة أقلام ...** ﴾ الآية * وكذا في المراغى ونحوه في القرطبي وابن كثير وبقية التفاسير * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مٰا فِي الْأَرْحَامِ وَمٰا تَدْرِي نَفْسٌ مٰاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمٰا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ في الواحدي : نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة من أهل البادية . أتى النبي ﷺ فسأل عن الساعة ووقتها . وقال : إن أرضنا أجدبت ، فمتى ينزل الغيث ؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد ؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت . فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية * وكذا في الطبري * وعن المنصور أنه همه معرفة مدة عمره ، فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر . وأشار إليه بالأصابع الخمس . فاستفتى العلماء في ذلك . فتأولوها . بخمس

سنين ، وبخمسة أشهر . وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة : تأويلها أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ، وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه * .

سورة السجدة وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خوفاً وطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم ينفقُون** ﴾ في الواحدي : قال مالك بن دينار : سألت أنس بن مالك عن هذه الآية فيمن نزلت؟ فقال : كان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون من المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية * وحدث قتادة عن أنس بن مالك قال : فينا نزلت معشر الأنصار : ﴿ **تتجافى جنُوبُهُمْ عَنْ المضاجع ...** ﴾ الآية * كنا نصلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبي ﷺ * وقال الحسن ومجاهد : نزلت في المتهجدين الذين يقومون الليل إلى الصلاة * وفي حديث معاذ ما يدل عليه . قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وقد أصابنا الحر ، فتفرق القوم ، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني . فقلت يا رسول الله : انبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ؟ قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه . تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير ؟ فقال : قلت أجل يا رسول الله : قال : الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله تعالى قال : ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **تَتَجَافَى جنُوبُهِمْ ...** ﴾ الآية * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفَمَنْ كَانَ مُؤْمناً كَمَنْ كَانَ فاسِقاً لَا يَسْتَوُون** ﴾ في الواحدي : نزلت الآية في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة . حدث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا أحدُّ منك سناً ، وأبسط منك لسانا ، وأملأ للكتيبة منك . فقال علي : اسكت فإنما أنت فاسق – فنزل : ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كانَ فَاسقاً ...** ﴾ يعنى بالمؤمن علي وبالفاسق الوليد بن عقبة * وكذا أخرجه ابن جرير عن عطاء بن يسار . ورواه الخازن مرسلا * .

سورة الأحزاب وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها النَّبيُّ اتّق الله ولا تُطِع الكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ إن الله كانَ عَليماً حكيماً** ﴾ في الواحدي : نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبيّ جهل وأبي الأعور السلمي . قدموا المدينة بعد قتال أحد . فنزلوا على عبد الله بن أبي . وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه ، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق . فقالو للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب : ارفض ذكر آلهتنا : اللات والعزى ومنات ، وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها ، وندعك وربك ، فشق على النبي ﷺ قولهم . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم . فقال : إني قد أعطيتهم الأمان . فقال عمر : اخرجوا في لعنة الله وغضبه . فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجهم من المدينة . فأنزل الله عز وجل هذه الآية * وكذا في الخازن وغيره وفي لباب السيوطي : أخرج ابن جوبير عن الضحاك عن ابن عباس قال : إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم . وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه . فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ **يا أَيُّها النبّي اتّق الله ولَا تطع الكافرينَ والمنافقين ...** ﴾ الآية * وكذا في المراغي .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ما جعل الله لِرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ ومَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الّلائي تُظَاهِرُونَ مِنهُنَّ أُمّهاتِكُمْ ...** ﴾ الآية * في الواحدي : نزلت في جميل بن معمر الفهرى . وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع . فقالت قريش : ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول : إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ . فلما كان يوم بدر ، وهزم المشركون وفيهم جميل بن معمر . تلقاه أبو سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والأخرى في رجله . فقال له : يا أبا معمر : ما حال الناس ؟ قال : انهزموا . قال : فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ؟ قال : ما شعرت إلا أنهما في رجلي ، وعرفوا يومئذ أن لو كان له قلبان لما نسى نعله في يده * وفي اللباب : أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال : قام النبي ﷺ

يوما يصلي ، فخطره خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألاترى أن له قلبين : قلبا معكم ، وقلبا معه ، فأنزل الله ﴿ **ما جَعَلَ الله لِرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ** ... ﴾ * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ هُو أقْسَطُ عِنْدَ الله فَإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخوانُكُمْ في الدّينِ** ... ﴾ الآية * روى الشيخان والترمذي والنسائي في جماعة آخرين عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن زيد بن حارثة : مولى رسول الله ﷺ . ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد » حتى نزل القرآن ﴿ **ادْعُوهُمْ لِآبائِهِم** ... ﴾ الآية * فقال النبي ﷺ أنت زيد بن حارثة * وكذا ذكره السيوطي : وعبارة الواحدي : نزلت في زيد بن حارثة . كان عند الرسول فأعتقه وتبناه قبل الوحي ، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش ، وكانت تحت زيد بن حارثة ، قالت اليهود والمنافقون تزوج محمد امرأة ابنه ، وهو ينهى الناس عنها . فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ **وما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبنائَكُمْ** ... ﴾ * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الّذِين آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عليكُمْ إذْ جَاءتكُمْ جنودٌ فأرْسَلْنا عَلَيهُمْ ريحاً وجُنُوداً لَمْ تَروْها وكان الله بِما تعْملونَ بصيراً * إذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ** ... ﴾ في اللباب : أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة ، قال : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب صامتون قعوداً ، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت قط ليلة أشد ظلمة ، ولا أشد ريحا منها ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون : إن بيوتنا عورة وما هي بعورة ، فما يستأذن أحد إلا أذن له فيتسللون . إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلا رجلا حتى أتى علي ، فقال : ائتني بخبر القوم ، فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شيئا ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفروشهم الريح تضربهم بها ، وهم يقولون : الرحيل الرحيل ، فجئته فأخبرته خبر القوم وأنزل الله :﴿ **يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا اذكرُوا نعمة الله عليكم** ... ﴾ الآيات * وجميع أقوال التفاسير نحو هذا * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمنينَ رِجَالٌ صَدقُوا ما عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتظِرُ وما بَدَّلُواتبْديلاً** ﴾ في الواحدي : أخبر سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : غاب عمي أنس بن النضر وبه سميت أنا عن

قتال بدر ، فشق عليه لما قدم ، وقال : غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ : والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالا ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون . وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين . ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ . فقال : أي سعد : وّالذي نفسى بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، فقاتلهم حتى قتل ، قال أنس ، فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف ، وطعنة بالرمح ، ورمية بالسهم ، وقد مثلوا به ، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ **من المُؤمنين رِجَالٌ صَدَقُوا مٰا عاهَدُوا الله عَلَيهِ** ﴾ – قال : وكنا نقول أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه. رواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد . ورواه البخاري عن بندار قال : نزلت هذه الآية في أنس بن النضر – ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ... ﴾ * وفي الواحدي في قوله : ﴿ **فمنْهُمْ مَنْ قضى نَحْبَهُ** ... ﴾ الآية نزلت في طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم أوجب لطلحة الجنة » * وحدث الضحاك عن النزال بن سبره عن علي قال : قالوا : أخبرنا عن طلحة ، قال ذلك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله : ﴿ **فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ** ... ﴾ طلحة ممن قضى نحبه لا حساب عليه فيما يستقبل ، وفي رواية عيسى بن طلحة أن النبي ﷺ مر على طلحة فقال : « هذا ممن قضى نحبه » * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْواجك إنْ كُنْتُنْ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدنيا وزينتها** ... ﴾ الآية * في اللباب : أخرج مسلم . وأحمد والنسائي من طريق ابن الزبير عن جابر قال : أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ، ثم أذن لهما فدخلا ، والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه ، وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك . فقال عمر يا رسول الله : لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتنى النفقة ، آنفا فوجأت عنقها ، فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه ، وقال : هن حولي يسألنني النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة . كلاهما يقول : تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده . وأنزل الله الخيار ، فبدأ بعائشة . فقال : إني ذاكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى

فيه حتى تستأمرى أبويك . قالت : ما هو ؟ فتلا عليها : ﴿ **يا أيها النبيُّ قُلْ لأزْواجكَ ...** ﴾ الآية . قالت عائشة : أفيك أستأمر أبوى ، بل أختار الله ورسوله * زاد المفسرون : قولها : وأسألك ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت . فقال ﷺ : « إن الله تعالى لم يبعثني مُعَنِّفاً ولكن بعثني مُعَلِّماً ميسراً ، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها » رواه مسلم والنسائي * .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولَا مُؤْمِنَةٍ إذا قضَى الله ورسُولُه أمْراً أنْ يكُونَ لَهُمْ الخِيَرَةُ مِنْ أمْرِهم ومَنْ يَعْصِ الله ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً** ﴾ في اللباب أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة . قال : خطب رسول الله ﷺ زينب وهو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها لنفسه . فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت فأنزل الله ﴿ **وما كانَ لمؤمنٍ ولا مُؤْمِنةٍ إذا قضى الله ورسُولُه أمْراً ...** ﴾ فرضيت وسلمت * وفي رواية عكرمة عن ابن عباس . خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت منه . وقالت : أنا خير منه حسباً . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وما كانَ لمؤمنٍ ...** ﴾ الآية * وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكانت أول امرأة هاجرت من النساء ، فوهبت نفسها للنبي ﷺ ، فزوجها زيد بن حارثة ، فسخطت هي وأخوها . قالا : إنما أردنا رسول الله ﷺ ، فزوجنا عبده ، فنزلت الآية * وبقية الأقوال لا تخرج عن هذين القولين *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذْ تقُولُ لِلّذِي أنْعَمَ الله عليه وأنْعَمْتَ عَلَيْه أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ الله وَتُخْفِي في نَفسكَ ما الله مُبديهِ وتخْشَى النَاسَ والله أحَقُّ أنْ تخْشَاهُ فَلمَّا قضَى زيْدٌ منها وَطَراً زوّجنَاكَهَا لِكَيْلاَ يكُونَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدْعِيَائِهِمْ إذَا قَضَوا مِنْهُنَّ وطَراً وكانَ أمْرُ الله مفعُولاً** ﴾ في لباب السيوطي : أخرج البخاري عن أنس أن هذه الآية : ﴿ **وتُخْفِي في نَفْسِكَ ما الله مُبْديه** ﴾ نزلت في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة * وأخرج الحاكم عن أنس قال : جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش ، فقال النبي ﷺ : أمسك عليك أهلك . فنزلت : ﴿ **وتُخْفِي ما في نَفْسِكَ ما الله مُبْديه** ﴾ * وأخرج مسلم وأحمد والنسائي . قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ

لزيد : اذهب فاذكرها علي ، فانطلق فأخبرها ، فقالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي ، فقامت إلى مسجدها . ونزل القرآن . وجاء رسول الله ﷺ . أطعمنا على الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام . فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه ، ثم أخبر أن القوم قد خرجوا ، فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووعظ القوم بما وعظوا به : ﴿ **لَا تَدْخُلُوا بيوت النَّبِي إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لكم** ... ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **تُرجِى مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وتُؤْوى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُناحَ عَلَيْكَ** ﴾ قال المفسرون : حين غار بعض نساء النبي ﷺ وآذينه بالغيرة ، وطلبن زيادة النفقة ، فهجرهن رسول الله ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير ، وأمر الله تعالى ان يخيرهن بين الدنيا والآخرة . وأن يخلى سبيل من اختارت الدنيا ، ويمسك من اختارت الله سبحانه ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ، ولا ينحكن أبدا ، وعلى أن يؤى إليه من يشاء ويرجى منهن من يشاء ، فرضين به قسم لهن أو لم يقسم ، أو فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة ، ويكون الأمر في ذلك إليه يفعل ما يشاء . فرضين بذلك كله . فكان رسول الله ﷺ مع ما جعل الله تعالى له من التوسعة يسوى بينهن في القسمة * وروى البخاري عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ بعد ما نزلت ــ تُرْجِي مِنْ تَشاَءُ مِنْهُنَّ وتُؤى إِلَيْكَ مَنْ تَشاَءُ ــ يستأذننا إذا كان في يوم المرأة منا ، قالت معاذة : ما كنت تقولين ؟ قالت : كنت أقول : إن كان ذلك إلي لم أوثر أحدا على نفسي *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بيُوتَ النّبي إلاَّ أنْ يُؤذن لكُمْ إلى طَعَامٍ غَيْرَ ناظِرينَ إناهُ** ... ﴾ الآية . قال أكثر المفسرين : لما بنا رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش أو لم عليها بتمر وسويق وذبح شاة . قال أنس : وبعثت إليه أمى : أم سليم بحيس في تور من حجارة ، فأمرني النبي ﷺ أن أدعوا أصحابه إلى الطعام ، فجعل القوم يجيئون فيأكلون فيخرجون ، ثم يجيء القوم ويأكلون ويخرجون ، فقلت يا نبي الله : قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه ، فقال : ارفعوا طعامكم ، فرفعوا ، وخرج القوم ، وبقى ثلاثة أنفار يتحدثون في البيت ، فأطالوا

المكث . فتأذى منهم رسول الله ﷺ . وكان شديد الحياء فنزلت هذه الآية ، وضرب رسول الله ﷺ بيني وبينه سترا . وهناك روايات أخرى في المعنى نفسه *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولا تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِه أَبَداً** ... ﴾ في الواحدي : قال ابن عباس في رواية عطاء : قال رجل من سادة قريش : لو توفى رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة . فأنزل الله تعالى ما أنزل *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الله ومَلائكتهُ يُصَلُّونَ علَى النبي يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا صلُّوا عليه وسلّمُوا تسليماً** ﴾ في الواحدي : قال كعب بن عجرة قيل للنبي ﷺ قد عرفنا السلام عليك ، وكيف الصلاة عليك ، فنزلت : ﴿ **إنّ الله وملائكته يُصَلُّون على النبيّ** ... ﴾ * وقال الأصمعي : سمعت المهدى على منبر البصرة يقول : إن الله أمركم بأمر بدا به بنفسه ، وثنى بملائكته . فقال : إن الله وملائكته يصلون على النبي .. آثر ﷺ بها من بين الرسل ، واختصكم بها من بين الأنام ، فقابلوا نعمة الله بالشكر *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الّذِي يُصلّى عَلَيْكُمْ وَمْلائكتُه** ... ﴾ قال مجاهد : لما نزلت - ﴿ **إنَّ الله ومَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ علَى النّبيّ** ... ﴾ قال أبو بكر : ما أعطاك الله من خير إلا أشركنا فيه فنزلت - ﴿ **هُوَ الّذِي يُصَلّى عليكم وملائكته** ... ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذِين يؤذُون المُؤْمِنِينَ والمؤْمِنَاتِ بغَيْر ما اكتسبُوا** ... ﴾ في الواحدي : قال عطاء عن ابن عباس : رأى عمر جارية من الأنصار متبرجة فضربها ، وكره ما رأى من زينتها ، فذهبت إلى أهلها تشكو عمر ، فخرجوا إليه فاذوه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي الخازن وغيره . قيل إنها نزلت في علي ابن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه * وفيه : وقيل نزلت في شأن عائشة . وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن ، فيتبعون المرأة ، فإن سكتت تبعوها ، وإن زجرتهم انتهوا عنها ، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء . ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الآمة لأن زى الكل كان واحد . تخرج الحرة والآمة في درع وخمار . فشكوا ذلك إلى أزواجهن ، فذكرو ذلك لرسول

الله ﷺ . فنزلت : ﴿ **والذِينَ يؤذُونَ المؤمنين والمؤمنات ...** ﴾ الآية وكذا في الواحدي *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها النبيُّ إنا أحْلَلْنا لَكَ أزْواجَكَ اللاَّتي أتيْتَ أجُورَهُنَّ ومٰا مَلكتْ يَمِنُكَ .** ﴾ الآية في اللباب أخرج الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه من طريق السدى عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت : خطبنى رسول الله ﷺ . فاعتذرت إليه فعذرني ، فأنزل الله : ﴿ **إنّا أحْلَلنا لَكَ .. إلى قوله : اللاّتي هاجرن معك ...** ﴾ فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر وأخرج ابن أبي حاتم من طريق اسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح عن أم هانىء قالت : نزلت في هذه الآية : ﴿ **وبَنَاتِ عمِّكَ وبناتِ عمّاتِكَ وبناتِ خالِكَ وبناتِ خالاتِكَ اللاَّتي هَاجَرْنَ مَعَكَ ...** ﴾ أي أحللنا لك ذلك زائدا على الأزواج اللاتى أتيت أجورهن . على قول الجمهور *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ولَا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْواجٍ ولَو أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلا مٰا مَلكتْ يمينَك ...** ﴾ * في اللباب : أخرج ابن سعد عن عكرمة قال : خير رسول الله ﷺ أزواجه فاخترن الله ورسوله فأنزل الله : ﴿ **لا يَحِلُّ لَكَ النّساء ...** ﴾ الآية . وكذا في الخازن وغيره قولا واحدا *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ الله ورَسُولَهُ لَعَنَهُم الله في الّدنْيَا والآخِرَةِ وأعدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهيناً** ﴾ أخرج ابن ابي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنّ الّذينَ يُؤْذُون الله ورسُولَه** ﴾ الآية . قال نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي * وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس : أنزلت في عبد الله بن أبي وناسٍ معه . قذفوا عائشة . فخطب النبي ﷺ وقال : « من يعذرني من رجل يؤذينى . ويجمع في بيته من يؤذينى » فنزلت *

سورة سبأ وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ في مَسْكَنِهِمْ آيةٌ ...** ﴾ في

اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال : حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله : إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز ، وإني أخشى أن يرتدوا عن الاسلام أفأقاتلهم ؟ فقال : ما أمرت فيهم بشيء بعد فأنزلت هذه الآية : ﴿ **لَقَد كانَ لِسَبأٍ في مَسكَنِهِمْ آية ...** ﴾ ولم أجد غيره .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما أرْسَلْنا في قَرْيَةٍ منْ نَذيرٍ إلاَّ قال مُتْرَفُوهَا إنَّا بما أرْسِلْتُمْ به كَافِرون** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن ابن رزين قال : كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر ، فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل ؟ فكتب إليه أنه يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم ، فترك تجارته ، ثم أتى صاحبه . فقال : دُلّني عليه ، وكان يقرأ بعض الكتب ، فأتى النبي ﷺ فقال : إلام تدعو ؟ فقال : إلى كذا وكذا . فقال : أشهد أنك رسول الله ، فقال : وما علمك بذلك ؟ قال : إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم ، فنزلت هذه الآية . ولم أجد ما يعضده في التفاسير *

سورة فاطر وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفَمَنْ زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فإنَّ الله يُضِلُ مَنْ يشاءُ ...** ﴾ الآية : في اللباب : أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : أنزلت هذه الآية حيث قال النبي ﷺ : اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام ، فهدى الله عمر . وأضل أبا جهل . ففيها أنزلت * وفي الخازن : قال ابن عباس : نزلت في أبي جهل ومشركى مكة * وقيل : نزلت في أصحاب الأموال والبدع * ولا مانع من حملها على العموم .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الّذينَ يتلُونَ كتاب الله وأقامُوا الصلاة وأنْفقُوا مَماّ رزقْناهُمْ ...** ﴾ في اللباب : وأخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس : أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزل فيه : ﴿ **إنّ الّذينَ يتلُونَ كتاب الله وأقامُوا الصلاة** ﴾ الآية . ولم أجد غيره في التفاسير

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الّذي أحَلَّنا دارَ المُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فيها نَصَبٌ ولا يمسُّنَا فيها لُغُوبٌ** ﴾ في اللباب : وأخرج البيهقي في البعث وابن أبي حاتم من طريق نفيع بن الحارث ، عن عبد الله بن أبي أوفى . قال : قال رجل للنبي ﷺ يا رسول الله : إنّ النوم ممّا يقرّ الله به أعْيننا في الدنيا ، فهل في الجنّة من نوم ؟ قال : لا ، إن النوم شريك الموت ، وليس في الجنة موت ، قال : فما راحتهم ؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال : ليس فيها لغوب . كل أمرهم راحة . فنزلت : ﴿ **لا يَمسُّنَا فيها نَصَبٌ ولا يمسُّنَا فيها لُغُوبٌ** ﴾ * أي لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء الموجبة للنوم *

سورة يٰسٓ وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يٰسٓ * إلى قوله : أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون ﴾ في اللباب : أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة ، فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش ، حتى قاموا ليأخذوه ، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم ، وإذا بهم عمى لا يبصرون ، فجاؤا إلى النبي ﷺ فقالوا : ننشدك الله والرحم يا محمد : فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت : يٰسٓ * والقرآن الحكيم . إلى قوله : أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، قال : فلم يؤمن من ذلك النفر أحد * ولم يذكره أحد من المفسرين *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنّا جَعَلْنَا في أعْنَاقِهِمْ أغلالاً فَهيَ إلى الأذْقَانِ فهُمْ مُقحَمُون** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : قال أبو جهل لئن رأيت محمداً لأفعلنّ ولأفعلن ، فأنزل الله : ﴿ **إنّا جَعَلْنَا في أعْنَاقِهِم** ... ﴾ إلى قوله : ﴿ **لا يبصِرُون** ﴾ * وعبارة الخازن : نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزومين . وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً ﷺ يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة ، فأتاه وهو يصلى ، ومعه حجر ليدفقه به ، فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ، ولزق الحجر بيده ، فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر ، فقال له رجل من بني مخزوم : أنا أقتله بهذا الحجر ، فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره ،

فجعل يسمع صوته ولا يراه . فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : ما رأيته ولقد سمعت صوته ، وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه ، لو دنوت منه لأكلني ، فأنزل الله تعالى ﴿ **إنا جَعَلْنا في أعناقِهِمْ أغلالاً** ... ﴾ * وكذا في القرطبي بحرفه ولفظه . *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنا نَحْنُ نُحْي المَوْتَى ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثارَهُمْ** ... ﴾ الآية . في الواحدي : قال أبو سعيد الخدرى : كان بنو سلمة في ناحية من المدينة ، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فنزلت الآية : ﴿ **إنّا نحنُ نُحْي المَوْتَى نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثَارَهُمْ** ... ﴾ فقال النبي ﷺ : إن آثاركم تكتب فلم تنتقلون ؟ وفي رواية . عليكم منازلكم ، فإنما نكتب آثاركم * وكذا في الخازن عن أبي سعيد الخدري به . قال : أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن غريب . وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة ، فقال يا بني سلمة : ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا * ولم يذكر النزول *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنسيَ خلْقَهُ قال منْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهيَ رَميمٌ** ... ﴾ في الواحدي : إن أبي بن خلف أتى النبي ﷺ بعظم حائل فقال يا محمد : أترى الله يحي هذا بعد ما قد رم ؟ فقال : نعم ويبعثك ويدخلك في النار . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وكذا رواه الحاكم وصححه . قال : فنزلت الآيات : ﴿ **أو لم ير الإنسانُ إناً خلقناه من نطفة فإذا هو خصيمُ مبين * وضَربَ لنا مثلاً وَنسيَ خلقه** ... ﴾ إلى آخر السورة * وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد ، وعكرمة ، وعروة بن الزبير والسدى نحوه ، وسموا الإنسان أبي بن خلف . وكذا في الخازن وابن كثير وغيرهما .

سورة الصّافات وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنّها شَجَرَةٌ تخْرُجُ في أصْلِ الجحيم * طلْعُها كأنّه رُؤُسُ الشّياطين** ﴾ في اللباب : أخرج ابن جرير عن قتادة قال : قال أبو جهل : يزعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، وإنا والله ما نعلم

الزقوم إلا التمر والزبد ، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة ﴿ **إنّها تَخْرُجُ في أصْلِ الجحيم ...** ﴾ * أي أنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك . والنار تحرق الشجر ، ولم يعلموا أن من يقدر على خلق حيوان وهو السمندل يعيش في النار ، ويتلذذ بها يقدر على خلق الشجر في النار وحفظه منها *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وجَعَلُوا بَيْنَهُ وبَيْنَ الْجِنَّةِ نسباً** ﴾ وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال : قال كبار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال أبو بكر الصديق : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : بنات سراة الجن فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولَقَدْ عَلِمَت الجنُّ إنّهم لمُحْضَرون** ﴾ أي للنار . *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفَبِعَذَابِنَا يستعجلُون** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن جويبر عن ابن عباس قال : قالوا يا محمد : أرنا العذاب الذي تخوفنا به ؟ عجله لنا . فنزلت : ﴿ **أفَبِعَذَابنَا يستعجلُون** ﴾ * ولم أعثر على غيره .

سورة صٓ وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **صٓ * والْقُرآنِ ذِي الذِّكرِ . إلى قوله : إن هذا اختلاق** ﴾ في الواحدي : حدث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب ، فجاءت قريش ، وجاء النبي ﷺ ، وعند رأس أبي طالب مجلس رجل ، فقام أبو جهل كي يمنعه من ذلك . فشكوه إلى أبي طالب ، فقال يا ابن أخي : ما تريد

من قومك ؟ قال يا عم : إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب ، وتؤدى لهم الجزيه بها العجم ، قال : كلمة واحدة ؟! قال : ما هى ؟ قال : لا إله إلا الله . فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً . قال : فنزل فيهم القرآن : ﴿ **صٓ . والقرآن ذى الذكر بلِ الّذينَ كفَرُوا في عزّةٍ وشقاق** ﴾ . حتى بلغ : ﴿ **إن هَذَا إلاَّ اختلاق** ﴾ وفي اللباب : إلى قوله : ﴿ **بل لمَّا يذوقُوا عذاب** ﴾ . وفي الواحدي : قال المفسرون : لما أسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش ، وفرح المؤمنون ، قال الوليد بن المغيرة لخلاص قريش . هم الصناديد والأشراف . امشوا إلى أبي طالب . فأتوه ، فقالوا له : أنت شيخنا

وكبيرنا ، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، وإنا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك ، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ ، فدعاه ، فقال يا بن أخي : هؤلاء قومك يسألونك ذا السؤال فلا تمل كل الميل على قومك . قال : وماذا يسألوني ؟ قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك ، فقال النبي ﷺ : أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب ، وتدين كلم بها العجم : فقال أبو جهل : لله أبوك لنعطيكنها وعشر أمثالها . فقال النبي ﷺ : قولوا لا إله إلا الله ، فنفروا من ذلك ، فقاموا . فقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً . كيف يسع الخلق إله واحد فأنزل الله فيهم هذه الآية : ﴿ **كذّبت قبلهم قَوْمُ نوحٍ** ... ﴾ *

سورة الزمر وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والَّذِينَ اتّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرّبُونا إلى الله زُلْفَى** ... ﴾ في اللباب : أخرج ابن جويير عن ابن عباس قال في سبب نزول هذه الآية . أنزلت في ثلاثة أحياء : عامر وكنانة وبني سلمة . كانُوا يعبدُون الأوثان . ويقولون : الملائكة بنات الله . فقالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى * ولم أجد غيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آناءَ اللّيْل سَاجداً وقائِماً يَحْذَرُ الآخرة ويَرْجُو رَحْمَةَ رّبه** ... ﴾ الآية في الواحدي : قال ابن عباس في رواية عطاء : نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وقال ابن عمر : نزلت في عثمان بن عفان * وقال مقاتل : نزلت في عمار بن ياسر * وفي اللباب : وأخرج ابن جويير عن ابن عباس قال : نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة * ولا مانع من نزولها في الكل . لأنها عامة في كل قانت . وهذه الأقوال مذكورة في الخازن بحروفها . وفي معناها في ابن كثير *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها وأنَابُوا إلَى الله لَهُمُ الْبُشْرَى** ... ﴾ قال ابن زيد : نزلت في ثلاثة أنفار كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله . وهم : زيد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي * وفي

القرطبي : روى أنها نزلت في عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم سألوا أبا بكر رضي الله عنه ، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا * وفيه : وقيل نزلت في عمرو بن نفيل وأبي ذر وغيرهما فمن وحد الله تعالى قبل مبعث النبي ﷺ * وكذا القول في بقية التفاسير *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللهِ ...** ﴾ في الواحدي : حدّث مصعب بن سعد عن سعد قالوا يا رسول الله : لو حدثتنا ؟ فأنزل الله : ﴿ **اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث ...** ﴾ الآية . ولم أجد غيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْده وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ...** ﴾ الآية . في اللباب : أخرج عبد الرازق عن معمر قال لي رجل : قالوا للنبي ﷺ : لتكفن عن شتم آلهتنا ، أو لنأمرنها فلتخبلنك : فنزلت ﴿ **ويُخوّفُونك بِالَّذِينَ مَنْ دونه ...** ﴾ وكذا في الجلال *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رحمة الله ...** ﴾ الآية . قال ابن عباس : نزلت في أهل مكة . قالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان ، وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له . فكيف نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا مع الله إلها آخر . وقتلنا النفس التى حرم الله . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وحدث يعلى بن مسلم أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس : أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تدعوا إليه لحسن أن تخبرنا لما عملناه كفارة . فنزلت هذه الآية : ﴿ **يا عبادِي الَّذِينَ أسْرَافُوا على أنْفُسِهِمْ ...** ﴾ الآية . ويروى أنها نزلت في وحشى قاتل حمزة . وتقدم ذكر ذلك في آخر سورة الفرقان *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّها الْجَاهِلُونَ** ﴾ في اللباب : وأخرج البيهقي في الدلائل عن الحسن البصرى قال : قال المشركون للنبي ﷺ : أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد ؟ فأنزل الله ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تأمرونّى أعْبُدُ ...** ﴾ الآية . وسيأتي الكلام عليها في سورة الكافرون إن شاء الله تعالى *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وما قَدَرُوا الله حق قَدْرِهِ والأرْضُ جميعاً قَبْضتُه يَوْمَ القيامة ... ﴾ الآية في الواحدي : حدث الأعمش عن علقمة عن عبد الله قال : أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب . فقال يا أبا القاسم : بلغك أن الله يحمل الخلائق على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمٰا قَدَرُوا الله حق قَدْرِهِ ... ﴾ الآية * وفي اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال : غدت اليهود فنظروا في خلق السموات والأرض والملائكة ، فلما فرغوا أخذو يقدرونه . فأنزل الله تعالى ﴿ وما قَدَرُوا الله حق قَدْرِه ... ﴾ * وأخرج عن سعيد بن جبير قال : تكلمت اليهود في صفة الرب ، فقالوا بما لم يعلموا ، ولم يروا . فأنزل الله الآية * وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال : لما نزلت : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّموٰاتِ والأرْضِ ... ﴾ قالوا يا رسول الله : هذا الكرسي هكذا فكيف العرش ؟ فأنزل الله : ﴿ وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ مٰا يُجَادِلُ في آيَاتِ الله إلاَّ الّذِينَ كفَرُوا ... ﴾ الآية . في اللباب أخرج ابن أبي حاتم عن السدي ، عن مالك في قوله : ﴿ مَا يُجَادِلُ في آياتِ الله إلاَّ الّذِينَ كفَرُوا ... ﴾ قال : نزلت في الحارث بن قيس السهمي * وأخرج عن أبي العالية قال : جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدَّجال ، فقالوا يكون منا في آخر الزمان ، فعظموا أمره ، وقالوا : يضع كذا ، فأنزل الله ﴿ إنَّ الّذِينَ يُجَادِلُونَ في آياتِ الله بغيرْ سُلطَانِ ... ﴾ فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال : ﴿ لخَلْقُ السّموٰاتِ والأرض أكْبَرُ مِنْ خَلِقِ النّاسِ ﴾ قال : من خلق الدجال *

سورة السجدة – فُصِّلَتْ – وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وما كنتُمْ تَستَتِرونَ أنْ يَشْهَد عليكُمْ سَمْعُكُمْ ... ﴾ الآية في الواحدي : حدّث مجاهد عن أبي معمر ، عن ابن مسعود في هذه الآية قال : كان رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش . أو رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف في بيت ، فقال بعضهم : أترانا الله يسمع نجوانا أو حديثنا ؟ فقال

بعضهم : قد سمع بعضه ، ولم يسمع بعضه ، قالوا : لئن كان يسمع بعضه لقد سمع كله . فنزلت هذه الآية - ﴿ **وما كنتُمْ تستترون أنْ يَشْهَدَ عليكُمْ ..** ﴾ رواه البخاري عن الحميدي ، ورواه مسلم عن أبي عمر وفي اللباب : أخرج الشيْخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال : اختصم عند البيت ثلاثة نفر قرشيون ، وثقفي أو ثقفيان وقرشي ، فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟ فقال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا . فأنزل الله : ﴿ **وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرون** ﴾ الآية *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الّذينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا ...** ﴾ الآية . قال عطاء عن ابن عباس : نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه ، وذلك أن المشركين قالوا : ربنا الله والملائكة بناته ، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا . وقالت اليهود : ربنا الله : وعزير ابنه ، ومحمد ﷺ ليس بنبي ، فلم يستقيموا . وقال أبو بكر رضي الله عنه : ربنا الله وحده لا شريك له ، ومحمد ﷺ عبده ورسوله واستقام *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفَمَنْ يُلْقَى فِي النّارِ خَيْرٌ أمْ مَنْ يَأتِي آمِناً يَومَ الْقِيامَةِ ...** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال : نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر * وفي الخازن : وأخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال : نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أعْجَمِياً لَقَالُوا لولاَ فُصّلَتْ آياتُه أأعْجَمِيٌّ وعَرَبيٌّ ...** ﴾ الآية . في اللباب : وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا فأنزل الله ﴿ **وَقَالُوا لَوْلاَ فُصّلَتْ آياتُه ...** ﴾ *

سورة الشُّورى وبيانُ ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي الله مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ ...** ﴾ الآية في اللباب : أخرج ابن

المنذر عن عكرمة قال : لما نزلت : ﴿ **إذا جَاءَ نَصرُ الله والفَتْحُ ...** ﴾ قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين : قد دخل الناس في دين الله أفواجا ، فأخرجوا من بين أظهرنا ، فعلامِ تقيمون بين أظهرنا ؟ فنزلت : ﴿ **والَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي الله مِنْ بَعدِ ما استجيب له ...** ﴾ الآية *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ...** ﴾ قال ابن عباس : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة ، فقال الأنصار : إن هذا الرجل قد هداكم الله به . وهو ابن اختكم ، وتنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة فأجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم ، فأتوه به ليعينه على ما ينوبه ، ففعلوا ، ثم أتوا به ، فقالوا يا رسول الله : إنك ابن أختنا ، وقد هدانا الله تعالى على يديك وتنوبك نوائب وحقوق ، وليست لك عندنا سعة ، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك ، وهو هذا . فنزلت هذه الآية : ﴿ **قل لا أسألكُمْ عليه أجراً ...** ﴾ وضعّفه السيوطي في لبابه * وفي الخازن : وقيل إن هذه الآية منسوخة . وذلك لأنها نزلت بمكة ، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة ورحمة ، فلما هاجر إلى المدينة ، وآواه الأنصار ونصروه أحب الله تعالى أن يلحقه بإخوانه من النبيين ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ فهو لكم ...** ﴾ فصارت هذه الآية ناسخة لقوله : ﴿ **قُلْ لا أسألكُمْ عليه أجراً إلاَّ المودّةَ في القربى** ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ الله الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغُوا فِي الأرْضِ ...** ﴾ الآية . وذلك أنا نظرنا إلى أحوال قريظة والنضير فتمنيناها ، فأنزل الله تبارك وتعالى : هذه الآية . وكذا في الخازن وغيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ الله إلاَّ وحْياً ...** ﴾ الآية . في الواحدي : وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلم الله موسى ونظر إليه ، فإنا لن نؤمن بك حتى تفعل ذلك ، فقال : لم ينظر موسى إلى الله . وأنزلت هذه الآية * وكذا في الخازن *

سورة الزخرف وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُم وَهُمْ يُسئلونَ** ﴾ في اللباب : أخرج إبن المنذر عن قتادة . قال : قال ناس من المنافقين : إن الله صاهر الجن ، فخرجت من بينهم الملائكة فنزل فيهم : ﴿ **وجَعَلُوا الملائكة الذين هُمْ عبَادُ الرحمن إناثاً ...** ﴾ * وفي الخطيب : قال الكلبي ومقاتل : لما قالوا هذا القول . سألهم النبي ﷺ فقال : ما يدريكم أنهم إناث ؟ قالوا سمعنا من آبائنا ، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا . فقال تعالى : ﴿ **ستكتب شهادتهم ويُسئلون** ﴾ * وكذا في الخازن *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وقالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القريتيْنِ عظيمٌ** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال : قال الوليد بن المغيرة : لو كان ما يقول محمد حقا أنزل عليَّ هذا القرآن ، أو على مسعود الثقفى . فنزلت * ومعناه في ابن كثير والخطيب : يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف . قاله قتادة . وفي الخازن . وقيل : عتبة بن ربيعة من مكة ، وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذكر الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قرينٌ** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشا قالت : قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلا يأخذه ، فقيضوا لأبي بكر طلحة ، فأتاه وهو في القوة ، فقال أبو بكر : إلام تدعوني ؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللات والعزى . قال أبو بكر : وما اللات ، قال : ربنا . قال : وما العزى ؟ قال :بنات الله . قال أبو بكر : فمن أمهم ؟ فسكت طلحة فلم يجبه ؛ فقال طلحة لأصحابه : أجيبوا الرجل ، فسكت القوم ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر . أشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله . فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقيض لَهُ شيطاناً فهو لَهُ قرين** ﴾ * ولم أجد غيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذا قوْمَكَ مِنْهُ**

يَصُدُّون ﴾ في الواحدي : حدث ابن رزين عن أبي يحيى مولى ابن عفراء عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لقريش : يا معشر قريش لا خير في أحد يعبد من دون الله .. قالوا : أليس تزعم أن عيسى كان عبدا نبيا وعبدا صالحا ، فإن كان كما تزعم فهو كآلهتهم . فأنزل تعالى : ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابن مريم مثلاً** ... ﴾ وتقدم نظير هذا في آخر سورة الأنبياء عند قوله : ﴿ **إنكُمْ وما تعبُدُونَ مِنْ دونِ الله حَصَبُ جَهنّمَ** ... ﴾ والقصة في ابن كثير جـ ٤ ص ١٣١ *

سورة الدخان وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فارْتَقِبْ يَوْمَ تأتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ** ﴾ في اللباب : أخرج البخاري عن ابن مسعود قال : إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف . فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء ، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تأتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مبينٍ** ... ﴾ فأتي رسول الله ﷺ فقيل يارسول الله : استسق الله لمضر فإنها قد هلكت فسقوا : فنزلت : ﴿ **إنكُمْ عائدون** ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله ﴿ **يَومَ نبطشُ البطشة الكُبْرى إنّا منتقمُون** ﴾ . يعنى يوم بدر * ونحوه في الخازن بدون ذكر النزول . وكذا في بقية التفاسير *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الأثيم** . ﴾ في لباب السيوطي : أخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال : إن أبا جهل كان يأتي التمر والزبد فيقول : تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد فنزلت : ﴿ **إنّ شجرة الزَّقُو طعام الأثيم** ... ﴾ * ولم أجد غيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ذُقْ إنّكَ أنْتَ العَزيزُ الكريمُ** ﴾ في اللباب : وأخرج الأموى في مغازيه عن عكرمة قال : لقى رسول الله ﷺ أبا جهل فقال : إن الله أمرني أن أقول لك : أوْلى لك فأولى ثم أولى لك فأولى . قال : فنزع ثوبه

من يده ، فقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء . لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء . وأنا العزيز الكريم . فقتله الله يوم بدر ، وأذله وعيره بكلمته ، ونزل فيه : ﴿ ذقْ إنّك أنت العزيزُ الكريم . ﴾ * وكذا معناه في التفاسير *

سورة الجاثية وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله ...** ﴾ الآية . قال ابن عباس : يريد عمر بن الخطاب خاصة . وأراد بالذين لا يرجون أيام الله عبد الله بن أبي . وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال له المريسيع فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه ، فلما أتاه . قال : ما حسبك ؟ قال : غلام عمر قعد على قف البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي وقرب أبي بكر ، وملأ لمولاه . فقال عبد الله : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : سمن كلبك يأكلك . فبلغ قوله عمر رضي الله عنه ، فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي الخازن : قال ابن عباس : نزلت في عمر بن الخطاب . وذلك أن رجلا من بنى غفار شتمه بمكة ، فهمَّ عمر أن يبطش به . فأنزل الله هذه الآية . وأمره أن يعفو عنه * وقيل : نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة ، كانوا في أذى شديد من المشركين ، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية . ثم نسخها بآية القتال *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفرأيْتَ مَن اتَّخذَ إلٰهَهُ هواهُ وأضلَّهُ الله علَى عِلْمٍ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال : كانت قريش تعبد الحجر حينا من الدهر فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر . فأنزل الله تعالى : ﴿ **أفرأيْتَ مَنِ اتَّخذَ إلٰهَهُ هَواهُ ...** ﴾ الآية * وكذا في الخازن بدون ذكر النزول *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وقَالُوا مَا هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ ونَحْيَا ومٰا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ ...** ﴾ . في اللباب : وأخرج ابن المنذر عن أبي هريرة

قال : كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الدهر : الليل والنهار . فأنزل الله : ﴿ **وقَالُوا مٰا هِىَ إلاَّ حياتُنَا الدنيا نموت ونحيا ومٰا يهلكنا إلاَّ الدهر ...** ﴾ * وكذا فى القرطبي وغايره من التفاسير *

سورة الأحقاف وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مٰا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ومٰا أَدْرِى مٰا يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ مٰا يُوحى إليَّ ...** ﴾ قال الثعلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء ، فقصها على أصحابه ، فاستشيروا بذلك ، ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين ، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك ، فقالوا يا رسول الله : متى نهاجر إلى الأرض التى رأيت ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى ﴿ **وَمٰا أَدْرِى ما يُفْعَلُ بِي ولآ بكُمْ ...** ﴾ يعنى لا أدرى أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامى أولا ، ثم قال : إنما هو شيء رأيته في منامى ما أتبع إلا ما يوحى إلي * وفي القرطبي : ﴿ **وما أَدْرِى مٰا يُفعَلُ بِي ولا بكُمْ** ﴾ يريد يوم القيامة . ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون . وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدرى ما يفعل به ولا بنا ، وأنه لا فضل له علينا ، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعله به . فنزلت : ﴿ **ليغفرلك الله مٰا تقدَّم مِنْ ذنْبِكَ ومٰا تأخّر** ﴾ . فنسخت هذه الآية ، وأرغم الله أنف الكفار . وقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله . لقد بين الله لك ما يفعل بك ، فليت شعرنا ما هو فاعل بنا ، فنزلت ﴿ **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنَينَ والْمُؤْمِنَاتِ جنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ ...** ﴾ الآية . ونزلت : ﴿ **وبَشِّرِ الْمُؤْمنينَ بأنَّ لَهُمْ مِنَ الله فضلاً كبيراً** ﴾ قاله أنس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أرأَيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ الله وكَفَرتُم بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بنى إسرائيلَ علَى مِثْلِهِ ...** ﴾ الآية . في لباب السيوطي : أخرج الطبراني بسند صحيح عن عون بن مالك الأشجعي قال : انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم ، فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ

يا معشر اليهود : أروني اثنى عشر رجلا منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحط عن كل يهودى تحت أديم السماء الغضب الذي حل عليه . فسكتوا ، فما أجاب منهم أحد ، ثم انصرف ، فإذا رجل من خلفه ، فقال : كما أنت يا محمد ، فاقبل ، فقال : أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود . قالوا : والله ما نعلم فينا رجلا كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ، ولا من أبيك قبلك ، ولا من جدك قبل أبيك ، قال : فإني أشهد أنه النبي الذي تجدون في التوراة ، قالوا : كذبت ، ثم ردوا عليه ، وقالوا فيه شراً فأنزل الله ﴿ **قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ الله وكفرتُم به ...** ﴾ الاية * وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال : في عبد الله بن سلام نزلت : ﴿ **وشَهد شاهد من بني إسرائيل على مِثْلِهِ ...** ﴾ وكذا في ابن كثير . وغيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الّذِينَ كفَرُوا لِلّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً مَا سَبَقُونا إليه ...** ﴾ . في اللباب : قال ناس من المشركين نحن أعز . ونحن ونحن ، فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان . فنزل : ﴿ **وقالَ الّذِينَ كفَرُوا ...** ﴾ * وقد سماهم ابن كثير . فقال : يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا رضي الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والإماء ، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية * وفي اللباب أيضا : وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد ، قال : كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله ، يقال لها زنين . فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر ، وكان كفار قريش يقولون : لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زنين . فأنزل الله في شأنها : ﴿ **وقَالَ الّذينَ كفروا لِلّذِينَ آمنُوا لو كانَ خيراً ما سبقُونا إليه ...** ﴾ والحمل على العموم أولى *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **حتّى إذَا بَلغَ أشُدَّهُ وبلغَ أرْبَعِينَ سَنَةَ قال رَبِّ أوْزِعنى أنْ أشكرَ نعمَتكَ التى أنْعَمْتَ عَلَيَّ ...** ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة ، ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة ، وهم يريدون الشام في التجارةفنزلامنزلا فيه سدرة فقعد رسول الله ﷺ ، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين ، فقال له : من الرجل الذي في ظل السدرة ؟ فقال : ذاك محمد بن عبد الله

بن عبد المطلب . قال : هذا والله نبي . وما استظل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم إلا محمد نبي الله ، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق ، وكان لا يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره . فلما نبيء رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، وأبو بكر بن ثمان وثلاثين سنة . أسلم وصدق رسول الله ﷺ . فلما بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ... * وفي الخازنْ : قيل نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص . وقد تقدمت القصة . وقيل : إنها على العموم . قال الخازن : والأصح أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وساق الذي ذكر *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذي قالَ لِوالدَيْهِ أُفٍ لكُمَا أتَعِدانِني أنْ أخْرجَ وقَدْ خلَتِ القرُونُ من قَبْلي** ... ﴾ الآية . في اللباب : نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر ، قال لأبويه . وكانا قد أسلما وأبىَ هو أن يسلم ، فكانا يأمرانه بالاسلام ، فيرد عليهما ويكذبهما ويقول : فأين فلان وأين فلان ؟ يعني مشايخ قريش ممن قد مات ، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه ، فنزل في توبته في هذه الآية : ﴿ **ولكُلٍ درجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَنّهُمْ أعمالهم وهُمْ لا يُظلمون** ﴾ * لكن في البخاري من طريق يوسف بن ماهان . قال : قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر . إن هذا الذي أنزل فيه ﴿ **والّذي قَالَ لِوالدَيْهِ أفٍ لَكُمَا** ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذرى . وأخرج عبد الرزاق من طريق مكى . أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر . وقالت : إنما نزلت في فلان سمت رجلا . قال الحافظ ابن حجر : ونفى عائشة أصح إسنادا وأولى بالقبول * والحق أن الآية لم ترد في شخص معين . بل المراد كل شخص يقول أمثال هذه المقالة فيدعوه أبواه إلى الايمان بالبعث وإلى الدين الصحيح فيأبى وينكر *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَإذْ صَرَفْنَا إليْكَ نفراً مِنَ الْجنّ يستمعُون القرآن** ... ﴾ الآية في اللباب : وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخل فلما سمعوه قالوا : انصتوا وكانوا تسعة ؛ أحدهم : زوبعة . فأنزل الله ﴿ **وإذْ صَرَفنا إلَيْكَ نَفراً مِنَ الجنّ** ... ﴾ إلى قوله : ضلال مبين * وكذا في الجلال وابن كثير وغيرهما *

سورة محمد عليه الصلاة والسلام وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سبيلِ الله أضلَّ أعْمَالَهُمْ** ... ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم عن عباس في الآية . قال : هم أهل مكة نزلت فيهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات . قال : هم الأنصار *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّذينَ قُتِلوا في سبيلِ الله فَلَنْ يُضلَّ أعْمَالَهُمْ** ... ﴾ في الواحدي : ذكر ابن عباس أن هذه الآية نزلت يوم أحد ، ورسول الله ﷺ في الشعب ، وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل ، وقد نادى المشركون يومئذ : اعل هبل . ونادى المسلمون : الله أعلى وأجل ، فقال المشركون : إن لنا العزى ولا عز لكم . فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هيَ أشدُّ قوّةً مِنْ قَريَتِكَ التى أخرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فلاَ ناصِرَ لَهُم** ﴾ في اللباب : وأخرج أبو يعلى عن ان عباس قال : لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال : أنت أحب بلاد الله إليَّ ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج عنك ، فأنزل الله ﴿ **وكأين مِنْ قريةٍ** ... ﴾ الآية . وكذا في الخطيب وابن كثير . وبقية التفاسير *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حتَّى إذا خرجُوا من عِنْدِكَ قالُوا لِلّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ماذا قال آنفا** ... ﴾ الآية . في اللباب كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ فيسمع المؤمنون منه ما يقول ويعونه . ويسمعه المنافقون فلا يعونه ، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين ماذا قال آنفا فنزلت : ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يستمع إليك** ... ﴾ الآية . وفي الخطيب : روى مقاتل أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين ، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد آنفا * أي الساعة الماضية القريبة . وكذا بقية الأقوال *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الّذِينَ آمنُوا أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرسُولَ ولا تبطِلُوا أعمالكم** ... ﴾ في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر

المروزى في كتاب الصلاة عن أبي للعالية قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب ، كما لا ينفع من الشرك عمل . فنزل : ﴿ **أطيعُوا الله وأطيعُوا الرسولَ ولا تبطلُوا أعمالكم** ﴾ فخافوا أي يبطل الذنب العمل * وكذا في ابن كثير والخطيب وغيرهما .

سورة الفتح وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلي آخرها *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنّا فتحنا لَكَ فتحاً مبيناً** ﴾ في الواحدي : حدث قتادة عن أنس قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية ، وقد حيل بيننا وبين نسكنا ، فنحن بين الحزن والكآبة ، أنزل الله عز وجل – : ﴿ **إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحَاً مُبيناً** ﴾ فقال رسول الله ﷺ : لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا وما فيها كلها * وقال عطاء عن ابن عباس : إن اليهود شمتوا بالنبي ﷺ والمسلمين لما أنزل قوله : ﴿ **ومٰا أدْرِى ما يُفعَلُ بِي ولاَ بكُم** ﴾ وقالوا : كيف نتبع رجلا لا يدرى ما يفعل به ، فاشتد ذلك على النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ الله ما تقدم من ذنبك ومٰا تأخّر** ﴾ * وفي اللباب : وأخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال : أنزلت على النبي ﷺ : ﴿ **ليغفر لكَ الله ما تقدَم من ذنبكَ وما تأخّر** ﴾ مرجعه من الحديبية ، فقال النبي ﷺ : لقد أنزلت على آية أحب إلي مما على الأرض ، ثم قرأها عليهم ، فقالوا : هنيئاً لك يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل إلخ ... *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عن المؤمنينَ إذْ يُبايُعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة فَعَلِمَ اللهُ مٰا في قلُوبِهِمْ فَأنْزَلَ السَّكينةَ عَلَيْهِمْ وأثَابَهُمْ فتحاً قريباً** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع قال : بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : البيعة البيعة . نزل روح القدس ، فسرنا إلى رسول الله ﷺ ، وهو تحت الشجرة سمرة فبايعناه ، فأنزل الله ﴿ **لقد رضى الله عن المؤمنين ...** ﴾

الآية . وسبب البيعة مشهور . روى البخاري من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب : كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشر مائة . والمشهور الذي رواه غير واحد أنهم كانو أربع عشر مائة *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّة بَعْدَ أنْ أظْفَرَكم عليهم** ... ﴾ الآية في الواحدي : حدث أحمد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه . فأخذهم أسراء فاستحياهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وهُوَ الّذِي كفّ أيْديَهُمْ عنكم** ... ﴾ الآية . وقال عبد الله مغفل الهوني : كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن ، فبينما نحن كذلك . إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم النبي ﷺ . فأخذ الله تعالى أبصارهم ، وقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ هل جئتم في عهد أحد ؟ وهل جعل لكم أحد أمانا ؟ فقالوا : اللهم ، لا ، فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى : ﴿ **وهُوَ الذِي كفّ أيديَهُم عنكم** ... ﴾ الآية . ونحوه روى أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والنسائي في آخرين عن أنس *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ ونِسَاءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ... ﴾ . في اللباب : وأخرج الطبراني وأبو يعلي عن أبي جمعة : جنبد بن سبع قال : قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافرا ، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً ، وكنا ثلاثة رجال ، وسبع نسوة ، وفينا نزلت : ﴿ **ولَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونْ ونِسَاءٌ مؤمناتٌ** ... ﴾ . وكذا في المراغي وابن كثير وغيرهما *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ الله رسُولَهُ الرُّؤْيَا بالحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنينَ** ... ﴾ الآية . في اللباب : وأخرج الفريابي ، وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال : أرى النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين . فلما نحر الهدى

بالحديبية . قال أصحابه : أين رؤياك يا رسول الله ؟ فنزلت : ﴿ **لقدْ صَدَقَ الله رسُولَهُ الرؤيا بالحق** ... ﴾ وكذا في التفاسير *

سورة الحجرات وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ياأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله ورسُولِهِ ... ﴾ في الواحدي : حدث ابن جرير عن ابن أبي مليكة . أن عبد الله بن الزبير . أخبره . أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول الله ﷺ . فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد . وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي . وقال عمر : ما أردتُ خلافك . فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما . فنزل في ذلك قوله : ﴿ **ياأيها الّذِينَ آمنُوا لاَ تقدمُوا بين يدي الله ورسوله** ... ﴾إلى قوله : ﴿ **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم** ... ﴾ رواه البخاري عن الحسن بن محمد الصباح * وفي اللباب : وأخرج ابن المنذر عن الحسن . أن ناسا ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح ، فأنزل الله : ﴿ **لا تُقَدِّمُوا بين يَدى الله ورسُولِهِ** ... ﴾ * وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي بلفظ : ﴿ **ذبح رجُلٌ قبْلَ الصَّلاةِ** ... ﴾ فنزلت . * وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة : أن ناسا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ فأنزل الله : ﴿ **ياأيها الّذِينَ آمَنُوا لا تقدّمُوا بيْنَ يَديِ الله ورسُولِهِ** ... ﴾ * وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل كذا وكذا في كذا ، فأنزل الله : ﴿ **لا تقدّمُوا بيْنَ يَدَيِ الله ورسُولَهَ** ﴾

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيّهَا الّذِينَ آمنُوا لا تَرفعُو أصْواتكُمْ فَوقَ صَوتِ النّبىَ** ... ﴾ . نزلت في ثابت بن قيس بن شماس . كان في أذنه وقر ، وكان جهورى الصوت ، وكان إذا كلم اناسا جهر بصوته . فربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته . فأنزل الله تعالى هذه الآية * . وفي رواية جعفر بن سليمان الضبعى قال : أخبرنا ثابت عن أنس لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لا تَرفعُوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ . قال ثابت بن قيس : أنا الذي كنت أرفع صوتى فوق صوت النبي ،

وأنا من أهل النار ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « هو في الجنة » رواه مسلم عن قطر بن نسير . وقال ابن أبي مليكلة : كاد الخيران أن يهلكا : أبو بكر وعمر . رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم – وقد تقدم قبل أسطر – فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس ، وأشار الآخر برجل آخر – وقد علمت من هم – فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي ، وقال عمر : ما أردت خلافك ، وارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم** ... ﴾ الآية . وقال ابن الزبير : فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه * وفي رواية أبن عباس : كان أبو بكر يكلم رسول الله كأخي السرار . أي من شدة خفض صوته للنبي ﷺ .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إن الّذِينَ يُنادُونك مِن وراءِ الحجرَاتِ أكْثرُهُمْ لاَ يَعْقِلُون** ... ﴾ هناك روايات كثيرة عن ابن اسحاق في الموضوع . وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمى رضي الله عنه فيما أورده غير واحد . ففى رواية أحمد أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا محمد : يامحمد : وفي رواية يا رسول الله . فلم يجبه ، فقال يا رسول الله : إن حمدي لزين وإن ذمى لشين . فأنزل الله الآية . كذا في ابن كثير . وفي القرطبي : قال مجاهد وغيره : نزلت في أعراب بني تميم ، قدم وفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ، ونادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا ، فإن مدحنا زين وذمنا شين ، وكانوا سبعين رجلا ، قدموا لفداء ذرارى لهم ، وكان النبي ﷺ نام للقائلة * وفيه : وقال مقاتل : كانو تسعة نفر : قيس بن عاصم ، والزبرقان بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وسويد بن هاشم ، وخالد بن مالك ، وعطاء بن حابس والقعقاع بن معبد ووكيع بن وكيع ، وعيينة بن حصن ، وهو الأحمق المطاع * وفي الخازن في رواية ابن عباس : فقدموا وقت الظهيرة ، ووافقوا رسول الله ﷺ قائلا في أهله . فلما رأتهم الذرارى اجهضوا إلى آبائهم يبكون ، وكان لكل امرأة من نساء رسول الله ﷺ حجرة ، فعجلوا أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ فجعلوا ينادون الخ .. وهذا أصح ما ورد فيها *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الّذِينَ آمنُوا إن جَاءَكُمْ فاسِقٌ بنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تصيبُوا قَوماً بجَهَالةٍ فَتصْبِحُوا علَى مَا فَعَلْتُمْ نادِمِين** ﴾ * في ابن كثير : ذكر

كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حيث بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بنى المصطلق قال : وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الامام أحمد في مسنده من رواية ملك بنى المصطلق . وهو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار ، والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها . قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن أبي سابق ، حدثنا عيسى بن دينار حدثني أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعى رضي الله عنه يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعانى إلى الاسلام ، فدخلت فيه وأقررت به ، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت يا رسول الله : أرجع إليهم فأدعوهم إلى الاسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لي دفعت زكاته ، وترسل إلي يا رسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة ، فلما جمع الحارث الزكاة استجاب له ، وبلغ الابان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه ، احتبس عليه الرسول ولم يأته ، وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطه من الله تعالى ورسوله ، فدعا سروات قومه ، فقال لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان قد وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه ، فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ . وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة ، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق . أي خاف ، فرجع حتى أتي رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : إن الحارث قد منعني الزكاة ، وأراد قتلى ، فغضب رسول الله ﷺ ، وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه ، وأقبل الحارث بأصحابه حتى استقبل البعث ، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا : هذا الحارث ، فلما غشيهم ، قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا : إليك ، قال : ولم ؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم أنك منعته الزكاة ، وأردت قتله ، قال رضي الله عنه : لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة ، ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال : « منعت الزكاة وأردت قتل رسولي » ؟ قال : لا ، والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ خشية أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله : قال : فنزلت الحجرات : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن جاءَكُمْ فَاسِقٌ بنبأ ...** ﴾ إلى قوله حكيم * وكذا في الواحدي في بعض رواياته *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإن طائِفَتان مِنَ المُؤمِنِينَ اقتتلُوا فأصلحُوا بينهما** ... ﴾ في الواحدي : حدث اسحاق بن اسرائيل عن معتمر بن سليمان قال : سمعت أبي يحدث عن أنس قال : يا نبي الله : لو أتيت عبد الله بن أبي ، فانطلق إليه النبي ﷺ . قال : إليك عني . فوالله لقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار : لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب لكل واحد منهما أصحابه ، وكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فبلغنا أنه أنزلت فيهم - ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقْتتلُوا** ... ﴾ الآية رواه البخاري عن مسدد ، ورواه مسلم عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر * وفي اللباب : وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن السدى قال : كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحبه امرأة يقال لها أم زيد . وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها ، فحبسها زوجها ، وجعلها في علية له ، وأن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها ، وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله ، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها ، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية : ﴿ **وإن طَائِفتان من المؤمنين اقتتلُوا** ... ﴾ * وأخرج عن قتادة قال : ذكر لنا أن هذه الآية : نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما ، فقال أحدهما للآخر : لآخذن عنوة . لكثرة عشيرته . وإن الآخر دعاه إلى النبي ﷺ فأبي فلم يزل الأمر حتى تدافعوا ، وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال ، ولم يكن قتال بالسيوف * والأول أصح ، وأصح منه القول بالعموم . للقاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الذِينَ آمنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْم عَسىٰ أن يَكُونُوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نِساءٍ عَسى أن يَكنّ خيْراً منهنّ** ... ﴾ . لنزول هذه الآية سببان : الأول : ﴿ **يا أَيُّها الّذينَ آمنُوا لا يَسْخَر قوم من قومٍ** ... ﴾ نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس ، وذلك أنه كان في أذنه وقر فكان إذا أتي رسول الله ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول . فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم ، فجعل يتخطى رقاب الناس . ويقول : تفسحوا تفسحوا . فقال له رجل : قد أصبت مجلسا فاجلس ، فجلس ثابت مغضبا ، فغمز الرجل فقال من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال ثابت : ابن فلانة . وذكر أما كانت له يعير بها في الجاهلية . فنكس

الرجل رأسه استحياء * فأنزل الله تعالى هذه الآية : والثاني : نزلت في امرأتين من أزواج النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة ، وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية ، وهي ثوب أبيض ، وسدلت طرفها خلفها ، فكانت تجره ، فقالت عائشة لحفصة انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب ، فهذا كان سخريتهما * وقال انس : نزلت في نساء النبي ﷺ : عيرن أم سلمة بالقصر * وقال عكرمة عن ابن عباس : إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت : إن النساء يعيرننى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين ، فقال رسول الله ﷺ : هلا قلت : إن أبي هارون وإن عمي موسى ، وإن زوجي محمد . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولاَ تنابزُوا بالألْقَابِ** ﴾ * في الواحدي : حدث الشعبي عن أبي جبيرة عن الضحاك عن أبيه وعمومته قالوا : قدم علينا النبي ﷺ ، فجعل الرجل يدعو للرجل ينبزه ، فيقال يا رسول الله إنه يكرهه فنزلت : ﴿ **ولا تنابَزُوا بالألقاب** .. ﴾ وفي اللباب : أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبير بن الضحاك قال : كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أي يكره فنزلت : ﴿ **ولا تنابَزُوا بالألقاب** ... ﴾ وكذا في المراغى والخازن . قال الترمذي حديث حسن . وفي ابن كثير : ورواه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن وهيب عن داود به *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً** ﴾ * في لباب السيوطي : أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي ، أكل ، ثم رقد فنفخ ، فذكر رجل أكله ورقاده . فنزلت . ولم أجد غيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى** ... ﴾ الآية : في الواحدي : قال ابن عباس : نزلت في ثابت بن قيس . وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة . فقال رسول الله ﷺ : من الذاكر فلانة ؟ فقام ثابت ، فقال : أنا يا رسول الله . فقال : انظر في وجوه القوم ، فنظر فقال : ما رأيت ياثابت ؟ فقال : رأيت أبيض وأحمر وأسود . قال : فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفيه . وقال مقاتل : لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالا حتى أذن على ظهر الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد بن أبي

العيص : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم . وقال الحارث بن هشام : أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟ وقال سهيل بن عمرو : إن يرد الله شيئاً يغيره * وقال أبو سفيان : إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء . فأتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ . وأخبره بما قالوا . فدعاهم وسألهم عما قالوا : فأقروا . فأنزل الله تعالى هذه الآية : وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال . والازدراء بالفقراء . وللواحدي أقوال غير ما ذكر . وفي اللباب : نزلت في أبي هند . أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم ، فقالوا يا رسول الله : نزوج بناتنا موالينا . فنزلت الآية . وما ذكر في الخازن والقرطبي وغيرهما *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَولُوا أسْلَمْنَا ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمٰانُ في قُلوبِكم** ... ﴾ . في الواحدي : نزلت في أعراب من بني أسد ابن خزيمة . قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبة ، وأظهروا الشاهدتين ، ولم يكونوا مؤمنين في السر . وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ : أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية إلى قوله : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيكَ أنْ أسْلَمُوا** ... ﴾ وكذا في الخازن . وفي ابن كثير : عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله : أسلمنا وقاتلتك العرب ، ولم نقاتلك ، فقال رسول الله ﷺ : إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم ، ونزلت هذه الآية : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا** ... ﴾ الآية *

سورة قٓ وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولقد خَلَقْنَا السَّمٰوٰاتِ والأرْضَ وما بيْنَهُما في سِتَّةِ أيَّامٍ وما مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ** ﴾ * في الواحدي : حدث أبو بكر ابن عياش عن أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس : أن اليهود أتت النبي ﷺ ، فسألت عن خلق السمٰوات والأرض ، فقال : خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال

يوم الثلاثاء ، وخلق السموات يوم الأربعاء والخميس ، وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر . قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو تممت ثم استراح ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، فنزلت – ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسَّنا مِنْ لُغُوبٍ . فاصبِرْ علىَ ما يقُولُون ...** ﴾ ونحوه في ابن كثير عن قتادة ، وهو قول المفسرين كما في

سورة الذاريات وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وفَي أمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ والْمَحْرومِ** ﴾ . في لباب السيوطي : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا عيرا فجاء قوم بعد ما فرغوا فنزلت : ﴿ **وفي أمواهم حقٌّ لِلسائل والمحروم** ﴾ ولم يوجد غيره .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تنْفَعُ الْمُؤْمنين** ﴾ في اللباب : أخرج ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال : لما نزلت ﴿ **فَتولَّ عنهم فَمَا أنتَ بملوم** ﴾ ولم يبق منا أحد إلا أيقن بالحكمة إذا أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا فنزلت : ﴿ **وذكرْ فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ فطابت أنفسنا * وكذا في الخازن وهو قول المفسرين * وعبارتهم . لما نزلت هذه الآية – ﴿ **فتولّ عَنْهُمْ ...** ﴾ حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه ، وظنوا أن الوحي قد انقطع ، وأن العذاب قد حضر . إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم فأنزل الله ﴿ **وذكر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ فطابت نفوسهم بذلك *

سورة الطور وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أمْ يقولُون شاعِرٌ نَترَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ** ﴾ * في اللباب : أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ . قال قائل منهم : احبسوه في وثاق . ثم تربصوا به المنون حتى

يهلك كما هلك من قبل من الشعراء : زهير والنابغة ، فإنما هو كأحدهم فأنزل الله في ذلك ﴿ **أم يقولون شاعر نتربّصُ به رَيْبَ المنون** ﴾ *

سورة النّجم وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **هُوَ أعْلَمُ بِكُمْ إذْ أنْشَأكَم مِنَ الْأرْض** ﴾ الآية . حدث الحارث بن زيد عن ثابت بن الحارث الأنصاري . قال : كانت اليهود تقول : إذ اهلك لهم صبى صغير : هو صديق . فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقى أو سعيد ، فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية ﴿ **هُوَ أعْلَمُ بِكُمْ إذْ أنْشَأَكُمْ من الْأرْضِ وإذْ أنْتُمْ أجِنَّةٌ فِي بطونِ أمهاتِكم ...** ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفرأيتَ الّذِي تولّى وأعْطَى قليلاً وأكْدَى ...** ﴾ إلى آخر الآيات . في الواحدي : قال ابن عباس والسدى والكلبي والمسيب بن شريك : نزلت في عثمان بن عفان ، كان يتصدق وينفق بالخير . فقال له أخوه من الرضاعة : عبد الله بن أبي سرح : ما هذا الذي تصنع ؟! يوشك ألا يبقى لك شيء فقال عثمان : إن لي ذنوباً وخطايا ، وإني أطلب بما أصنع رضا الله سبحانه وتعالى ، وأرجوا عفوه ، فقال له عبد الله : أعطني ناقتك برحلها وأنا أحمل عنك ذنوبك كلها ، فأعطاه ، وأشهد عليه ، وأمسك على بعض ما كان يصنع من الصدقة فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **أفرأيْتَ الّذِي تولّى ...** ﴾ إلى قوله : « يجزاه الجزاء الأوفى » . فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله * وقال مجاهد نزلت في الوليد بن المغيرة ، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه ، فعيره بعض المشركين ، وقال : لم تركت دين الأشياخ ، وضللتهم وزعمت أنهم في النار ؟ قال : إني خشيت عذاب الله . فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى ، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان له ، ثم بخل ومنعه فأنزل الله تعالى هذه الآية * وبقية الأقوال نحو ما ذكر *

سورة القمر وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَت السَّاعةُ وانْشَقَّ الْقَمْرُ ﴾ . في الواحدي : قال عبد الله بن مسعود : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ . فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة سحركم . فاسألوه السفار . فسألوهم فقالوا : نعم ، قد رأينا ، فأنزل الله عز وجل : **﴿ اقتربتِ السَّاعةُ وانْشَقَّ القمر . وإن يَروْا آية يعرضُوا ويقُولُوا سِحر مستمر ﴾** وأخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال : رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ ، فقالوا : سَحر القمر . فنزلت **﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾** *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : **﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ويُولُّونَ الدُّبرَ ﴾** في اللباب : وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : قالوا يوم بدر : نحن جمع فننتصر . فنزلت : **﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُّونَ الدُّبُرَ ﴾** *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : **﴿ إنَّ الْمُجرمينَ في ضلالٍ وَسُعُرٍ ﴾** إلى قوله : **﴿ إنّاَ كل شيء خلقناهُ بِقَدرٍ ﴾** قال أبو هريرة : جاءت قريش يختصمون في

٥ــ ٢٠

القدر فأنزل الله تعالى – **﴿ إنّ المجرمين في ضلالٍ وسُعر ... ﴾**رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان . وقال عطاء : جاء أسقف نجران إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد : تزعم أن المعاصي بقدر ، والبحار بقدر ، والسماء بقدر ، وهذه الأمور تجرى بقدر ، فأما المعاصى فلا . فقال رسول الله ﷺ : أنتما خصماء الله . فأنزل الله تعالى :**﴿ إنّ المجرمين في ضلال وسُعُر ﴾** . إلى قوله : **﴿ إن كُلّ شيء خلقناهُ بقدر ﴾** *

سورة الرحمن وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ * في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ . في كتاب العظمة عن عطاء . أن أبا بكر الصديق . ذكر ذات يوم القيامة والموازين والجنة والنار ، فقال : وددت أني كنت خضرا من هذه الخضر تأتي على بهيمة تأكلني ، وإني لم أخلق فنزلت : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ * . وهناك روايات تدل على أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وهي عامة في كل من يخاف قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته *

سورة الواقعة وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فلا أقسِمُ بِمَواقِعِ النُّجومِ** ... ﴾ . أخرج مسلم عن ابن عباس قال : أمطر الناس على عهد رسول الله ﷺ – فقال رسول الله ﷺ : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر . قالوا : هذه رحمة وضعها الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نؤ كذا . فنزلت هذه الآيات : ﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بِمواقع النجوم** ﴾ . حتى بلغ : ﴿ **وتَجعَلُون رزقكُم أنكم تكذبون** ﴾ .

سورة الحديد وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لا يستوى منكُمْ منْ أنفق منْ قبْلِ الْفَتْح** ... ﴾ * في الواحدي : قال ابن عمر بينما النبي ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلها على صدره بخلال إذ نزل عليه جبريل عليه السلام . فأقرأه من الله السلام . وقال يا محمد : مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها على صدره بخلال ، فال يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح علي . قال : فأقرئه من الله سبحانه وتعالى السلام ، وقل له : يقول لك ربك : أراض أنت في مقرك هذا أم ساخط ؟ فالتفت النبي

ﷺ إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر : هذا جبريل يقرئك مِن الله سبحانه السلام ، ويقول لك ربك : أراضٍ أنت في مقرك هذا أم ساخط ؟ فبكى أبو بكر ، وقال : على ربي أغضب ؟ أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ * ولم أجد غيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يأنِ لِلَّذِينَ آمنُوا أن تخشعَ قلوبُهم لِذَكْرِ الله ...** ﴾ . في الواحدي : قال الكلبي ومقاتل : نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة ، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا : حدثنا عما في التوراة ، فإن فيها العجائب . فنزلت هذه الآية * وقال غيرهما نزلت في المؤمنين * وفي اللباب : أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز عن ابن رواد ، عن أصحاب النبي ﷺ : ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت : ﴿ **أَلَمْ يأنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تخشع قُلُوبُهُمْ لِذكر الله ...** ﴾ وفي المراغي : روى ابن مسعود أنه قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد أن كانوا في جهد جهيد ، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه ، فعوتبوا فنزلت * وفيه : وعن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن : فقال : ﴿ **أَلَمْ يأنِ لِلَّذِينَ آمنُوا ...** ﴾ الآية أي ألم يأت وقته ؟

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا اتّقوا الله وامِنُوا بِرَسُولِهِ يؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ...** ﴾ * في لباب السيوطي : وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : لما نزلت : ﴿ **أولئك يؤتون أَجْرَهُمْ مرتَيْن بما صَبَروا ...** ﴾ الآية . ففخر مؤمنوا أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ . فقالوا : لنا أجران ولكم أجر ، فاشتد ذلك على الصحابة ، فأنزل الله ﴿ **يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتقُوا الله ...** ﴾ الآية * . ولم أجد غيره وهو في المراغي بحرفه ولفظه .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لئلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكتاب ألاَّ يقدِرُونَ على شيء ...** ﴾ . الآية . في اللباب : وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : بلغنا أنه لما نزلت : ﴿ **يُؤْتِكُم كفلَيْن مِنْ رحمته ...** ﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها ، فأنزل الله : ﴿ **لئلا يَعْلَمَ أهل الكتاب ...** ﴾ الآية . وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال : قالت اليهود : يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل . فلما خرج من العرب كفروا . فأنزل الله : ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب ...** ﴾ يعنى بالفضل والنبوة * ونحوه في الخازن *

سورة المجادلة وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وتشتكى إلى الله** ... ﴾ الآيات : في الواحدي : حدث عروة عن عائشة قالت : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء . إني لأسمع فكلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفي علي بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ ، وهي تقول يا رسول الله : أبلى شبابي ، ونثرت له بطني ، حتى إذ كبر سني ، وانقطع ولدى ظاهر مني : اللهم إني أشكو إليك. قال : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات ﴿ **قد سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتي تجادِلُكَ في زوجها وتشتكى إلى الله** ... ﴾ الآية . وقصتها في القرطبي والخازن بطولها فمن أحب الاطلاع عليها فليرجع إلى أحدهما *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ألم تَرَ إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجوىَ ثمَّ يَعُودُونَ لما نُهوا عنه** ... ﴾ في الآية . في الواحدي : قال ابن عباس ومجاهد : نزلت في اليهود والمنافقين ، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين ، ويتغامزون بأعينهم ، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا : ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السريا قتل أو موت ، أو مصيبة أو هزيمة ، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم ، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم . فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ ، فأمرهم أن يتناجوا دون المسلمين ، فلم ينتهوا عن ذلك ، وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآيات * وفي اللباب : وأخرج أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال : كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة ، فكانوا إذا مر بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله ، أو ربما يكرههه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا فأنزل الله : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الدين نُهو عن النجوى** ... ﴾ وهكذا بقية الأقوال في التفاسير مع اختلاف أحيانا في التعبير *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإِذَا جَاؤُك حيّوْك بِمَا لَمْ يُحَيكَ به الله** ... ﴾ الآية . في الواحدي : حدث مسروق عن عائشة قالت : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : السَّام عليك يا أبا القاسم – يعنون الموت – فقلت : السام

عليكم . وفعل الله بكم فقال رسول الله ﷺ : مه يا عائشة فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ، فقلت يا رسول الله : ألست تدرى ما يقولون ؟ قال : ألست ترين أرد عليهم ما يقولون . أقول وعليكم ، ونزلت هذه الآية في ذلك . ﴿ **وإذا جاؤك حيُّوك بما لَمْ يحيّك به الله** ... ﴾ الآية . وهكذا بقية الأقوال *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذِينَ آمَنوا إذا قيلَ لكُمْ تَفسَّحُوا في الْمجَالِس** ... ﴾ الآية في اللباب والمراغي والكرخي والخازن ... * أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال : كان رسول الله ﷺ يوم جمعة في الصفة . وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار . فجاء ناس منهم ثابت بن قيس ، وقد سبقوا إلى المجالس ، فقاموا حيال رسول الله ﷺ ، فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فرد النبي ﷺ ، ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ ، فقال لبعض من حوله : قم يا فلان ، قم يا فلان ، فأقام نفراً بمقدار من قدم ، فشق ذلك عليهم ، وعرفت كراهيته في وجوههم ، وطعن المنافقون وقالوا : والله ما عدل على هؤلاء ، إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القربى منه أقامهم وأجلس من أبطأ عنه فنزلت الآية «

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا إذا ناجيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بين يَدَيْ نجواكُمْ صدقةً** ... ﴾ الآية : في الواحدي : قال مقاتل بن حبان : نزلت الآية في الأغنياء ، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ، ويغلبون الفقراء على المجالس حتى مل رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، وأمر بالصدقة عند المناجاة ، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا وأما أهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ ، فنزلت الرخصة . وقال على ابن أبي طالب رضي الله عنه : إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيْتُم الرَّسُولَ** ... ﴾ كان لي دينار فبعته ، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفذ ، فنسخت بالآية الأخرى : ﴿ **أأشفقْتُم أن تقدّمُوا بيْنَ يَدَىْ نجواكُم صَدَقَاتٍ فإذْ لم تفعلُوا وتاب الله عليكم فأقيمُوا الصلاة** ... ﴾ وفي اللباب : وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال : إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد

الله أن يخفف عن نبيه فأنزل ﴿ **إذا ناجيتم الرَّسُول فَقَدِّمُوا بيْنَ يَدَىْ نجْواكم صدقة** ... ﴾ الآية . وهناك أحاديث كثيرة في الموضوع منها الصحيحة والحسنة . وأكتفى بما ذكرت ففيه الكفاية في الفهم والدراية *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الّلذينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيهِمْ** ... ﴾ الآيات : إلى قوله : ﴿ **ويَحْسَبُونَ أنهُمْ علَى شئء إلاَ إنَّهُمْ هُمْ الكاذبُون** ﴾ في الواحدي : قال السدى ومقاتل : نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ، ثم يرفع حديثه إلى اليهود ، فبينما رسول الله ﷺ في جحره إذ قال : يدخل الآن عليكم رجل قلبه قلب جبار ، وينظر بعين شيطان ، فدخل عبد الله بن نبتل ، وكان أزرق ، فقال له رسول الله ﷺ : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله ما فعل ذلك . فقال النبي ﷺ : فعلت ، فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وكذا في الخازن ، وفي رواية ابن عباس : فقال رسول الله ﷺ : علام تشتمني أنت وفلان وفلان . نفر دعا بأسمائهم ، فانطلق الرجل فدعاهم ، فحلفوا بالله واعتذروا إليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفُون لَهُ كما يحلفُون لكم ويحسبُون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون** ﴾ * رواه الحاكم في صحيحه عن الأصم عن أبي عفان عن عمرو العنصرى عن إسرائل ، عن سماك *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُون بالله والْيَوْمَ الْآخرِ يُوادُّون مَنْ حَادَّ الله ورسُوله** ... ﴾ * في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال : نزلت هذه الآية في ابي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر : ﴿ **لا تَّجِدُ قوماً** ... ﴾ الآية . وفي الواحدي : وروى عن ابن مسعود أنه قال : نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجرَاح يوم أحد . وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز ، فقال يا رسول الله : دعنى أكن في الرعلة الأولى . فقال رسول الله ﷺ : متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري . وفي مصعب بن عمير ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ، وفي عمر قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم بدر ، وفي عليْ وحمزة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر ، وذلك قوله : ﴿ **ولو كانُوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ *

سورة الحشر وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ... ﴾ الآية في الواحدي : قال المفسرون : نزلت الآية في بني النضير ، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة صالح بنو النضير على أن لا يقاتلوه ، ولا يقاتلوا معه ، وقبل رسول الله ﷺ منهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا وظهر على المشركين . قالت بنو النضير : والله إنه لنبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية ، فلما غزا أحد وهزم المسلمون نقضوا العهد ، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين ، فحاصرهم رسول الله ﷺ ، ثم صالحهم عن الجلاء من المدينة ، وهناك روايات كثيرة في كتب التفسير والسير . أكتفى بما ذكرت للاختصار .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ** ... ﴾ الآية * لما نزل بنو النضير ، وتحصنوا في حصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فجزع أعداء الله عند ذلك ، وقالوا : زعمت يا محمد أنك تريد الصلاح ، أفمن الصلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي ﷺ ، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، وخشوا أن يكون ذلك فسادا في ذلك ، فقال بعضهم : لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم : بل اقطعوا فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **ما قطعتُم من لِينةٍ أو تركتُموهَا قائمة علَى أصُولِها فبإذْن الله** ... ﴾ تصديقاً لمن نهى عن قطعه ، وتحليلا لمن قطعه ، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله * وفي رواية للشيخين عن قتيبة أن رسول الله ﷺ حرق نخل النضير وقطع ، وهي البويرة ، فأنزل الله - ﴿ **ما قَطَعْتُم مِنْ لِينَةٍ أو تركْتُموها** ... ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ... ﴾ الآية . في الواحدي : روى جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم أن الأنصار قالوا يا رسول الله : اقسم الثمرة بيننا وبين إخواننا من المهاجرين والأرض

نصفين . قال : ولكنهم يكفونكم المؤونة . وتقاسمونهم الثمرة ، والأرض أرضكم . قالوا : رضينا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **والذين تبوَّؤا الدّار والإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يحبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إليهم** ... ﴾ الآية .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ويُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ ولَوْ كانَ بِهِمْ خصَاصة** ... ﴾ * في الواحدي : حدث فضيل بن غزوان بن أبي حازم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دفع إلى رجل من الأنصار رجلا من أهل الصفة ، فذهب به الأنصاري إلى أهله . فقال للمرأة : هل من شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت الصيبية . قال : فنوميهم ، فإذا ناموا فأتيني ، فإذا وضعت فاطفيء السراج . قال : ففعلت ، وجعل الأنصاري يقدم إلى ضيفه ما بين يديه ، ثم غدا به إلى رسول الله ﷺ . فقال : لقد عجب من فعالكما أهل السماء . ونزلت : ﴿ **ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ولَو كانَ بِهِمْ خصَاصة** ... ﴾ رواه البخاري عن مسدد عن عبد الله بن داود . ورواه مسلم عن أبي كريب عن وكيع ، فكلاهما عن فضيل بن غزوان . وفي رواية عبد الله بن الوليد عن محارب بن دثار ، عن عبد الله بن عمر قال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال : إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا ، فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أهل أبيات حتى رجعت إلى أولئك قال : فنزلت : ﴿ **ويؤثرون علَى أَنْفُسِهِمْ** ... ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإخوانِهِمْ الّذِينَ كَفَرُوا** ... ﴾ الآية : في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى قال : أسلم ناس من أهل قريظة ، وكان فيهم منافقون ، وكانوا يقولون لأهل النضير : لئن أخرجتم لنخرجن معكم .. فنزلت الآية فيهم *

سورة الممتحنة وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتخِذُوا عَدُوِّى وعَدُوَّكم أولياء** ... ﴾ . الآية . قال جماعة من المفسرين : نزلت في حاطب بن بلتعة ، وذلك أن سارة مولاة بن أبي صهيب بن هشام بن عبد مناف . أتت رسول الله ﷺ من

مكة إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة ، فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا ، قال : فما جاء بك ؟ قالت : أنتم الأهل والعشيرة والموالي ، وقد احتجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني . قال لها : فأين أنت من شباب أهل مكة ؟ وكانت مغنيةً . قالت : ما طلب مني شيء بعد وقعت بدر . فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها . فأتاها حاطب بن أبي بلتعة ، وكتب معها إلى أهل مكة ، وأعطاها عشرة دنانير على أن توصله لأهل مكة ، وكتب في الكتاب : من حاطب إلى أهل مكة . إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم ، فخرجت سارة . ونزل جبريل عليه السلام . فأخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود ، وأبو مرثد ، وكانوا كلهم فرسانا ، وقال لهم : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن فيها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فإن لم تدفعه فاضربوا عنقها ، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان ، فقالو لها : أين الكتاب ؟ فحلفت بالله ما معها كتاب ، ففتشوا متاعها ، فلم يجدوا معها كتاباً ، فهموا بالرجوع ، فقال علي : والله ما كذبنا ولا كذبنا رسول الله ، وسل سيفه ، وقال : اخرجي الكتاب وإلا والله لأجزرنك ولأضربن عنقك . فلما رأت الجد أخرجته من زؤابتها قد خبأته في شعرها . فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ . فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه . فقال : هل تعرف الكتاب ؟ قال : نعم ، قال : فما حملك على

ما صنعت ؟ فقال يا رسول الله : والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتُك ، ولا أجبتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشريته ، وكنت غريباً فيهم ، وكان أهلي بين ظهرانيهم ، فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً ، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه ، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله ﷺ وعذره . فنزلت هذه السورة : ﴿ **يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ... ﴾ ..فقام عمر بن الخطاب فقال : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . رواه البخاري ومسلم بألفاظ تقارب هذه الرواية * وكذا في القرطبي والخازن بحرفه ولفظه *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قَدْ كانتْ لكُمْ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ في ابْرَاهيمَ والَّذينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لِقَومِهِمْ إنّا بُرَآؤا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُون مِنْ دُون الله ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **مودّة** ﴾ قال الواحدي : لما نزلت هذه الآية عاد المؤمنون أقرباءهم المشركين في الله وأظهروا لهم العداوة والبراءة ، وعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك ، فأنزل الله- ﴿ **عَسَى الله أنْ يَجْعَلَ بيْنكمْ وبيْنَ الّذينَ عاديْتُم مِنهُمْ مودّة ...** ﴾ ثم فعل ذلك بأن أسلم كثير منهم ، وصاروا لهم أولياء وإخوانا ، وخالطوهم ، وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، فلان لهم أبو سفيان ، وبلغه ذلك الفحل لا يقرع أنفه *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لاَ يَنْهَاكُمْ الله عَن الّذينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِيَ الدِّين ولَمْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إليهم ...** ﴾ * في الواحدي : روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا وضباب وسمن وأقط ، فلم تقبل هداياها ولم تدخلها منزلها ، فسألت لها عائشة النبي ﷺ عن ذلك ، فقال : ﴿ **لا يَنْهاكُمْ الله عَنِ الّذينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ في الدّين ولَمْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أنْ تبرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إليهم إنَّ الله يُحبُّ المقسطينَ** ﴾ * فأذن في برهم حكاه المفسرون . وهل هى منسوخة أو محكمة ؟ قال أكثر أهل التأويل : هي محكمة واحتجوا بما ذكر ، أن أسماء بنت أبي بكر الصديق سألت النبي ﷺ هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة . قال : نعم ، خرجه البخاري ومسلم * وكذا في اللباب . والقرطبي *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا إذاجَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهاجراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ الله أعْلَمُ بإيمْانِهِنّ ...** ﴾ الآية . في الواحدي : قال ابن عباس : إن مشركي مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ، ومن أتى من أهل مكة من أصحابه فهو لهم . وكتبوا بذلك الكتاب وختموه ، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية ، فأقبل زوجها وكان كافراً ، فقال يا محمد : رد علي امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا ، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد . فأنزل الله تعالى هذه الآية . وهكذا فحوى الأقوال في التفاسير وهو بلفظه وحرفه في الخطيب . وفي البيضاوى :

فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت ، فأعطى زوجها ما أنفق ، وتزوجها عمر بن الخطاب *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولَا تُمْسكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ** ﴾ . في اللباب : وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أسلم عمر بن الخطاب ، فتأخرت امرأته في المشركين ، فأنزل الله : ﴿ **ولاَ تُمْسِكُوا بِعِصِمِ الكَوافِرِ** ﴾ * أي زوجاتكم لقطع إسلامكم لها هذا إذا كانت مشركة تعبد الأصنام .. أما إذا كانت كتابية لا ينقطع نكاحها *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قوماً غَضِبَ اللهُ عَلَيهِمْ قد يئسُوا مِنَ الآخرة كما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحْابِ القُبُور** ﴾ * في اللباب : وأخرج ابن المنذر عن طريق ابن اسحاق عن محمد عن عكرمة ، وأبو سعيد عن ابن عباس قال : كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يودون رجالا من اليهود ، فأنزل الله : ﴿ **يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لاَ تَتولَّوْا قَوْماً غضِبَ الله عَلَيْهِمْ** ... ﴾ * وفي الكرخى سبب نزولها . أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود بأخبار المسلمين ليصيبوا من ثمارهم * وكذا في الخازن *

سورة الصف وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **سَبَّحَ للهِ ما في السَّمٰوات وما في الأرْضِ وهُوَ الْعَزِيزُ الحكيمُ** ﴾ * . في الواحدي : عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفر من أصحاب النبي ﷺ ، وقلنا : لو نعلم أي أحب إلى الله تبارك وتعالى عملناه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **سَبَّحَ للهِ مَا في السَّمٰوات وما في الأَرْضِ وهُوَ العَزِيزُ الحكيمُ** ﴾ إلى قوله — ﴿ **إنّ الله يُحبُّ الّذِينَ يُقَاتِلُونَ في سبيلِهِ صفّاً** ﴾ — إلى آخر السورة . فقرأها علينا رسول الله ﷺ . وفي الخازن : قال المفسرون : لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه ، ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إنَّ الله يُحبُّ الّذِينَ يقاتِلُوْنَ في سبيلِهِ صفاً** ﴾ وأنزل : ﴿ **هَلْ أدُلُّكُمْ على تجارة** ... ﴾ الآية فاختبرو بذلك

يوم أحد فولوا مدبرين . وكرهوا الموت ، وأحبوا الحياة فأنزل الله تعالى : ﴿ **لِمَ تقُولُونَ ما لاَ تفعَلُون** ﴾ ونحوه في القرطبي * وهي في اللباب *

سورة الجمعة وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذَا رأوْا تِجَارَةْ أوْ لَهْوا انْفضُّوا إليْهَا وَتَرَكُوك قائِماً ...** ﴾ في الواحدي : روى حصين بن عبد الرحمن عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذا أقبلت عير قدمت ، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا فأنزل الله تبارك وتعالى :

﴿ **وإذا رأوْا تجارة ...** ﴾ الآية رواه البخاري عن حفص بن عمر عن خالد بن عبد الله عن حصين * وقال المفسرون : أصاب أهل المدينة أصحاب الضرار جوع وغلاء سعر ، فقدم دحية بن خليفة الكلبي في تجارة من الشام ، وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدومه ، ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فخرج إليه الناس فلم يبق في المسجد إلا إثنا عشر رجلا منهم أبو بكر وعمر ، فنزلت الآية . فقال النبي ﷺ : والذي نفسى بيده لو تتابعتم حتى لم يبق أحد منكم لسال بكم الوادى ناراً . رواه البخاري في كتاب الجمعة عن معاوية بن عمر ، وعن زائدة كلاهما عن حصين . وفي اللباب : وأخرج ابن جرير قال : كان الجوارى إذا نكحو كانوا يمرون بالكير والمزامير ، ويتركون النبي ﷺ . قائما على المنبر ، وينفضون إليها فنزلت : قال السيوطي : وكأنها نزلت في الأمرين معاً ، وقال : ثم رأيت ابن المنذر أخرجه عن جابر لقصة النكاح ، وقدوم العير معاً من طريق واحد . وأنها نزلت في الأمرين *

سورة المنافِقُون وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أهل التفسير والسير غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق، فنزل على ماء من مياههم يقال له الْمُرَيْسيع ، فوردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير من بني

غفار يقال له.جهجاه بن سعيد يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان الجهنى حليف بن العوف من الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار : وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فلما أن جاء عبد الله بن أبي قال ابنه : وراءك . قال : مالك ويلك . قال : لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ ما صنع ابنه ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ . فدخل ونزلت هذه وبان كذبه . قيل له : يا أبا حباب إنه قد نزلت فيك آى شداد ، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك ، فلوى رأسه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا قيلَ لَهُمْ تعالُوا يَسْتَغفر لكُمْ رسولُ الله لَوَّوْا رؤسهم ...** ﴾ الآية * . وفي القرطبي روى زيد بن أرقم قال : كنت مع عمي ، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكر ذلك عمى لرسول الله ﷺ ، فأرسل رسولاً إلى عبد الله بن أبي وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني ، فأصابني هم لم يصبني مثله . فجلست في بيتى فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إذا جَاءَكَ المنافِقُون قالوا نشهَدُ إنك رسول الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **هُمْ الّذِينَ يَقُولُون لا تُنفِقُوا علَى مَنْ عِنْدَ رسولَ الله حتّى ينفضُّوا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ليخرجنّ الأعزّ منها الأذَلّ** ﴾ . فأرسل إلي رسول الله ﷺ ، ثم قال : إن الله قد صدقك . خرجه الترمذي . وقال : حديث حسن صحيح *

سورة التغابن وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الّذِينَ آمَنوُا إنَّ مِنْ أزواجِكُمْ وأولادِكُمْ عدّواً لكُمْ ...** ﴾ الآية . في الواحدي : قال ابن عباس : كان الرجل يسلم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده . وقالوا :ننشدك الله أن تذهب فتدع أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال ، فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وفي الخازن عن ابن عباس أن رجالا أسلموا من أهل مكة ، وأرادوا أن يهاجروا إلى النبي ﷺ فمنعهم أزواجهم وأولادهم . وقالوا لهم . صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة * وفيه . وقال عطاء بن

يسار : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد . فأراد أن يغزو . فبكوا إليه ورفقوه ، وقالوا له إلى من تدعنا فرق عليهم وأقام عن الغزو *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإنْ تُعفُوا وَتَصفحُوا فإنَّ الله غَفُورٌ رحيمٌ** ﴾ * في الواحدي : قال عكرمة عن ابن عباس : وهؤلاء الذين منعهم أهلهم عن الهجرة لما هاجروا . ورأوا الناس قد فقهوا في الدين . هموا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإن تعفُوا وتصفْحُوا** ... ﴾ الآية . أي يعاقبوا أهليهم بترك الانفاق عليهم *

سورة الطلاق وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها النبيُّ إذَا طَلَّقتُمْ النسَاءَ فطلِّقُوهُنَّ لِعدَّتِهِنَّ** . ﴾ الآية . في الواحدي : والقرطبي روى قتادة عن ابن عباس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة ، وهي من إحدي أزواجك ونسائك في الجنة * وقال السدى : نزلت في عبد الله بن عمر . ذلك أنه طلق امرأته حائضا . فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى ، فإذا طهرت طلقها إن شاء . قبل أن يجامعها . فإنها العدة التى أمر الله بها *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاًوَيَرْزُقْهُ مِنْ حيْثُ لا يَحْتَسبُ** ... ﴾ * في الواحدي وفي الخطيب : قال أكثر المفسرين : نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي . أسر المشركون ابنا له يسمى سالما ، فأتي عوف إلى رسول الله ﷺ يشتكى إليه الفاقة . وقال : إن العدو أسر ابنى وجزعت الأم فما تأمرني . فقال رسول الله ﷺ : اتق الله واصبر . وآمرك وإياها أن تستكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . فعاد إلى بيته ، وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فقالت : نعم ما أمر به ، فجعلا يقولان ، فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم ، وجاء بها إلى المدينة ، وهي أربعة آلاف شاة ، فنزلت الآية ، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والّائي يَئِسْنَ مِنَ المحيض مِنَ نِسَاءِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهنَّ ثلاثة أشهر** ﴾ الآية. في الكرخي: لما نزل بيان عدة ذوات الأقراء في سورة البقرة . قال بعض الصحابة : قد بقى الكبار ، والصغار لا يدرى كم عدتهن فنزلت هذه الآية على هذا السبب * وفي الواحدي : قال مقاتل : لما نزلت : ﴿ **والمطلقات يتربصْنَ بأنفُسِهِن** ﴾ الآية قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري يا رسول الله : فما عدة التى تحيض وعدة التى لم تحض ، وعدة الحبلى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية *

سورة التحريم وبيان ما فيها من سبب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مٰا أحلَّ الله لك تَبْغِتى مَرْضاتَ أزْواجِكَ والله غفورٌ رحيمٌ ...** ﴾ . في الخطيب : أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه ، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبويها ، فأذن لها ، فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر . فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها ، فلما رجعت حفصة ، وجدت الباب مغلقاً ، فجلست عند الباب فخرج النبي ﷺ ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : إنما أذنت لي من أجل ذلك !! أدخلت أمتك بيتى ، ثم وقعت عليها في يومي على فراشي . أما رأيت لي حرمة وحقاً . فقال .: أليست هي جاريتى قد أحلها الله لي . وهي حرام علي . ألتمس بذلك رضاك . ولا تخبرى امرأة منهن ، فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة ، فقالت : ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه أمته مارية ، وأن الله قد أراحنا منها . وأخبرتها بما رأت ، وكانت متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ . فنزلت الآية . وهناك روايات كثيرة متفقة المعنى متقاربة اللفظ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنْ تتُوبَا إلى الله فَقَدْ صَغَتْ قلُوبُكُمٰا ...** ﴾ الآية * في الواحدي : حدث الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : وجدت رسول الله ﷺ مع أم ابراهيم في يوم عائشة ، فقالت لأُخبرنها ،

فقال رسول الله ﷺ هي علي حرام إن قربتها ، فأخبرت عائشة بذلك ، فأعلم الله رسوله ذلك . فعرّف حفصة بعض ما قالت ، فقالت له : من أخبرك ؟ قال : نبأني العليم الخبير . فآلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً . فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنْ تتُوبا إلى الله فقد صَغَتْ قلُوبكما** ... ﴾ الآية * أي مالت إلى تحريم مارية . أي سرّكما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له ، وذلك ذنب أمرها الله بالتوبة منه *

سورة الملك وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأسِرُوا قَوْلكُمْ أو اجهَرُوا بِهِ** ... ﴾ الآية * في الواحدي : قال ابن عباس : نزلت في المشركين ، كانوا ينالون من رسول الله ﷺ ، فخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ، ونالوا منه ، فيقول بعضهم لبعض : أسروا قولكم لئلا يسمع محمد ، فنزلت الآية * وكذا رواه الجلال والخازن وغيرهما *

سورة القلم وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **مَا أنْتَ بنعْمةِ ربِّكَ بمجنُون** ... ﴾ في لباب السيوطي : أخرج ابن المنذر عن ابي جريج قال : كانوا يقولون للنبي ﷺ إنه مجنون . فنزلت : ﴿ **ما أنتَ بنعمة ربّك بمجنون** ﴾ وهي واضحة المعني *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولاتُطِعْ كُل حلاَّفٍ مَهين** ﴾ في اللباب : نزلت في الأخنس بن شريق * وقال مجاهد : نزلت في الأسود بن عبد يغوث *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإنْ يكادُ الّذينَ كفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بأبْصَارِهِمْ** ... ﴾ الآية نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله ﷺ يالعين ، فنظر إليه قوم من قريش ، فقالوا : ما رأينا مثله ، ولا مثل حججه ، وكانت العين في بني أسد حتى أن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدها فيعينها ، ثم يقول : يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه ، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر *

وقال الكلبى : كان رجل يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب خبائه ، فتمر به النعم فيقول : ما رؤى اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه ، فما تذهب إلا قريبا حتى يسقط منها طائفة وعدة ، فسأل الكفار هذا الرجل يصيب رسول الله ﷺ بالعين ، ويفعل به مثل ذلك ، فعصم الله تعالى بنبيه وأنزل هذه الآية . ونحوه في الخطيب ذكره الماوردى * وقال الحسن البصرى : دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية على المعيون * ولا يوجد في الحاقة إلا قول ضعيف لم أذكره .

سورة المعارج وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **سَأَلَ سائِل بِعَذٰبٍ واقِع** ... ﴾ الآيات * في الواحدي والجلال نزلت في النضر بن الحارث حين قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء . فدعا على نفسه وسأل العذاب ، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبراً . ونزل فيه : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ وفي الخطيب أقوال غير هذا : وقيل هو الحارث بن النعمان ، وذلك أنه لما بلغه قول النبي ﷺ لعلي : من كنت مولاه فعلي مولاه ، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ، ثم قال يا محمد : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك وأن نحج فقبلناه منك ، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك ، ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا ، أفهذا شيء منك أم من عند الله تعالى : فقال النبي ﷺ : والذى لا إله إلا هو ، ما هو إلا من الله ، فولى الحارث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء . فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت * وقال الربيع : هو أبو جهل * وقيل : إنها نزلت في جماعة من كفار قريش * وقيل : هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَيَطْمَعُ كُلُّ امرِىءٍ مِنْهُمْ أنْ يَدْخل جنّة نَعِيم** ﴾ * قال المفسرون : كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه

ولا ينتفعون به ، بل يكذبون به ، ويستهزؤن ويقولون : لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم . فأنزل الله تعالى هذه الآية *

سورة الجنّ وبيان ما فيها من سبب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ** ... ﴾ الآيات * في اللباب : وأخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ، ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم فقالوا : ما هذا إلا لشيء قد حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فأنظروا هذا الذي حدث ، فانطلقوا ، فانصرف النفر الذي توجهوا نحو تهامه إلى رسول الله ﷺ ، وهو بنخلة يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم . فقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا . فأنزل الله على نبيه : ﴿ **قُلْ أوحِيَ إليَّ** ... ﴾ الآيات ، وإنما أوحى إليه قول الجن *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأنَّهُ كانَ رِجَالٌ مِنَ الإنْسِ يعُوذُونَ بِرجَالٍ مِنَ الْجِن فَزادُوهُم رهقاً** ﴾ . في اللباب : وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة عن كرزم بن أبي السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ ، فآوانا المبيت إلى راعى غنم ، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم ، فوثب الراعى ، فقال : عامر الوادى جارك ، فنادى مناد لا نراه : يا سرحان ، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل على رسول بمكة : ﴿ **وأنّه كان رجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجنِّ** ... ﴾ ونحو هذا بقية الأقوال *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأنْ لَو اسْتَقَامُوا علَى الطّريقة لأسْقَيناهُمْ مَاء غَدَقا** ﴾ * في اللباب : نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وأنّ الْمَسَاجد لله فَلا تدعُوا مَعَ الله**

أحداً ﴾ في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال : قالت الجن يا رسول الله : ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله تعالى : ﴿ وأنّ المساجدَ لله فلا تدعُوا مَعَ الله أحداً ﴾ وفي ابن كثير بعد أن أورده عن الأعمش يقول : صلوا لا تخالطوا الناس . وفيه وعن سعيد بن جبير قال : قالت الجن للنبي ﷺ : كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤن ؟ أي بعيدون عنك : وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤن عنك . فنزلت الآية *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ إني لَنْ يُجيرني من الله أحدٌ ... ﴾ في اللباب : وأخرج ابن جرير عن حضرمى أنه ذكر له . أن جنيا من الجن من أشرافهم ذا تبع قال : إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره . فأنزل الله الآية *

سورة المزمّل وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها المزَّمِّلُ ... ﴾ * في اللباب : أخرج البزار والطبراني بسند رواه عن جابر . قال : اجتمعت قريش في دار الندوة . فقالت : سموا هذا الرجل اسما يصدر عنه الناس . قالوا : كاهن ، قالوا : ليس بكاهن ، قالوا : مجنون ، قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فتزمل في ثيابه ، فتدثر فيها ، فأتاه جبريل فقال : ﴿ يا أيُّها المزّمِّلُ - يا أيُّها المدّثر ﴾ * قلت : والمعروف أن نزول هذا كان في ابتداء ما أوحى إليه ، فإنه ﷺ لما جاءه الوحى في غار حراء ، رجع إلى خديجة : زوجه ، يرجف فؤاده ، فقال : زملوني زملوني . لقد خشيت على نفسى أن يكون هذا مبادى شعر أو كهانة ، وكل ذلك من الشيطان . وأن يكون الذي ظهر بالوحى ليس الملك . وكان ﷺ يبغض الشعر والكهانة غاية البغض ، فقالت له خديجة ؛ وكانت وزيرة صدق رضى الله تعالى عنها : كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك تصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . ونحو هذا فأنزل الله تعالى الآية * هذا هو المشهور من أقوال المفسرين *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ فاقرؤا ما تيسّر منه ﴾ الآية * في اللباب : وأخرج الحاكم عن عائشة قالت : لما نزلت : ﴿ يا أيُّها المزّمِّلُ قُمِ اللّيْلَ إلا

قليلاً ﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم فأنزلت : ﴿ فاقرؤا ما تيسَّر منْهُ ﴾ * أي بأن تصلوا ما تيسر . أي فالمراد بالقراءة الصلاة نفسها من اطلاق الجزء على الكل *

سورة المدثر وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها المدّثر قمْ فأنْذِرْ * وربَّكَ فكبّرْ * وثيابَكَ فطَهّرْ ﴾ * في الواحدي : روى أبو سلمة عن جابر قال : حدثنا رسول الله ﷺ فقال : جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادى ، فنوديت فنظرت أمامي وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر أحداً ، ثم نوديت فرفعت رأسى ، فإذا هو على العرش في الهواء : يعنى جبريل عليه السلام ، فقلت : دثرونى دثرونى ، فصبوا علي ماء . فأنزل الله عز وجل - ﴿ يا أيُّها المدّثّر قُمْ فأنْذِرْ * وربَّكَ فكبّرْ * وثيابَكَ فطهّرْ ... ﴾ رواه زهير بن حرب ، عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعى *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ذرْنِى ومَنْ خلَقْتُ وحيداً ... ﴾ الآيات : في الواحدي : روى عكرمة عن ابن عباس قال : إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، كأن رق له ، فبلغ ذلك أبو جهل ، فأتاه . فقال يا عم : إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه . فإنك أتيت محمداً لتتعرض لنا قبله ؟ قال : لقد علمت قريش أنى من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، وأنك كاره له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده . ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعنى حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره فنزلت :

﴿ ذرْني ومَنْ خلَقْتُ وحيداً ﴾ الآية . اسناده صحيح على شرط البخاري . وفي الواحدي : قال مجاهد : إن الوليد بن المغيرة كان يغشى النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه حتى حسبت قريش أنه يسلم ، فقال له أبو جهل : إن قريش تزعم أنك إنما تأتي

محمداً وابن أبي قحافة تصيب من طعامهما ، فقال الوليد لقريْش : إنكم ذو أحساب وأحلام ، وأنكم تزعمون أن محمداً مجنون ، وهل رأيتموه يتكهن قط ؟ قالوا : اللهم لا . قال : تزعمون أنه شاعر ، هل رأيتموه ينطق بشعر قط ؟ قالوا : لا ، قال : فتزعمون أنه كذاب ، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ؟ قالوا : لا ، قالت قريش للوليد : فما هو ؟ قال : فما هو إلا ساحر ، وما يقوله سحر . فذلك قوله تعالى ﴿ **إنّه فكَّرَ وقَدر** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **إنْ هذا إلاَّ سِحْرٌ يؤثر** ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **عليها تسعةَ عَشَرَ** ﴾ * في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء أن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم ، فجاء فأخبر النبي ﷺ فنزلت عليه ساعتئذ ﴿ **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾ الآية . أي ملكاً ، أو نقيبا ، وقيل : تسعة عشر ألف ملك . وفي القرطبي : قلت والصحيح إن شاء الله إن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما جَعَلْنا أصْحَابَ النّار إلاَّ ملائكةً وما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلاَّ فِتْنَة لِلَّذِينَ كفَرُوا** ﴾ في اللباب : وأخرج عن ابن اسحاق قال : قال أبو جهل يوما : يا معشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ،أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم . فأنزل الله : ﴿ **وما جَعَلْنا أصْحَابَ النّار ...** ﴾ الآية . وأخرج عن السدى قال : لما نزلت : ﴿ **عليها تسعة عشر** ﴾ قال رجل من قريش ؛ يدعى أبا الأشد يا معشر قريش : لا يهولنكم التسعة عشر ؛ أنا أرفع عنكم بمنكبى الأيمن عشرة ، وبمنكبى الأيسر التسعة ، فأنزل الله ﴿ **وما جَعَلْنا أصحابَ النَّارِ إلاَّ ملائكة ...** ﴾ الآية .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **بَلْ يُريدُ كُلُّ امْرِيءِ منْهُمْ أنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرةً** ﴾ * في اللباب : وأخرج ابن المنذر عن السدى قال : قالوا : لئن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار . فنزلت : ﴿ **بل يريدُ كُلُّ امْرِيءِ مِنهم أنْ يؤْتى صحفاً منشَّرة** ﴾*وفي الخطيب : أن أباجهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد : لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ، ونؤمر فيه باتباعك * ونحو الآية قولهم : ﴿ **لن نؤمن لك حتّى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه** ﴾ . وقال الكلبي : إن المشركين

قالوا يا محمد : بلغنا أن الرجل من بنى إسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته ، فأتنا بمثل ذلك ، وقالوا : إذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما لنا لا نرى ذلك ؟ *

سورة القيامة وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ** ﴾ * نزلت الآية في عمر بن ربيعة وذلك أنه أتى النبي ﷺ ، فقال : حدثنى عن يوم القيامة متى يكون ، وكيف أمرها وحالها ، فأخبره النبي ﷺ بذلك ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ، ولم أؤمن به . أو يجمع الله هذه العظام . فأنزل الله تعالى هذه الآية *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ...** ﴾ * أخرج البخاري عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى يحرك به لسانه يريد أن يحفظه ، فأنزل الله : ﴿ **لا تُحَرِّكْ به لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ . وروى مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة بتحريك شفتيه ، فقال لى ابن عباس : أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ، فحرك شفتيه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **لَا تُحرِّك بِهِ لِسَانَكَ** ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** ﴾ قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم . يخبركم ابن أبي كبشة ، أن خزنة جهنم تسعة عشر ، وأنتم الدهر ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم ، فأوحى الله إلى رسوله أن يأتى أبا جهل فيقول له : ﴿ **أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى** ﴾ * وأخرج النسائي عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن قوله : ﴿ **أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى** ﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه ؟ أم أمره الله به ؟ قال : بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله *

سورة الإنسان وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ مِسْكِيناً ويتيماً وأسيرا** ﴾ * روى عطاء عن ابن عباس قال : وذلك أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه نوبة أجر نفسه يسقى نخلا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه . فجعلوا منه شيئا ليأكلوا يقال له الخزيرة ، فلما أتم انضاجه أتى مسكين فسأله فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباقي ، فلما تم انضاجه أتى يتيم فسأله فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباقي ، فلما تم انضاجه أتاه أسير من المشركين فأطعموه ، وطووا يومهم ذلك ، فأنزلت فيه هذه الآية * وهو قول عطاء ، وفي الخازن : واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، فقيل نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الدحداح ، صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم وأسير فأطعمهم ثلاثة أرغفة . وبقى له ولأهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه * ثم أورد السبب الذي ذكر *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نعيماً ومُلكاً كبيرا** ﴾ * في اللباب : وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال : دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد ، وقد أثر في جنبه ، فبكى عمر ، فقال له مايبكيك ؟ قال : ذكرت كسر وملكه ، وهرمز وملكه ، وصاحب الحبشة وملكه وأنت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم على حصير من جريد . فقال رسول الله ﷺ : أم ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ فأنزل الله : ﴿ **وإذا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نعيماً ومُلكاً كبيراً** ﴾ * ولم أجد غيره *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولاَ تطْعْ مِنهُمْ آثِماً أوْ كفُوراً** ﴾ . في اللباب : وأخرج عبد الرزاق وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمداًيصلى لأطأن عنقه . فأنزل الله ﴿ **ولاَ تُطِعْ مِنهُمْ آثِماً أوْ كفوراً** ﴾ * وهو بعيد الارتباط جداً . ففى الخازن : قيل أراد به أبا جهل . وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه أبو جهل عنها ، وقال : لئن رأيت محمداً يصلي .. وهنا تم احكام الصلة بين المعنى والسبب . أى لا تطيعه : وقيل : إن عتبة بن ربيعة قال

للنبي ﷺ : اترك الصلاة وأنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك بلا مهر . وقيل : قال له الوليد بن المغيرة : أنا أعطيك من المال حتى ترضى إذا رجعت عن هذا الأمر . أى فلا تطع واحداً منهما ولا من غيرهما .

سورة المرسلات وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وإذا قيل لَهُمُ اركعوا لا يركعُون** ﴾ في اللباب . اخرج ابن المنذر عن مجاهد في الآية . ﴿ **وإذا قيل لَهُمُ ارْكعُوا لا يَرْكعُونَ** ﴾ قال : نزلت في ثقيف * أي لا يصلون . ولم أجد غيره *

سورة النبأ وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النّبإِ الْعَظِيمِ** ﴾ * في الواحدي : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال : لما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت : ﴿ **عمَّ يَتسَاءَلُونَ عَنِ النّبإِ الْعَظِيم** ﴾ * وكذا في النهر *

سورة النازعات وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قالُوا تِلْكَ إذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ** ﴾ في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس : أن مشركى أهل مكة سألوا النبي ﷺ ، فقالوا : متى تقوم الساعة استهزاء منهم : فأنزل الله : ﴿ **يسألُونَكَ عَنِ السَّاعَةَ أيَان مُرْساها ...** ﴾ وأخرج الطبراني وابن جرير عن طريق بن شهاب قال : كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت : ﴿ **فِيمَ أنْتَ مِنْ ذاكْراهَا إلى ربّك منتهاهَا** ﴾ *

سورة عَبَسَ وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **عَبَسَ وتَوَلَّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى** ... ﴾ الآيات . هو ابن مكتوم ، وذلك أنه أتى النبي ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام ، وعباس بن عبد المطلب ، وأبيا وأمية ابنى خلف . ويدعوهم إلى الله تعالى ، ويرجو إسلامهم ، فقام ابن مكتوم . وقال يا رسول الله : علمنى مما علمك الله ، وجعل يناديه ويكرر النداء ، ولا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد ، فعبس رسول الله ﷺ ، وأعرض عنه ، وأقبل على القوم الذين يكلمهم ، فأنزل الله تعالى الآيات : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه ، وإذا رآه يقول : مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى . وهو قول واحد .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَهُ** ﴾ في اللباب : أخرج ابن المنذر عن عكرمة في الآية قال : نزلت عتبة بن أبي لهب حين قال : كفرت برب النجم * وكذا في الخازن . وفيه : وقيل في أمية بن خلف . وقيل : في الذين قتلوا يوم بدر . وقيل الآية عامة في كل كافر * وهو الأصح لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . والمراد بالانسان هنا جنس الكافر والمراد بالقتل اللعن . أي لعن الكافر *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **لِكُلِّ امْرِيءٍ منهُمْ يومَئِذٍ شأنٌ يُغنِيهِ** ﴾ . روى عائذ بن شريح الكندى قال : سمعت أنس بن مالك قال : قالت عائشة للنبي ﷺ : أنحشر عراة ؟ قال : نعم قالت : واسوأتاه !! فأنزل الله : ﴿ **لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنيه** ﴾ * وعبارة الخازن : عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : تحشرون حفاة عراة غرلاً ، فقالت امرأة : أيبصر أحدنا ، أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال يا فلانة : لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

سورة الانفطار ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الإنسانُ مٰا غرَّك بِربّكَ الكريم** ... ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في الآية : قال نزلت في أبي بن خلف * وفي الخازن : وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة . وقيل : في أبي الشريف ، واسمه أسيد بن كلدة ، وقيل : كلدة بن خلف وكان كافراً ضرب النبي ﷺ فلم يعاقبه الله ، وأنزل الله هذه الآية ، وقيل الآية عامة في كل كافر وعاص . وهو الأصح .

سورة التكوير وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وما تَشَاؤنَ إلاَ أنْ يَشَاءَ الله ربُّ العالمين** ﴾ . في الواحدي : روى سعيد بن عبد العزيز عن سلمان بن موسى قال : لما أنزل الله عز وجل : ﴿ **ومٰا تَشَاؤن إلاَّ أنْ يَشَاءَ الله** ... ﴾ وفي اللباب : أن القائل أبو جهل * ولم أجد غيره .

سورة المطفّفين ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَيْلٌ للمطفِّفين** ... ﴾ روى عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَيْلٌ للمطفِّفين** ... ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك * قال القرطبي : كان بالمدينة تجار يطففون ، وكانت بيعاتهم تشبه القمار . المنابذة والملامسة والمخاطرة . فأنزل الله تعالى هذه الآية . فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها * وقال السدي : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر * فأنزل الله تعالى هذه الآيات *

سورة الطارق ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والسَّمَاءِ والطَّارِق * ومٰا أدْرَاكَ مٰا الطَّارِق** ﴾ * في الواحدي : نزلت في أبي طالب ، وذلك أنه أتى النبي ﷺ بخبز ولبن ، فبينما هو جالس إذا انحط نجم فامتلأ ما ثم نارا ، ففزع أبو طالب ، وقال : أي شيء هذا ؟ فقال : هذا نجم رمى به ، وهو آية من آيات الله . فعجب أبو طالب . فأنزل الله تعالى هذه الآية * وكذا في الخازن *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ...** ﴾ في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في الآية : قال : نزلت في أبي الأشد ، كان يقوم على الأديم ، فيقول يا معشر قريش : من أزالنى عنه فله كذا ، ويقول : إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر . فأنا أكفيكم وحدي عشرة ، واكفوني أنتم تسعة *

سورة الأعلى ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **سنُقْرِئُكَ فلَا تنْسَى** ﴾ في اللباب : أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من الوحى حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله مخافة أن ينساه ، فأنزل الله : ﴿ **سنُقْرِئُكَ فلاَ تنْسَى** ﴾ قال السيوطي : في إسناده جويبر ضعيف جداً . والقول في الخازن *

سورة الغاشية ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أفَلاَ يَنْظُرُونَ إلَى الإبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ ...** ﴾ والآيات في اللباب : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال : لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله : ﴿ **أفَلاَ ينظرونَ إلى الإبِلِ كيْفَ خلِقَت ... ؟** ﴾ . وكذا في الخازن *

سورة الفجر ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ياأَيَّتُهَا النَّفسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ... ﴾ الآيات . في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في الآية .. قال : نزلت في حمزة * وأخرج من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : من يشترى بئر رومة يستعذب بها غفر الله له . فاشتراها عثمان ، فقال : هل لك أن تجعلها سقاية للناس ؟ قال : نعم ، فأنزل الله في عثمان : ﴿ **يا أيتها النفسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ... ﴾ * والأصح أنها عامة في كل مؤمن اطمأن قلبه بلقاء الله ، وأخلص عمله لله *

سورة الليل ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى** ... ﴾ * في اللباب : وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة . أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله . وفيه نزلت * إلى آخر السورة * وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال أبو قحافة لأبي بكر : أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك يا بني ، فقال : إنما أريد ما عند الله ، فنزلت هذه الآية فيه . ﴿ **فأمّا مَن أعطَى واتّقَى** ... ﴾ إلى آخر السورة . وأخرج البزار عن ابن الزبير قال : نزلت هذه الآية ﴿ **وما لِأَحَدٍ عنده من نِعْمةٍ تُجزىٰ** ... ﴾ إلى آخرها في أبي بكر الصديق ، وفي الواحدي : روى عطاء عن ابن عباس أن بلالا لما أسلم ذهب إلى الأصنام فسلح عليها ، وكان عبداً لعبد الله بن جدعان ، فشكى إليه المشركون ما فعل ، فوهبه لهم ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم ، فأخذوه وجعلوا يعذبونه في الرمضاء وهو يقول : أحد أحد ، فمر به رسول الله ﷺ فقال : ينجيك أحد أحد ، ثم أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر أن بلالا يعذب في الله ، فحمل أبو بكر رطلا من ذهب . فابتاعه به ، فقال المشركون : ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وما لأحَدٍ عِندَهُ مِنْ نِعْمةٍ تُجزى** ... ﴾ إلى آخر السورة .

سورة الضُّحى ...

بسم الله الرحمن الرحيم

في الواحدي . روى الأسود بن قيس عن جندب قال : قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ : ما أرى شيطانك إلا ودعك ، فنزل : ﴿ **والضحى** ﴾ إلى ﴿ **وما قلى** ﴾ * رواه البخاري عن أحمد بن يونس عن زهير عن الأسود . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن يحيى بن آدم عن زهير * وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال : أبطأ جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ، فجزع جزعاً شديداً ، فقالت خديجة : قد قلاك ربك لما يرى من جزعك ، فأنزل : والضحى واللّيل إذَا سجَى * مٰا وَدّعَكَ ربُّك ومٰا قلَى * قلت : والمشهور أن هذا قول أم جميل زوجة أبي لهب . ويمكن الجمع بينهما بأن خديجة أم المؤمنين قالت ذلك توجعا ، وأم جميل شماتة . والله أعلم . وحدث أبو النعيم عن حفص بن سعيد القرشي قال: حدثتني أمي عن أمها خولة ، وكانت خادمة رسول الله ﷺ أن جرواً دخل البيت ، فدخل تحت السرير فمات ، فمكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحى . فقال يا خولة : ما حدث في بيتى ، جبريل عليه السلام لا يأتينى ؟ قالت خولة : لو هيأت البيت وكنسته تحت السرير ، فإذا بشيء ثقيل ، فلم أزل حتى أخرجته فإذا جروٌ ميت ، فأخذته فألقيته خلف الجدار ، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه ، وكان إذا نزل الوحى استقبلته الرعدة ، فقال يا خولة ذرينى . فأنزل الله تعالى : ﴿ **والضحى واللّيلِ إذا سَجَى . مٰا ودَّعَك ربُّك ومٰا قلَى** ﴾ * وفي اللباب : قال الحافظ ابن حجر : قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب لنزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وللآخِرَة خيْرٌ لك مِنَ الْأولى * ولَسَوْف يُعْطِيك ربُّك فَتَرْضى** ﴾ * في الواحدي : روى على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : رأى رسول الله ﷺ ما يفتح على أمته من بعده ، فسر بذلك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَلَلآخِرَةُ خيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى * ولَسَوف يُعْطِيكَ رَبُكَ فَترضَى** ﴾ قال فأعطاه ألف قصر في الجنة من لؤلؤ ترابه مسك في كل قصر منها ما ينبغى له * وفي اللباب : وأخرج

الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني ، فأنزل : ﴿ **وللآخِرَة خير لك من الأولى** ... ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يتيماً فآوى** ... ﴾ * روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ إنه قد كانت الأنبياء قبلي منهم من سخرت له الريح ، وذكر سليمان وداود ، ومنهم من كان يحيي الموتى ، وذكر عيسى ابن مريم ومنهم ومنهم ، قال : قال : ألم أجدك يتيما فآويتك ؟ قال : قلت بلى . قال : ألم أجدك ضالا فهديتك ؟ قال : قلت بلى يارب . قال : ألم أجدك عائلا فأغنيتك . قال : قلت بلى يارب . قال : ألم أشرح لك صدرك ؟ ووضعت عنك وزرك ؟ قال : قلت بلى يارب *

سورة ألم نشرح ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فإنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً** ... ﴾ * في اللباب : قال : نزلت سورة ألم نشرح لما عير المشركون المسلمين بالفقر * وأخرج عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **إنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً** ﴾ قال رسول الله ﷺ : أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسرٌ يسرين *

سورة التين ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ** ﴾ * في اللباب : أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في الآية : قال : هم نفر ردُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ ، فسئل عنهم حين سفهت عقولهم ، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم . وفي القرطبي : وقيل : إلاَّ الذينَ آمَنُوا وعملُوا الصالحات فإنهم لا يحزنون ولا تذهب عقولهم * اللهم اجعلنا منهم ياحيى ياقيوم *

سورة العلق ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **كلاَّ إنّ الإنْسَانَ لَيطْغى** ... ﴾ الآيات . في اللباب : أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقيل : نعم ، فقال :واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب فأنزل الله : ﴿ **كلاَّ إنَّ الإنسانَ لَيطْغى** ... ﴾ *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فليدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةْ** ... ﴾ إلى آخر السورة . في الواحدي : روى أبو خالد : عبد العزيز بن هندٰ عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يصلى فجاء أبو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا التصرف ؟ فانصرف إليه النبي ﷺ فزبره فقال أبو جهل : والله إنك لتعلم ما بها ناد أكثر منى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **فَلْيَدْعُ نادَيَه * سَنَدْعُ الزبانية** ﴾ * قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذه زبانية الله تبارك وتعالى . وفي اللباب : قال الترمذي : حسن صحيح .

سورة القدر ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إنّا أنزَلْنَاهُ فيَ لَيلَةِ الْقَدرِ** ... ﴾ إلى آخر السورة * في الواحدي : قال مجاهد : ذكر النبي ﷺ رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، فتعجب المسلمون من ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنّا أنزلناهُ في لَيلَةْ القدْر** ... ﴾ * وفي اللباب : أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير عن الحسن بن علي قال : إن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبر فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ **إنّا أعْطيناك الكوثر** ﴾ . ونزلت : ﴿ **إنّا أنزلناه في ليلة القدر** ... ﴾ ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ . يحكمها بعدك بنو أمية . قال القاسم الحرانى : فعددنا وإذا هي ألف شهر لاتزيد ولا تنقص . قال الترمذي غريب . وقال المزني وابن كثير : منكر جداً *

سورة إذا زلزلت ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **إذا زُلْزِلَةِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ...** ﴾ روى أبو عبد الرحمن الجيلي ، عن عبد الله بن عمر قال : نزلت : إذا زلزلة الأرض زلزالها . وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى أبو بكر . فقال رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا أبا بكر ؟ قال : أبكاني هذه السورة ، فقال رسول الله ﷺ : لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم .

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذرّةٍ خيْراً يَره ...** ﴾ إلى آخر السورة . قال : مقاتل نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل ، فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ، ويقول : ما هذا شيء ، وإنما نؤجر على ما نعطى وعن ما نحبه . وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير : الكذبة والغيبة والنميمة ، والنظرة ، ويقول ليس علي من هذا شيء إنما أوعد الله النار على الكبائر ، فأنزل الله عز وجل يرغبهم في القليل من الخير ، فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر فنزل : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومَنْ يعمل مثقال ذرّة شراً يره** ﴾ * كذا في الخطيب والواحدي .

سورة العاديات ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والْعَادِياتِ ضبحاً ...** ﴾ في الواحدي : قال مقاتل : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حي كنانة ، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو والأنصارى ، فتأخر خبرهم ، فقال المنافقون : قتلوا جميعا ، فأخبر الله تعالى عنها ، فأنزل : ﴿ **والْعَادياتِ ضبحاً** ﴾ – يعنى تلك الخيل * وفي اللباب : أخرج البزار وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ خيلا ولبثت شهرا لا يأتيه منها خبَر فنزلت : ﴿ **والعاديات ضبحاً** ﴾ أي هم في حالة غزو ويغيرون على الأعداء في الصباح بعد أن يبيتوهم في المساء *

سورة التكاثر ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ...** ﴾ في الواحدي : قال مقاتل والكلبي : نزلت في حيين من قريش : بني عبد مناف ، وبني سهم كان بينهم لحا ، فتعاندوا السادة والأشراف أيهم أكثر ، فقال بنو عبد مناف : نحن أكثر سيداً وعزا وعزيزا وأعظم نفرا ، وقال بنو سهم مثل ذلك ، فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكبر عددا في الجاهلية * وقال قتادة : نزلت في اليهود . قالوا : نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا . وكذا بقية الأقوال نحو ما ذكر ، أي في تفاخر الناس وتكاثر بعضهم على بعض وهو مذموم في الشرع .

سورة الهمز ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمزة ...** ﴾ * في اللباب : أخرج ابن أبي حاتم ، عن عثمان وابن عمر قال : مازلنا نسمع أنه : ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ...** ﴾ نزلت في أبي بن خلف * وأخرج ابن المنذر عن ابن اسحاق قال : كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه ، فأنزل الله : ﴿ **ويْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ...** ﴾ السورة كلها *

سورة الفيل ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ * إلى آخر السورة . نزلت في قصة أبرهة ملك اليمن وجيشه بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحجاج عن مكة ، فأحدث رجل من كنانة فيها ، ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها فحلف ابرهة ليهدمن الكعبة ، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود ،

فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما في السورة ، والقصة مشهورة .

سورة قريش ...

بسم الله الرحمن الرحيم

سبب نزول هذه السورة أنها نزلت في قريش : قال عليه الصلاة والسلام والسلام : إن الله فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها قبلهم أحد ، ولا يعطها أحداً بعدهم . أن الخلافة فيهم ، والحجابة فيهم ، وأن السقاية فيهم ، ونصروا على الفيل ، وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحدا غيرهم ، فنزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿ **لإيلاف قريش** ... ﴾ رواه عمرو بن جعدة عن أبيه ، عن جدته أم هانىء بنت أبي طالب ، في السمين : سأل معاوية ابن عباس : لم سميت قريش قريشا ، فقال : سميت بدابة في البحر يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل ، وتعلوا ولاتعلى * وقريش هم ولد النضر بن كنانة ، فكل من ولده النضر فهو من قريش ، ومن لم يلده النضر فليس بقرشى .

سورة الماعون – أرأيت ...

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **أرأيتَ الّذى يُكَذِبُ بالدِّين** ... ﴾ * في الواحدي : قال مقاتل والكلبي : نزلت في العاصي بن وائل السهمي . وقال ابن جرير : كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل يوم جزورين ، فأتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصا ،فأنزل الله تعالى : ﴿ **أرأيتَ الّذى يُكَذبُ بالدّين** ... ﴾ . وفي الخازن : وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقيل : في عمرو بن عائذ المخزومي . وفي رواية ابن عباس أنها في رجل من المنافقين *

القول في بيان سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ الّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُون** ... ﴾ إلى آخر السورة . في اللباب : أخرج ابن المنذر عن طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ** ﴾ الآية . قال : نزلت في المنافقين كانوا يراؤن المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، ويمنعونهم العارية *

سورة الكوثر ...

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت سورة الكوثر / في العاصي . قاله ابن عباس . وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل . فالتقيا عند باب بنى سهم ، وتحدثا . وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس ، فلما دخل العاص ، قالوا : من الذي كنت تحدث ؟ قال : ذلك الأبتر . يعنى النبي ﷺ ، وكان توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ ، وكان من خديجة ، وكانوا يسمون من ليس له ابن ابن ابتر فأنزل الله تعالى هذه السورة / وفي اللباب : أخرج البزار وغيره بسند صحيح/عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة ، فقالت له قريش : أنت سيدهم . ألا ترى إلى هذا المتبصر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج . وأهل السقاية ، وأهل السدانة ، قال : أنتم خير منه . فنزلت : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾/وفي الواحدي : وقال عطاء عن ابن عباس : كان العاصى بن وائل يمر بمحمد ﷺ ويقول : إنى لأشنئوك- لأبغضك - وإنك لأبتر من الرجال . فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنّ شانئك هو الأبتر** ... ﴾ من خير الدنيا والآخرة . ونحوها بقية الأقوال /

سورة الكافرون ...

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت السورة ﴿ **يا أَيُّها الكافِرُونَ * لا أَعْبُدُ ما تَعبُدُون** ... ﴾ إلى آخر السورة . نزلت في رهط من قريش ، قالوا يا محمد : هلم – اتبع ديننا ونتبع دينك – تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فإن كان الذي جئت به خيراً من ديننا قد شركناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك قد شركت في أمرنا ، وأخذتَ بحظك ، فقال معاذ الله أن أشرك به غيره ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُلْ يا أَيُّها الْكَافِرون** ... ﴾ إلى آخر السورة . فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام ، وفيه الملأ من قريش ، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة ، فأيسوا منه عند ذلك * وهو أصح الأقوال . وكذا في القرطبي عن ابن اسحاق وغيره . وفي ابن كثير ، بعد قوله : معاذ

الله أن أشرك به غيره ، قالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك . قال : حتى أنظر ما يأتي من ربي فأنزل الله : ﴿ **قُلْ يا أيُّها الكَافِرُون** ... ﴾ إلى آخر السورة .. وقيل : إنهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل : لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ، ولآمنا بإلهه ، فأتاه العباس فأخبره بقولهم : فنزلت هذه السورة * . وقيل نزلت في أبي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم *

سورة تبّت- المســد

بسم الله الرحمن الرحيم

في الواحدي : سبب نزول السورة : ﴿ **تبّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وتبّ** ... ﴾ إلى آخر السورة . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا . فقال يا صباحاه ! فأجتمعت إليه قريش . فقالوا له ! مالك ؟ قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقون ؟ قالوا : بلى . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ . فقال أبو لهب : **تبًّا** لك ألهذا دعوتنا جميعا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **تَبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتبَّ** ... ﴾ . وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله تعالى – ﴿ **وأنذر عَشِرتَكَ الأقربينَ** ﴾ . أتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه ، ثم نادى يا صباحاه . فاجتمع إليه الناس من بين رجل يجيء ، ورجل يبعث رسوله ، فقال يا بني عبد المطلب : يا بني فهر : يا بني لؤى : لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ما دعوتنا إلا لهذا . فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **تبّتْ يدا أبى لَهَبٍ وتبَّ** ... ﴾ وفي اللباب : وأخرج ابن جرير من طريق اسرائيل عن ابن اسحاق عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد أن امرأة أبي لهب كانت تلقى في طريق النبي ﷺ الشوك فنزلت ﴿ **تبّتْ يَدا أبى لَهَبٍ** ﴾- إلى – ﴿ **وامرأتُه حَمالَةَ الْحَطَب** ... ﴾ وكذا في القرطبي . وفيه : زاد الحميدى وغيره . فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وفي يدها فهر من حجارة ، فلما وقفت عليه * أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ ، فلم تر إلا أبا بكر ، فقالت يا أبا بكر : إن صاحبك قد بلغنا أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا

الفهر فاه ، والله إني لقائلة : مذمّما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا . ثم انصرفت . فقال أبو بكر يا رسول الله : أما تراها رأتك ؟ قال : ما رأتنى . لقد أخذ الله بصرها عني *

سورة الاخلاص ...

بسم الله الرحمن الرحيم

في الواحدي : قال قتادة والضحاك ومقاتل : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ ، فقالوا : صف لنا ربّك فإن الله أنزل نعمته في التوراة ، فأخبرنا من أي شيء هو ؟ ومن أي جنس هو ؟ أذهب هو أم نحاس ، أم فضة ؟ وهل يأكل ويشرب ؟ وممن ورث الدنيا ، ومن يورثها . فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة . وهي نسب الله خاصة . وفي رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربّك . فأنزل الله : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أحد** ... ﴾ . وفي اللباب : أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال : أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ ، فقالوا يا أبا القاسم : خلق الله الملائكة من نور الحجاب ، وآدم من حمأ مسنون . وإبليس من لهب النار . والسماء من دخان . والأرض من زبد الماء ، فأخبرنا عن ربك فلم يجبهم ، فأتاه جبريل في هذه السورة : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أحد** ... ﴾ . وكذا في البحر والبيضاوى ، والخازن وغيرهما .

سورة المعوذتين ...

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المفسرون : كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ . فأتت إليه اليهود ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة النبي ﷺ ، وعدة أسنان من مشطه . فأعطاها اليهود فسحروه فيها ، وكان الذي تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي ، ثم دسها في بئر لبنى زريق . يقال لها دروان ، فمرض رسول الله ﷺ ، وانتثر شعر رأسه ، ويرى أنه يأتى نساءه ولا يأتيهن ، وجعل يدور ولا يدرى ما عراه . فبينما هو قائم ذات يوم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال الذي عند رأسه : ما بال الرجل ؟ قال : طب .

قال : وما طب ؟ قال : سحر . قال : ومن سحره ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودي . قال : وبم طبه ؟ قال : بمشط ومشاطة . قال : وأين هو ؟ قال : في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان – والجف : قشر الطلع . والراعوفة : حجر في أسفل البئر يقوم عليه المائح . فانتبه رسول الله ﷺ فقال يا عائشة : ما شعرت أن الله أخبرني بدائي ؟ ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة ، وأخرجوا الجف ، فإذا هو مشاطة رأسه وأسنان مشطه ، وإذا وتر معقد فيه أحد عشر عقدة مغروزة بالابر ، فأنزل الله : سورة المعوذتين . فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد رسول الله ﷺ عليه خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة ، فقام كأنما نشط من عقال ، وجعل جبريل عليه السلام يقول : بسم الله أرقيكَ . من كل شيء يؤذيك ، ومن حاسد وعين الله يشفيك . فقالوا يا رسول الله : أولا نأخذ الخبيث فنقتله ؟ فقال : أما أنا فقد شافانى الله ، وأكره أن أثير على الناس شراً . وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر النبي ﷺ حتى أنه ليتخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان يوم وهو عندى دعا الله ودعا ، ثم قال : أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيه فيه ؟ قلت : وما ذاك يا رسول الله : قال : أتاني ملكان . وذكر القصة بطولها رواه البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أسامة . وكذا في الخطيب والمواهب وغيرهما : قال الراغب تأثير السحر في النبي ﷺ لم يكن من حيث أنه نبي ، وإنما كان في بدنه من حيث أنه إنسان أو بشر كما كان يأكل ويتغوط ويغضب ، ويشتهي ويحرض ، فتأثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي . وإنما يكون ذلك قادحاً في النبوة لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع للنبوة ، كما أن جرحه وكسر ثنيته يوم أحد لم يقدح فيما ضمن الله له من عصمته في قوله : ﴿ **والله يَعْصِمُكَ مِنَ النّاس** ﴾ وكما لا إعتداد بما يقع في الإسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحى فيما ذكر من كمال الإسلام في قوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أكملتُ لكُمْ دينكُمْ** ﴾ الكرخى * وعند البيهقي عن ابن عباس : مرض رسول الله ﷺ . وحبس عن النساء والطعام والشراب * فدلت هذه الطرق على ما قاله الراغب . أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله .

وهل للسحر تأثير ؟ مذهب أهل السنة أنه حق وله حقيقة ، ويكون بالقول والفعل . ويؤلم ويمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين – بإذن الله – وقالت

المعتزلة وأبو جعفر من الشافعية . وأبو بكر الرازي من الحنفية : إن السحر لا حقيقة له إنما هو تخيل . وبه قال البغوى . واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِم أَنَّها تَسْعَى** ﴾ وذهب قوم إلى أن الساحر قد يقلب بسحره الأعيان ، ويجعل الإنسان حماراً بحسب قوة السحر . وهذا واضح البطلان لأنه لو قدر على هذا لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم . وأن يمنع نفسه من الموت . وهو محال * * * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين *

إلى هنا تم بعونه تعالى كتاب جامع النقول في
أسباب النزول وكان الانتهاء منه يوم الاثنين الموافق لليوم الثاني
من شهر شعبان عام ١٤٠١ هجرى (٤) حزيران
١٩٨١ ميلادى

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

سورة الأنعام وبيان ما فيها من أسباب نزول آياتها

ســورة الأنفـــال

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

جامع النقول في أسباب النزول

صـــدر الإذن بطباعة هذا الكتاب من :

١ ـ الإدارة العامة لشئون المصاحف ومراقبة المطبوعات برئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد برقم ٥/٧٩١٠ وتاريخ ٧/٥/١٤٠٤هـ.

٢ ـ ومن المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الاعلام برقم ٥٥٨٠م وتاريخ ١٤/٨/١٤٠٤هـ.

مطابع الإشعاع الصناعية : ٤٤٨٦٣٥٨ الريل : ٤٠٤١٣٦٦

المملكة العربية السعودية ـ الرياض تلفون شارع الريل ٤٠٤١٣٦٦ ـ الصناعية ٤٤٨٦٣٥٨

Saudi Arabia - Riyadh Tel. Rael Street 4041366 - Industrial Area 4486358